الجلد الاول من النهاية
فى التبيان فى تفسير القرآن
لابن الاثير

المجلد الأول من النهاية في تفسير القرآن لابن الأثير

من جملة

الحمد لله الوهاب العطايا حيث لا تعد ولا تحصى
من جملتها تيسر تفسير ابن الأثير الى العبد الفقير
الحاج عبد الحليم ...
بالحول العظيم ...
في محله
اخ

[illegible]

٥٠

سورة الفاتحة

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ	
Kısmı .	Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt	
Eski Kayıt No.	45
Tasnif No.	

[illegible] 5279

المجلد الاول من نهاية البيان في تفسير القرآن للشيخ ابي سعيد رحمه الله
ابو طاهر اسمعيل بن تاج الدين بن شرف الدين المعروف بابن الكاتب الكتي وهو رئيس علماء العربية في زمانه وصاحب
التصانيف الفائقة المشهورة بين العلماء منها نهاية البيان في تفسير القرآن والمثل السائر في كشف ضروب الامثال
ومرآة الزمان في علم التاريخ وشرح عمدة الاحكام الذي رتبه الامام الحافظ عبد الغني على ابواب الفقه خمسمائة
حديث والمقدمة في علم البديع و

برزده اولان دورت جلد در

تملكت هذا الكتاب افقر العباد عبد الرحمن

جلد اول من نهاية البيان

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

الحمد لله الذي جعل صدور أوليائه أوعية لحفظ كلامه وسلط فكرهم
على استنباط معانيه وشرح آيه وأحكامه فأمثاله عبر لمن تدبرها وهدى
لمن استبصر بها شرع فيه واجبات الأحكام وفرق فيه بين الحلال والحرام
ووعد بتلاوته كمال الأفضال وعلو الرتبة في العاجل والمآل أمر بالتثبت
في قراءته والتدبر في حقائق عباراته ليتفهموا عجائبه ويتبينوا غرائبه فإنه
يشفي سقم القلوب وينفي درن الذنوب فمن وفقه للهداية أرشده سبيلها
ومن أراده للغواية فياه مقيلها رفع بالعلم منازل أوليائه وفتق بالفهم قلوب
أصفيائه فهم في فنون العلم يتدبرون وفيما منحهم من عجائبه يتفكرون
فلك الحمد على ما أطلقت به لساني وأظهرت بنطقه بياني بتنزيهك عما
نسبك إليه الملحدون وافتراه عليك الضلال الجاحدون الذين لم يفهموا
معاني كلامك ولم يشكروا جزيل إنعامك اللهم كما مننت به علينا
وأمرت محمدا أن يبلغه إلينا فنسألك ببلاغه عنك وقربه منك أن تصلي عليه
صلاة دائمة البركات نامية التحيات عظيمة الخيرات ما دامت الأرضون
والسموات وعلى أصحابه وأزواجه الخيرات إنك مجيب الدعوات

وبعد فلا شك أن العلوم تتفاوت في اعتلاء أقدارها وتتفاضل
عند ظهور آثارها فأفضلها العلم بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه فهو المودع المواعظ النافعة والعبر الشافية
فلا علم أشرف من علمه ولا حقيقة أعلى من فهم حقيقته ومن لم يحط علما
بفحواه [illegible] معناه كان كخابط في عشواء وناظر بمقلة عمياء ولما كان
كلام الله [illegible] العلومات كان [illegible] تفسيره وأسباب نزوله ومعانيه
وتأويل [illegible] العلوم المعتبرات ولما علمت شرف هذا العلم ومنزلته
[illegible] نفعه عاجلا وآجلا ورأيت كتب المصنفين والمؤلفين ولم
[illegible] يفي بالغرض والمقصود لكل واحد قد سلك طريقا وأسلوبا
[illegible] بغير تحصيل نسخة كل كتاب منها ليحصل منه المطلوب والمراد

صرفت

صرفت عنايتي وشغلت همتي واستخرت الله تعالى في جمع كتاب لنفسي
يخف على مؤنة مطالعته وتتوفر الرغبة مني على مراجعته ويحصل منه
ما يحصل من عدة كتب حسب ما وصل إليه عرفاني وارتضاه وأحاط به
فهمي وحواه وسميته نهاية البيان في تفسير القرآن ونبهت فيه على المعاني
الغامضة والأمور المشكلة وجعلت ما كان منها بعيدا قريبا وما كان
منها عسيرا يسيرا وما كان منها لطيفا جليلا وذكرت فيه كثيرا من الأخبار
والآثار والقراءات الشاذة والمشهورة والآيات الناسخة والمنسوخة وجمعت
فيه من أقاويل المفسرين وأصحاب الإشارات والمجملات والمفردات والمتشابهات
والأسئلة والجوابات وما تعلق من التفسير بالإعراب واللغات والخاص
والعام والمقدم والمؤخر والمكي والمدني وعدد الآيات والحروف والكلمات
وكلام يدخل بين كلامين والوعد والوعيد والأمر والنهي والحلال
والحرام وكثير من الأحكام وما يطول تعداده من علم الظاهر والباطن
وأنا أسأل الله تعالى التوفيق والتأييد والتسديد وأعتذر إليه وأستغفره
من زلل ربما جرى ولم أشعر به ولا وقفت عليه أو خطأ غفلت عنه ولم
ينته معرفتي إليه فمن عثر على ذلك فليحسن الظن وليصلحه إن وجد إلى إصلاحه
سبيلا جابرا لذلك من الله أجرا جزيلا وقبل الشروع في التفسير نذكر
مقدمة وعدة فصول أما المقدمة فتشتمل على فضل العلم وأهله والترغيب

الفصل الأول في فضل القرآن وأهله وتلاوته
الفصل الثاني في فضل علم القرآن والترغيب فيه
الفصل الثالث في أن لكل آية ظهرا وبطنا
الفصل الرابع في الزجر عن الكلام فيه بغير علم
الفصل الخامس في إعجاز القرآن
الفصل السادس في أسماء ال[illegible]
الفصل السابع في السور والآ[illegible]
الفصل الثامن في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

الفصل الثامن في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما
الفصل التاسع في مدة نزول القرآن
الفصل العاشر في الاستعاذة

اما المقدمة

تشتمل على فضل العلم واهله والترغيب فيه

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام وقل رب زدني علما وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام لما اجتمع بالخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقال تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام ذلكما مما علمني ربي وقال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال بعضهم هي العلم وقال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال بعضهم الحكمة هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمع بينهما وقال تعالى في حق يعقوب عليه السلام وانه لذو علم لما علمناه مدحه الله بالعلم وقال تعالى في حق يوسف عليه السلام ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وفي حق موسى عليه السلام ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقال تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع اليهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى لكن الراسخون في

العلم

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم

العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وقال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقال تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان قدر الآخرة يدرك بالعلم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء يحبهم اهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله الخلق يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضعه فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ومر صلى الله عليه وسلم بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه الناس فقال عليه السلام كلا حسن وهذا افضل ثم قال انما بعثت معلما وجلس معهم

كما قيل موت العالم موت العالم

وقال صلى الله عليه وسلم افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر على الله من موت عالم وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه

السلام اني عليم احب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى علي يوم لا
ازداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم
وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا
وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
وقال صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا
بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير من
الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزاين مفاتيحها السوال فسلوا
فانه يوجر فيه اربعة السايل والعالم والمستمع والمحب لهم ٥

وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم افضل
من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله
ومن قراة القران فقال وهل تنفع قراة القران الا بالعلم وقال صلى الله
عليه وسلم من جاه العلم وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين
الانبيا في الجنة درجة واحدة وقال صلى الله عليه وسلم يموت ابن ادم
وينقطع عمله الا من ثلث علم نافع وصدقة جارية وولد صالح يدعو له
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته واهل السموات حتى النملة
في جحرها ليصلون على معلمي الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو ينتفع بها ويقضي بها بين الناس ورجل
اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وقال صلى الله عليه وسلم
تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال
والحرام ومنار سبيل الجنة والنار وهو الانيس في الوحشة والصاحب
في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السرا والضرا والوزير عند
الاخلا والقريب عند الغربا يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى

بهم ويقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم وفي صلاتها تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى
حيتان البحر وهوامها وسباع البر وانعامها والسما ونجومها الا فان العلم
حياة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والتفكر فيه يعدل بالصيام
ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام وبه
يطاع الله وبه يعبدونه وبه يوحدونه وهو امام العمل والعمل تابعه يلهمه
السعدا ويحرمه الاشقيا وقال صلى الله عليه وسلم علموا ولا تعنفوا فان
المعلم خير من المعنف ٥ وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اكرم عالما فقد اكرم سبعين نبيا
ومن اكرم متعلما فقد اكرم سبعين شهيدا ومن احب العلم والعلما
لا يكتب عليه خطية ايام حياته ٥ وروى ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وقروا من تتعلمون منه
ووقروا من تعلمونه العلم ٥ وروى ابن مسعود رضي الله عنه انه
قال سال موسى عليه السلام ربه اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي
علم الناس الى علمه يسمع كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى وقال
عكرمة في قوله تعالى السايحون قال هم طلبة العلم وقال ابن
المنذر لا يزال العبد متعلما ما دام في الدنيا فاذا قال اكتفيت فهو
اجهل ما يكون بامر الله وقال سفين بن عيينه احوج الناس الى
العلم العلما لان الجهل بهم اقبح وهم اعلام ومنار يقتدى بهم وقال
اسمعيل بن جعفر العجب لمن لا يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى
مكرمته وقال الخليل عن بعض العلما خير خصال العالم السوال
وقال رجل للمامون الحسن بك التعلم مع هذا السن قال نعم يحسن بك
التعلم ما حسنت بك الحياة وقال الاصمعي قلت لابي عمرو بن العلا

الحسن بن ابي الحسن ان تعلم قال ان كان يحسن به ان يعيش فانه يحسن به ان
يتعلم وقال عون بن عبد الله جاء رجل الى ابي ذر فقال يا ابا ذر اني
اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال له ابو ذر تعلم العلم فانك ان تمت
عالما خير من ان تموت جاهلا ثم جاء الى ابي الدرداء فقال يا ابا الدرداء اني اريد
ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال له ابو الدرداء تعلم العلم فانك ان توسد
العلم خير ان توسد الجهل ثم جاء الى ابي هريرة فقال له اريد ان اتعلم العلم
واخاف ان اضيعه فقال له ابو هريرة تعلم العلم فانك لن تجد له اضاعة
اشد من تركه وكان يقال اذا ادرك العالم العلم نودي يا هذا اتركت
الطريق وقال الزهري احمل العلم اليوم يحملك غدا وعظمه اليوم
يعظمك ابدا ويقال من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل واشد
منه عذابا من اقبل عليه العلم فادبر عنه ومن اهدى الله اليه علما
فلم يعمل به فقد استخف بهدية الله اليه وردها عليه وقال الزهري
العلم افضل من العمل لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم وقال
عبد الله بن ابي جعفر العلماء منار البلاد منهم يقتبس النور الذي يهتدون
به وقيل في قوله تعالى فهل من مدكر هل من طالب علم ليعان عليه
وروي عن ابن عباس وروي عنه ايضا في قوله تعالى
وجعلني مباركا اينما كنت انه سال ربه ان يجعله معلما مودبا حيث
ما توجه فهي البركة وقال ابن جريج ان احب العباد الى الله الغرباء
في تعلم العلم وقال ابراهيم بن ادهم ما اظن ان الله يدفع عن اهل
الارض الا برحلة اصحاب الحديث وقال علي كرم الله وجهه كفى
بالعلم شرفا انه يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل
خمولا انه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وكان ابن مسعود
اذا راى الشباب يطلبون العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة مصابيح
الظلم خلقان الثياب جدد القلوب حرس البيوت ريحان كل قبيلة

وقال

العلم افضل من العمل لمن جهل
العمل افضل من العلم لمن علم

انشد الشيخ الاجل الامام الهمام برهان الدين صاحب الهداية شعرا
فساد كبير عالم متهتك واكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك

7

وقال الخليل بن احمد من ضم علمه الى علم غيره كان من الموصوفين
بنعت الربانيين وقال اني ادركت بعض ما انا فيه من العلم باطراح
الحشمة بيني وبين المتعلمين والقاء الستر بيني وبين الذين بما عندهم
ومن رق وجهه بالقران والاثار رق علمه وقال علي كرم الله وجهه
لكميل يا كميل عليك بالعلم العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال العلم حاكم والمال محكوم عليه العلم يزكو بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق ثم قال علي كرم الله وجهه
ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا فالناس موتى واهل العلم احياء
وقال ابن عباس رضي الله عنه خير الله نبيه سليمن عليه السلام
بين العلم والملك فاختار العلم فاتاه الله الملك والعلم ولبعضهم
العالم العاقل ابن نفسه بعينه جنس علمه عن جنسه
وليس من تكرمه لغيره مثل الذي تكرمه لنفسه
كن ابن من شئت وكن مهذبا فانما المرء بفضل كيسه
وقال ابن عباس ايضا ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال
الحسن بن صالح الناس يحتاجون الى العلم في دينهم كما يحتاجون الى الطعام
والشراب في دنياهم وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك
اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال ابو الدرداء
ليس شيء اشرف من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك
وقال الاحنف بن قيس كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لا
يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء
فات من ادرك العلم واي شيء ادرك من فاته العلم وقال لقمن لابنه
يا بني عليك بالعلم فانك ان كنت غنيا كان لك جمالا وان كنت فقيرا
كان لك مالا يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب

مطلب

تطلب في بيان تسمية العلم علما وفي بيان ان مخرج العلم والعلم والعلامة واشتقاقها من شيء واحد

بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر لبعضهم

بالعلم يحيى نفوس قط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور يستدل به على الحقايق مثل النور للعين

وانما سمي العلم علما لانه علامة يهتدي به العالم الى ما قد جهله الناس وهو بمنزلة العلم المنصوب على الطريق فالعلم والعلم والعلامة مخرجها واشتقاقها من لفظ واحد لان كل علم من العلوم في فن من الفنون هو علامة يدل العالم الى ذلك الفن حتى يعرفه ويعلمه ويصير الى حقيقته بمنزلة السمة والعلامة التي وسم بها الشيء فصار العلم للانسان بمنزلة العلامة يفرق بينه وبين الجاهل فالعلماء اعلام الاسلام والسابقون الى دار السلام والمتهجدون بتلاوة القرآن في ظلام الليل اراهم الدلائل عليه كشف لهم السبيل اليه شغلهم بالعلوم عن طلب المعلوم وثوقهم في العلم المصون اظهر لهم الكنز المكنون بصرهم بالطرق اليه فدلوا الخلق عليه اعطاهم الخلوة في جماعة ووهب لهم الزهد والقناعة وقفهم ببابه ووقف الخلق بابوابهم اقبل عليهم فاقبلوا بقلوبهم اليه ايثارا لهم فعكفوا بهممهم عليه راقبوه في الخلوات فسمت هممهم الى السموات خشعوا فخشعت لهم الاصوات البسهم التواضع والخشوع امرهم بالرفق في الامور انطقهم بالحق فصدقهم الخلق ناولهم مفاتيح القلوب ففتحوا اقفالها وقفهم على علل الاشياء فعرفوا نفاد الدنيا وزوالها اوضح لهم الطريق المستبين فعرفوا انه الحق المبين انشد ابو بكر بن داود السجستاني رحمه الله

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التي اتت عن رسول الله تنجو وتربح
ولا تك من قوم تلهوا بدينهم فتطعن في اهل العلوم وتقدح
اذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فانت على خير تبيت وتصبح

اما الفصول العشرة فالاول في فضل القرآن

واهله

واهله وتلاوته روى انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال القران غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القران هو مادبة الله في ارضه فتعلموا من مادبته ما استطعتم ان هذا القران هو حبل الله وهو النور المبين والشفا النافع عصمة من تمسك به ونجاة من تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاقرؤه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف عشر واللام عشر والميم عشر وعن الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث فاتيت عليا كرم الله وجهه فقلت يا امير المومنين الا ترى ان الناس قد وقعوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل الذي ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تلتبس به الالسن ولا تزيغ به الاهوا ولا يشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجايبه وهو الذي لم تلبث الجن اذ سمعته الا ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران قيل مادبة بفتح الدال من الادب والمادبة بضم الدال الطعام الذي يتبرع به من غير ختان ولا عرس والمادبة من الدعوة فسماه مادبة لانه دعى الناس اليه فهي دعوته التي دعا الناس اليها وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرا ثلث القران اوتي ثلث النبوة ومن قرا نصف القران اوتي نصف
النبوة ومن قرا ثلثي القران اوتي ثلثي النبوة ومن قرا القران كله اوتي
النبوة كلها ثم يقال له يوم القيمة اقرا وارق بكل اية درجة
حتى ينجز ما معه من القران ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له هل
تدري ما في يديك فاذا في يده اليمنى الخلد وفي الاخرى النعيم ه
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حملة القران هم المحفوفون برحمة الله تعالى الملبسون نور الله
المعلمون كلام الله فمن عاداهم فقد عادى الله ومن والاهم فقد والى الله
يقول الله تعالى يا حملة كتاب الله تحببوا الى الله بتوقير كتاب الله
يزدكم حبا ويحببكم الى خلقه يدفع عن مستمع القران شر الدنيا ويدفع
عن تالي القران بلوى الاخرة ولمستمع اية من كتاب الله خير من ثبير
ذهبا ولتالي اية من كتاب الله خير مما تحت العرش الى تخوم الارضين السفلى
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه كنت في سفر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله حدثنا بحديث ننتفع به فقال
ان اردتم عيش السعدا وموت الشهدا والنجاة يوم الحشر والظل يوم الجزا
والهدى يوم الضلالة فادرسوا القران فانه كلام الرحمن وحرز من
الشيطان ورجحان في الميزان ه وقال ابن مسعود من احب
ان يعلم انه يحب الله ورسوله فلينظر فان كان يحب القران فانه يحب
الله ورسوله وقيل لجعفر بن محمد لم صار الناس الشعر والخطب يمل اذا
اعيدت والقران يعاد ولا يمل قال لان القران حجة على اهل الدهر
الثاني كما هو حجة على اهل الدهر الاول فلذلك ابدا هو غض جديد

الفصل الثاني في فضايل علم القران والترغيب

فيه واعرابه روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اعربوا القران والتمسوا اعرابه فان الله
يحب ان يعرب ه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا سال

سال النبي صلى الله عليه وسلم اي علم القران افضل قال عربيته فالتمسوه
في الشعر وقوله ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال
ابو العالية الحكمة هي الفهم في القران وقال قتادة الحكمة القران
والفقه فيه وقال اخرون الحكمة تفسير القران وسياتي ذكر ذلك
وقيل لعلي كرم الله وجهه هل عندكم من رسول الله سوى القران
قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة الا ان يعطي الله فهما في كتابه
وما في هذه الصحيفة وهو العقل وفكاك الاسير ولا يقتل مسلم
بكافر وقال الشعبي رضي الله عنه رحل مسروق في اية الى البصرة
فسال عن الذي يفسرها فاخبر انه بالشام فقدم الكوفة فتجهز
ثم رحل الى الشام حتى سال عنها وقال مجاهد احب الخلق الى الله
تعالى اعلمهم بما انزل وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا احب ان
اعلم فيمن انزلت وما يعني بها وقال شداد بن اوس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه الرجل الفقه حتى يرى للقران
وجوها كثيرة وقال وهب بن منبه عن بعض الكتب قال مثل
كتاب محمد عليه السلام في الكتب كسقا فيه لبن كلما مخض استخرجت
زبدته وقال الحسن بن سهل قال لي المامون اي كتب العرب
افضل قال قلت المبتدا قال لا قلت المغازي قال لا قلت التاريخ قال
لا فسكت ثم قال تفسير القران لان كلام الله لا شبه له وتفسير
القران لا شبه له وكان ابن عباس يبدا في مجلسه بالقران ثم بالتفسير
ثم بالحديث وقال الحسن علم القران ذكر لا يعلمه الا الذكور
من الرجال وقال احمد بن ابي الحواري حدثنا ابو نصر سعيد
الرملي قال اتينا الفضيل بن عياض بمكة فسالناه ان يملي علينا
فقال ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة ولو
تفرغتم لكتاب الله لوجدتم فيه شفا لما تريدون قلنا قد تعلمنا القران
قال ان في تعلم القران لشغلا لاعماركم واعمار اولادكم واولاد اولادكم

قلنا كيف فقال لن تعلموا القران حتى تعرفوا اعرابه ومحكمه ومتشابهه
وحلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه فاذا عرفتم ذلك اشتغلتم عن
كلام نصيل وغيره ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين

الفصل الثالث في ان لكل آية ظهرًا وبطنًا

روى عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القران
انزل على سبعة احرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع
قال احمد بن سيار المروزي المعنى في قوله ظهر وبطن يريد ظاهرًا
وباطنًا والظاهر ما يعرفه العلما والباطن ما يخفى عليهم فنقول في
ذلك كما امرنا ونكل ما لا نعلمه الى الله تعالى وقال غيره هو
ان نؤمن به باطنًا كما نؤمن به ظاهرًا وقال ابن الاعرابي هو من قول
العرب قد قلبت امري ظهرًا لبطن وقوله ولكل حد مطلع اي مصعد
ومأتا والمطلع المصعد من مكان مستفل الى مكان مشرف
وقال المطلع ايضا المشرف العالي الى ما دونه من المكان وهو من
الاضداد ويقال ان حده فرايضه واحكامه ومطلعه ثوابه
وعقابه وقال ابو عمرو لكل حد مطلع اي ما يؤتى منه وليس
لهذا الكلام مطلع غير ما قلت يريد وجهه وقال ابن الاعرابي
المطلع المأتى الذي يؤتى منه حتى يعلم القرآن من ذلك المصعد
والمأتى ومطلع كل شيء مسلكه ووجهه وقال الحسن البصري
يقال المطلع يطلع على قوم يعملون به وقال ابو عبيد احسبه
ذهب الى قول ابن مسعود ما من حرف او قال آية الا وقد عمل بها
قوم او لها قوم سيعملون بها فان كان ذهب الى هذا فهو وجه
والا فان المطلع في كلام العرب المأتى الذي يؤتى منه علم القران
وهو عندي هذا الوجه في المطلع لان المصعد الذي يبرز منه

الظاهر
الباطن

المطلع

حد القرآن

على

١٠

على النبي فاراد النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم ان الحد الذي يريد الله
عباده به فيامرهم به وينهاهم عنه اذا تدبر متدبر على ما اراد منه وقد
ذهب الى قوله ولكل حد مطلع ان لكل حد من حدود الله حدها
من حلال وحرام وساير شعايره مقدارًا من الثواب والعقاب يعاينه
في الاخرة ويطلع عليه كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في
الارض من صفرا وبيضا لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف
عليه من امر الله تعالى بعد الموت قال ابو عبيد واما قوله ظهر
وبطن فان الناس قد اختلفوا في تاويله فروى عن الحسن انه قال
ان العرب قد قلبت امري ظهرًا لبطن وقال الظهر من ظاهر القران
اي لفظه والباطن تاويله قال ابو عبيد وفيه قول ثالث وهو عندي
اشبه الاقاويل بالصواب وذلك ان الله تعالى قد قص من نبا عاد
وثمود وغيرهما من القرون الماضية الظالمة لانفسها فاخبر
وما عاقبهم به فهذا هو الظاهر لانه انما هو حديث اخبر عن قوم
فهو في الظاهر خبر واما الباطن منه رد ضمير ذلك الخبر موعظة
وتنبيهًا لئلا يفعل احد فعالهم فيعاقب مثل ما عوقبوا به قال
النقاش وقول من قال الظهر لفظ القران والباطن تاويله احسن
لان في القران اشيا لا تعرف الا بالتفسير وحدودًا لا تفهم الا بالتوقيف
فاللفظ ظاهر وما اراد الله باطن يحتاج من اراد علمه الى الفحص
عنه ويجوز ان يكون قول الحسن مثل هذا التاويل لان قولهم
قلبت امري ظهرًا لبطن تفتشت عن غامضه ونسبته الى ظاهره
حتى وقفت على ما احتاج اليه منه واختلف المفسرون
في تاويل السبعة الاحرف التي نزل القران بها على اربعة
اقوال احدها معناه على سبعة معان نهي وامر ونهي ووعد
ووعيد وجدل وقصص ومثل روى عوف عن ابي قلابة
قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القران على سبعة

تتول صح

احرف امر ونهي وترغيب وترهيب وجدل وقصص
ومثل والثاني يعني على سبع لغات مختلفة ومعانيها مؤتلفة
فكانوا في صدر الاسلام مخيرين فيها ثم اجمعت الصحابة عند
جمع القرآن على احدها وصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا
عنه والثالث يريد على سبع لغات من اللغات الفصيحة لان بعض
قبائل العرب افصح من بعض لبعدهم من بلاد العجم وكان من نزل
القرآن بلغتهم من فصحاء العرب سبع قبائل والرابع يريد على سبع
لغات للعرب في صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها ووجوه اعرابها
من غير ان يعدل لفظ الى غيره وان وافقه في معناه كالذي اختلف
القراء فيه من القرآن وقد اختلف الناس في الآية التي قرئت
بقراءتين فقال بعضهم ان الله تعالى قال بقراءة واحدة الا انه قد
اذن ان يقرأ بقراءتين وقيل ان الله تعالى قال بهما جميعا قال
ابو الليث السمرقندي والذي صح عندنا انه لو كان لكل قراءة
تفسير بخلاف تفسير قراءة الاخرى فقد قال بهما فصارت القراءتان
بمنزلة آيتين مثل قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن وحتى يطّهّرن وكذلك
كل ما كان نحو هذا واما اذا كانت القراءتان تفسيرهما واحد
مثل قوله البيوت والبيوت فانما قال باحدهما واجاز القراءة بهما لكل
قبيلة على ما تعود لسانهم فاذا صح انه قال باحد القراءتين وهي لغة
قريش

الفصل الرابع في الزجر عن الكلام فيه بغير علم

روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اتقوا الحديث الا ما علمتم فانه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده
من النار ومن كذب في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وعن
ابن صالح عن ابن عباس انه قال من فسر القرآن بالرأي فاصاب لم يوجر
وان اخطأ دخل النار وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فاصاب يكتب عليه خطيئة لو قسمت

من العباد لوسعتهم فان اخطأ فليتبوأ مقعده من النار وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن على رأيه
فان اصاب لم يوجر وان اخطأ محى الله النور من قلبه وسئل ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما عن قوله تعالى فاكهة وابا فقالا لا علم لنا اي
سماء تظلنا واي ارض تقلنا اذا قلنا في كتاب الله بما لا نعلم وعن
مسروق قال قال علي كرم الله وجهه وابردها على الكبد اذا سئل
عما لا يعلم يقول لا اعلم وعن ابن عباس انه مر بقاص فقال له اتعرف
الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت واهلكت وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة
احرف والمراء في القرآن كفر ثلث مرات فما عرفتم فيه فاعملوا به وما
جهلتم فردوه الى عالمه وعن ابي ظبيان عن علي كرم الله وجهه
انه قال والله ما من شيء الا في القرآن ولكن رأي الرجال يعجز عنه
وايم الله لو ادخلتم على مائة من خياركم لحدثتهم من كتاب الله تعالى الى الليل
لا ارد عليهم شيئا مما سألوني عنه لخرجوا من عندي وهم يقولون خرجنا
من عند خير الناس واتقاهم ولو ادخل علي من الغد مائة لحدثتهم من
كتاب الله تعالى لا ارد عليهم مما حدثتهم شيئا لخرجوا من عندي وهم
يقولون خرجنا من عند شر الناس

الفصل الخامس في اعجاز القرآن

وقد اختلف العلماء على ستة اوجه احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز
والبلاغة مثل قوله تعالى ولكم في القصاص حياة فجمع بين كلمتين
عدد حروفهما عشرة احرف ومعاني كلام كثير وحكى ابو عبيد
ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكى الاصمعي قال رأيت بالبادية جارية خماسية او سداسية وهي

مسئله

تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها ثم تستغفرين
ولم تجر عليك قلم، فقالت

استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا لغير حله
مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم اصله

قلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذه فصاحة بعد
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
والثاني ان وجه اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس
كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والزجر والسجع فلا
يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه في كلامهم
ومستعمله في نثرهم ونظمهم حكي ان المقفع طلب ان يعارض القران
فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرا
في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض
الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو
من كلام البشر وكان افصح اهل عصره والثالث ان وجه اعجازه
هو ان قاريه لا يكل وسامعه لا يمل وان كثر تلاوته تزيد حلاوة
في النفوس وميلا في القلوب وغيره من الكلام وان كان مستحسن
النظم مستحلى النثر يمل اذا اعيد ويستثقل اذا ردد والرابع ان
وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه او لم يعلموه فاذا سالوا
عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل
الكهف وشان موسى والخضر وحال ذي القرنين وقصص الانبيا
مع اممها والقرون الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه
ما هو فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته

مثل

مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فقطع بانهم لا يفعلون فلم يفعلوا والسادس ان وجه اعجازه هو كونه
جامعا لعلوم كثيرة لم تتعاطى العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء
الامم واحد منهم ولا تشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين
والاخرين وحكم المختلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين
فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها
القران فليس اختصاص احدهما بان يكون معجزا باولى من غيره
فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقال تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلم يقدر احد ان ياتي بمثل
القران في وقت رسول الله ولا من بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة
منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث
واياته والانباء بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الرحم والعدل والاحسان
والمواعظ البليغة التي لم يسمع بمثلها وترتيب الكلام والحث على
العلم وطلب معالي الاخلاق الشريفة فكيف يقدر على ذلك احد
وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء من
قريش وغيرها مع وصف الله تعالى بالجدل والحجاج والفصاحة
والالسنة الحداد ولم يكن مثلهم في عصر قط افصح واكثر عددا
منهم قال تعالى بل هم قوم خصمون وقال تعالى وهو الد الخصام
وقال تعالى بالسنة حداد دواد دليل على اعترافهم بالعجز قولهم ائت
بقران غير هذا او بدله وهو صلى الله عليه وسلم في مدة تاخر كونه

قبل نبوته وادا رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرًا ولا ينشد شعرًا ولا يحفظ خبرًا ولا يروي اثرًا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به فقال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله افلا تعقلون وشهد له بذلك في كتابه فقال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذًا لارتاب المبطلون ثم كثر قراء القرآن والعلماء به من التابعين وطلاب علومه فادى كل قرن ما عندهم الى من بعدهم وكل اجتهد في ذلك وطلب الصواب وتكلم به على قدر مبلغ علمه فمنهم من اقتصر على النقل ومنهم من اتسع في علم اللغة والعربية والاعراب فبين ما فيه من علم الاعراب والمعاني الغامضة التي لا يفهمها الا العالم باللغة ومعاني الشعر ومنهم من اتسع في علم الحلال والحرام والامر والنهي وشرائع الدين فاستخرج من علم القرآن شواهد للامر الذي يحدث

الفصل السادس في اسماء القرآن

اعلم ان الله تعالى سمى القرآن في كتابه باسماء احدها الفرقان قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وسمى بذلك لان الله فرق فيه بين الحق والباطل وهو قول الجماعة لان اصل الفرقان هو الفرق بين الشيئين الثاني القرآن قال الله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن وفي تسميته بالقرآن قولان احدهما وهو قول ابن عباس انه مصدر من قولك قرات اي تبيت استشهادًا بقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه يعني اذا بيناه فاعمل به والثاني وهو قول قتادة انه مصدر من قولك قرأت الشيء اذا جمعته وضممت بعضه الى بعض لانه اي مجموعة ماخوذ من قولهم ما قرأت هذه الناقة سلا قط اي لم تضم رحما على ولد ولذلك قرو العدة قرو الاجتماع دم الحيض في الرحم والثالث الكتاب قال تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقال

تعالى الله نزل احسن الحديث كتابًا وهذا كتاب انزلناه مبارك وهو مصدر من قولك كتبت كتابًا والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة وسمي كتابًا وان كان مكتوبًا كما سمي المخلوق خلقًا وسياتي شرحه عند قوله تعالى ذلك الكتاب والرابع الذكر قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وقال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وفي تسميته بالذكر قولان احدهما انه ذكر من الله ذكر به عباده وعرفهم فيه فرايضه وحدوده والثاني انه ذكر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولقومك والخامس قيما قال الله تعالى ولم يجعل له عوجًا قيمًا والسادس الحديث قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث وقال تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث والسابع الموعظة والشفا والهدى والرحمة قال تعالى قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والثامن البيان قال تعالى هذا بيان للناس والتاسع النور قال تعالى وانزلنا اليكم نورًا مبينًا والعاشر مبارك قال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وسماه وحيًا وروحًا ومهيمنًا وحبلًا وعهدًا وصراطًا مستقيمًا وحكمًا ومبينًا وسياتي شرح هذه الاسماء في مواضعها ان شاء الله تعالى

الفصل السابع في السور والآية

فاما السورة فجمعها سور وفيها لغتان احدهما بهمز والاخر بغير همزة فاما السورة بغير همزة فهي المنزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سمي سور البلد لارتفاعه على ما يحويه ومنه قول النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك فسميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها واما السور بالهمزة فهي القطعة

التي فصلت من القرآن عمّا سواها وابقيت منه لان سور كل شي بقيته
بعد ما يوجد منه ولذلك سمي ما فضل في الاناء سؤر ومنه قوله
عليه السلام اذا شربتم فاسأروا اي ابقوا فضلة في الاناء والاول
اصح وسنذكر فائدة تقطع القرآن سورا عند قوله فأتوا بسورة من
مثله ان شاء الله تعالى ه واما الاية من القرآن ففيها قولان احدهما
انها سميت اية لانها علامة يعرف بها تمام ما قبلها لان الاية العلامة
ومنه قوله تعالى واية منك وارزقنا علامة منك لاجابتك دعانا معنى صح
والثاني ان الاية في كلامهم القصة والرسالة ه

الفصل الثامن في معنى التفسير
والتاويل والفرق بينهما

اما التفسير فاصله من التفسرة وهو الدليل من الماء الذي ينظر
فيه الطبيب فكما ان الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك
المفسر يكشف عن شان الاية وحكمها والسبب الذي انزلت فيه وقيل
هو من قول العرب فسرت الفرس اذا ركضتها وهو يؤول الى الكشف ايضا
وقيل هو مقلوب من سفر مثل جذب وجبذ تقول العرب سفرت
المراة فهي سافر اذا القت خمارها واسفر وجهها اذا اضا وكذلك اسفر
الصبح فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المنغلق ه واما التاويل فهو
صرف الاية الى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها واصله من الاول
وهو الرجوع من آل يؤول وقيل اصله من الايالة وهي السياسة تقول
العرب قد النا وايل علينا اي سسنا وساسنا غيرنا فكان المأول للكلام
سايسه والقادر عليه وواضعه موضعه وانما بنوهما على التفعيل
لانه يدل على التكثير فكانه يتبع سورة بعد سورة واية بعد اية ه
وقد اختلف العلما هل بين التفسير والتاويل فرق ام لا فذهب
قوم يميلون الى العربية الى انهما بمعنى وهذا قول جمهور المتقدمين
وذهب قوم يميلون الى الفقه الى الفرق بينهما فقالوا التفسير علم بنزول

الاية وشانها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها فهذا واضرابه محظور
على الناس لا يجوز القول فيه الا بالسماع والاثر ه واما التاويل فالامر
فيه اسهل لانه صرف الاية الى معنى تحتمله وليس بمحظور على العلما استنباطه
بعد ان يكون موافقا للكتاب والسنة ه

الفصل التاسع في مدة نزول القرآن واول ما نزل وآخر ما نزل

روى عكرمة عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة من
اللوح المحفوظ في ليلة القدر الى بيت العزة ثم انزل بعد ذلك في
عشرين سنة وقال الشعبي فرق الله تنزيل القرآن فكان بين اوله
واخره عشرون سنة وقال الحسن ذكر لنا انه كان بين اوله واخره
ثماني عشرة سنة انزل بمكة ثماني سنين وبالمدينة عشر سنين وقيل
كان بين اوله واخره ثلث وعشرون سنة ه واختلفوا في اول ما
نزل من القرآن فالثابت المنقول ان اول ما نزل اقرأ باسم ربك رواه عروة
عن عايشة رضي الله عنها وبه قال قتادة وابو صالح وروي عن جابر
ان اول ما نزل يا ايها المدثر والصحيح انه لما نزل عليه اقرأ باسم ربك
رجع فتدثر فنزل يا ايها المدثر يدل عليه ما اخرج في الصحيحين
من حديث جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا انا امشي سمعت صوتا
من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي
بين السما والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني فدثروني
فانزل الله يا ايها المدثر ومعنى جئثت فرقت يقال رجل مجؤوث وقد
صحفه بعض الرواة فقال جثثت من الجبن والصحيح الاول وروي عن
الحسن وعكرمة ان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم وروي
عن علي كرم الله وجهه انه قال اول ما نزل قوله تعالى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الثلث ايات ه واختلفوا في اخر ما
نزل فروى البخاري في افراده من حديث ابن عباس قال اخر اية

نزلت قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهو مذهب سعيد بن جبير
وابى صالح وروى ابو اسحق عن البرا قال اخر ما نزلت يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براة وروى عن ابى بن
كعب ان اخر اية نزلت لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السورة وسنذكر
ذلك في مواضعه ان شا الله تعالى

الفصل العاشر في الاستعاذة

قال الله تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ومعنى اعوذ استغيث واستجير والجا والمعاذ الملجا يقال عاذ به
يعوذ عياذا واعوذ عوذا ومعنى معاذ الله اى الجا اليه والوذ به
والتعوذ بالقران هو الاستشفا والاستعاذة سنة في الصلوة وغيرها
هذا قول جماعة الفقها وقال ابن جريج عن عطا الاستعاذة
واجبة في الصلاة وغير الصلاة وعند مالك لا تعوذ الا في قيام
شهر رمضان بعد القراة ولختلفوا في وقت الاستعاذة فقال
اكثرهم وقتها قبل القراة وهو الصحيح المشهور وقال ابو هريرة
يتعوذ بعد القراة واليه ذهب داود وعلى كرم الله وجهه
وكان ابن سيرين والنخعي يستعيذان بعد الفاتحة واما صفتها
في الصلوة ينظر فيه فان كانت صلاة يسر فيها بالقراة اسر فيها
بالاستعاذة وان كانت صلاة يجهر فيها بالقراة فقد اختلفوا في
الجهر بالتعوذ والاختيار الاخفاه فاما لفظ الاستعاذة فالاولى
ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القران ولما روى عن
ابن مسعود قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالسميع العليم فقال لى يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وعن
احمد روايتان احداهما اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو
السميع العليم والثاني اعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم ان الله

هو

١٥

هو السميع العليم سياتى ذلك مستوفى عند قوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان عليه السلام
يستعيذ بالله من اشيا كثيرة تواترت بها الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم

سورة فاتحة الكتاب

وفيها قولان احدهما انها نزلت بمكة وعلى هذا اكثر العلما منهم
على وابن عباس والثاني انها نزلت بالمدينة واليه ذهب عطا ومجاهد
وروى عن ابى هريرة والاول اصح قال الحسين بن الفضل لكل عالم
هفوة وهذه بادرة من مجاهد وصح الخبر عن النبى صلى الله عليه
وسلم في حديث ابى بن كعب انها من اول ما نزل من القران وانها
السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا اختلاف ومعلوم ان الله
تعالى لم يمنن عليه باتيانه السبع المثاني وهو بمكة ثم انزلها
بالمدينة ولا يسعنا القول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث
بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول
قال الثعلبي رحمه الله لفق بعض العلما بين هذين القولين
فقال انها مكية مدنية نزل بها جبريل مرتين مرة بمكة ومرة
بالمدينة حتى حلها رسول الله تعظيما وتفضيلا لهذه السورة على ما
سواها ولذلك سميت مثاني وعدد كلماتها تسع وعشرون
كلمة مع التسمية وعدد حروفها مائة واحد واربعون حرفا
وعدد اياتها سبع ايات قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب
العالمين سبع ايات احداهن بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في فضلها روى ابو سعيد الخدرى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب شفا من السم وروى
عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا وقالت
عايشة رضى الله عنها ام القران اعظم عند الله من ما دون العرش

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما علمه ابي بن كعب ام القران
والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور
ولا في القران مثلها وانها السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيت
وقال ابو سعيد بن المعلى الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له الا اعلمك اعظم سورة من القران من المسجد فمشيت خلفه فلما
بلغنا قريبا من الباب ذكرته قلت يا رسول الله انك قلت لي كذا وكذا
قال الحمد لله رب العالمين من السبع المثاني والقران العظيم الذي
اعطيت وعن محمد بن عمار الموصلي عن المعافا بن عمران لو ان اعلم
الناس تدبر ما في فاتحة الكتاب من صنوف العلم جميع عمره لم يدرك
جميع ما فيها وقال محمد بن علي بن الحسين والسدي اول هذه
السورة الحمد لله والثناء عليه ووسطها الاخلاص واخرها مسئلة الله
وقال محمد بن علي اسم الله الاعظم مقطع في ام الكتاب ○ وقال
مكحول ام القران قراءة ومسئلة ودعا وقال كعب الاحبار لو جعلت
فاتحة الكتاب في كفة ميزان وجعلت التورية والانجيل والقران
في كفة لرجحت فاتحة الكتاب وقال وهب بن منبه ان رجلا
اشترى جارية اعجمية فاصبحت فصيحة وهي تقول يا مولاي
علمني ام القران فقال لها المولى وكان مدنيا وكنت امسيت
اعجمية واصبحت فصيحة قالت نعم لرؤيا رايتها البارحة قال ما
رايت كان الدنيا قد احدث نارا ورفع منها طريق مثل شراك النعل
الى الجنة وكان موسى بن عمران عليه السلام قد اقبل على الطريق
وخلفه اليهود فربما وقف والتفت اليهم وقال سوءة لكم انا امرتكم
ان تهودوا قال فسقطوا يمينا وشمالا في النار ومر موسى عليه
السلام وحده حتى دخل الجنة واقبل على اثره عيسى بن مريم
عليه السلام وخلفه النصارى فربما وقف والتفت اليهم فقال
سوءة لكم انا امرتكم ان تتنصروا فسقطوا يمينا وشمالا في النار

ومر عيسى عليه السلام وحده حتى دخل الجنة ثم اقبل على اثره محمد عليه
السلام وخلفه امته فربما وقف والتفت اليهم فقال انا امرتكم ان
تؤمنوا بربكم وقد امنتم فلا تخافوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
فامر امته كلها حتى دخلوا الجنة فبقيت انا وامراتان على
باب الجنة فقال الله انظروا اهل قروا ام القران فسالونا خزنة
الجنان هل قراتم سورة الحمد قلنا نعم فقالوا اقرا فقرانا فقال
رضوان ادخلا الجنة وقال لي الا تعلمين ام القران فعلمني
يا مولاي ام القران ○ وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ابشر بسورتين لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخاتمة
سورة البقرة ○ وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يا ابي ايما مسلم قرا فاتحة الكتاب فكانما قرا ثلثي
القران وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ○ وعن عطا
قال من طلب حاجة فقرا الحمد لله قضيت حاجته وقال انس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شي احب الى الله من
الحمد وقال الحسن انزل الله تعالى مائة واربعة كتب من السما
اودع علومها اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان
ثم اودع علوم هذه الاربعة الفرقان ثم اودع علوم القران المفصل
ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن
علم تفسير جميع الكتب المنزلة ومن قراها فكانما قرا التورية
والانجيل والزبور والفرقان ○

فصل في اسماء هذه السورة وهي عشرة

وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وهي فاتحة الكتاب سميت
بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة
وهي مفتتحة بالاية التي يفتتح بها الامور تيمنا وتبركا وهي التسمية

يعني انما سميت هذه السورة بفاتحة الكتاب

وقيل لانها اول سورة نزلت من السما قاله الحسين بن الفضل وقيل
سميت بذلك لان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القران
وسورة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد كما قيل سورة الاعراف
والانفال والتوبه ونحوها **ام الكتاب والقران**
سميت بذلك لانها اصل القران والكتب المنزله لجميع ما اودعها
الله تعالى من العلوم مجموع في هذه السورة فهي اصل لها كالام اصل
النسل وقيل سميت بذلك لانها افضل سور القران كما ان مكة
سميت ام القرى اشرف البلدان وقيل سميت بذلك لانها مقدمة
على سور القران فهي اصل وامام لما يتلوها من السور كما ان ام القرى
اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وقيل سميت بذلك
لانها مجمع العلوم والخيرات كما ان الدماغ سمي ام الراس لانه مجمع
الحواس والمنافع وقال ابن كيسان سميت بذلك لانها امامه
في الفضل وقال يحيى بن يعمر ام القرى مكه وام خراسان
مرو وام القران فاتحة الكتاب واما قيل الحمى ام ملدم لانهم
جعلوها معظم الارجاع والالام الضرب فشبهوا ما يكون من الحمى
بالضرب **السبع المثاني** اما السبع فانها سبع ايات
واما المثاني فانها تثنى في كل صلاة من فرض وتطوع وقيل
استثنيت لهذه الامة فلم يخرجها الله لاحد من الامم الا لهذه الامة
قال ابو معاذ النحوي العرب تقول ثنيت لك من المال يعني
استثنيت لك وليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها
به وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني وهي ام القران العظيم
الوافيه وتفسيرها انها لا تنصف الا ترى ان كل سورة من
سور القران لو قرا بعضها في ركعة والنصف الاخر في ركعة كان
جايزا ولو نصفت فاتحة الكتاب وقرئت في ركعتين لم يكن كافيا

الكافيه لانها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها قاله عبد الله
ابن يحيى بن ابي كثير يدل عليه ما روى عبادة بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ام القران عوض عن
غيرها من السور وليس غيرها عوضا منها **الاساس**
جا رجل الى الشعبي فشكى اليه وجع الخاصرة فقال عليك باساس
القران قال وما اساس القران قال فاتحة الكتاب قال الشعبي
سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القران واساس
القران الفاتحه واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا
اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله **الشفا**
روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
فاتحة الكتاب شفا من كل سقم وروي عنه انه قال هي شفا من
كل دا **الصلاة** سمى الله هذه السورة صلاة فانه قال تعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا يقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم
فيذكرني عبدي يقول الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى
حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى
علي عبدي ويقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين فهذه
الاية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يقول العبد
اهدنا الصراط المستقيم الى اخرها فهولا لعبدي ولعبدي
ما سال وليس المراد بهذه القسمة تقسيط الحروف والالفاظ
وانما هي مصروفة الى المعنى **سورة تعليم المسلة**
لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السوال فبدا بالثنا
ثم بالدعا وذلك سبب النجاح والفلاح **فصل**
قراة الفاتحه واجبة في الصلاة لا تصح الا بها ولا تقوم ترجمتها

ولا غيرها من السور مقامها روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وحكي عن
الحسن بن صالح والاصم انهما قالا القراءة مستحبة وليست بواجبة
عن غير قراءة وقال ابو حنيفة الواجب اية واحدة وقال
ابو يوسف ومحمد ثلث ايات او اية كبيرة كاية الدين ثم لا فرق فيها
بين الامام والمنفرد والماموم الا في ركعة المسبوق وقال الشافعي
في القديم لا يقرأ الماموم في الجهرية وهو مذهب مالك والمزني
واحمد وداود وقال سفين وابو حنيفة لا يلزم الماموم القراءة
اسر الامام ام جهر ومذهب الشافعي انه لا يجوز ان يقرأ بالفارسية
ولا يبدل لفظا بلفظ عربي بمعناه وقال ابو حنيفة هو مخير ان
شاء قرأ بالفارسية وان او بلغة العربية ما يكون تفسيرا لفظ القران
وقال ابو يوسف ومحمد ان كان يحسن القران فلا يجوز ان يقرأ
بلسان غيرها وان كان لا يحسنها جاز ان يقرأ بلسان غيرها
بتفسيرها ه **فصل** اختلف الناس في اية التسمية هل هي من
الفاتحة فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة الى انها ليست
من الفاتحة ولا من سائر السور وان الاية السادسة انعمت عليهم وانما
افتتح بها للتبرك بذكره تعالى وهذا قول مالك والاوزاعي وابو
حنيفة وذهب قراء مكة والكوفة واكثر فقهاء الحجاز الى انها
اية من الفاتحة ومن النمل لا غير وهي في سائر السور **فصل** وليست
منها ولم يعدوا انعمت عليهم اية وقال الشافعي وسفين الثوري
وعبد الله بن المبارك هي الاية الاولى من فاتحة الكتاب ومن كل
سورة الا التوبة والدليل على انها اية من اول الفاتحة ما رويناه
من الخبر في عدد اياتها وروى بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا اخبركم باية لم تنزل على احد بعد سليمان
غيري فقلت بلى يا رسول الله قال باي شيء تفتتح القران اذا افتتحت

مطلب

سورة

الصلوة

الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي ه
واما سائر السور فقد اثبتها الصحابة في اوائلها ولم يثبتوا بين
الدفتين سوى القران ولم يثبتوها بين الانفال والتوبة وقد اختلف
العلماء هل هي اية كاملة ام لا وفيه عن احمد روايتان فان قيل القران
لا يثبت الا بطريق قاطع متواتر فان كان هذا قاطعا متواترا فكيف
اختلفوا فيه وان كان مظنونا فكيف يثبت القران بالظن ولو جاز
هذا لجاز ايجاب التتابع بصوم اليمين بقراءة ابن مسعود قلنا لو لم تكن
من القران لوجب على النبي عليه السلام التصريح بانها ليست من القران
واشاعة ذلك على وجه يقطع الشك كما في القنوت فان قيل ما ليس
من القران لا حصر له حتى ينفى انما يجب التنصيص على ما هو من القران
قلنا هذا صحيح لو لم تكتب التسمية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع القران بخط القران ولو لم تكن منزلة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع اول سورة وذلك يوهم قطعا انها من القران ولا يظن برسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لم يعرف كونه موهما ولا جواز السكوت عن
تنبيه مع توهم الحاقه فلو لم تكن من القران لنفاه بنص متواتر بعد
ان امر بكتبه بخط القران اذ لا عذر في السكوت عن قطع هذا التوهم
فاما عدم التصريح بانها من القران كان اعتمادا على قرائن الاحوال
اذ كان يملي على الكاتب مع القران وكان عليه السلام في اثناء املائه
لا يذكر مع كل كلمة واية انها من القران بل كان جلوسه له
وقرائن احواله يدل عليه وانما لم يكفر جاحدها لحصول الاختلاف
فيها وهي مسئلة اجتهادية ودليل ذلك وقوع الاختلاف فيها ه
فصل اختلفوا في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة
فيما يجهر به فذهب ابو بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وعمار بن ياسر
وابن الزبير وابن عباس الى انه لا يسن الجهر بها وبه قال من كبار
التابعين ومن بعدهم الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم

مطلب

مطلب

وقتادة وعمر بن عبد العزيز والاعمش وسفين ومالك وابو حنيفة
واحمد رة وذهب الشافعي رة الى ان الجهر بها مسنون
وهو مروي عن معاوية وعطا وطاوس ومجاهد وذلك ذلك ما
روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل
يعلمني الصلاة نقرا بسم الله الرحمن الرحيم يجهر بها ه فصل
في فضل بسم الله الرحمن الرحيم روى طاوس عن ابن عباس ان
عثمن بن عفان سال النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم
قال فقال هو اسم من اسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاعظم الا كما
بين سواد العين وبياضها من القرب روى عن علي كرم الله وجهه
مثل ذلك وقال جعفر بن محمد بسم الله الرحمن الرحيم تيجان
السور ه وانشد

ببسم الله نفتتح الكلام   وبالرحمن الرحيم هو التمام

وقال علي وابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستر ما بين الجن وعورات بني ادم اذا دخل احدهم الخلا يقول بسم الله
وقال رجل تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل
تعس الشيطان فانه يتعاظم ويقول بعزتي صرعتك فاذا قلت بسم الله
تصاغر حتى يصير مثل الذباب وقال صلى الله عليه وسلم لا وضوء
لمن لم يذكر اسم الله تعالى وقال الزهري والزمهم كلمة التقوى
قال بسم الله الرحمن الرحيم وعن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله
غفر الله له وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع
قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ان يداس
كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا مشركين
يعني العذاب وعن علي كرم الله وجهه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت هذه الاية على ادم

قا

قال امن ذريتي العذاب ما داموا على قراتها ثم رفعت فانزلت
على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه
النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمن وعندها
قالت الملايكة الان تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى
علي ثم تاتي امتي يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا
وضعت اعمالهم في الميزان رجحت حسناتهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبوها في كتبكم فاذا كتبتم فتكلموا بها وعن ابن
عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قال
المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم
كتب الله براة للصبي وبراة لوالديه وبراة للمعلم من النار وعن جابر
قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هربت الغيم الى المشرق وسكنت
الرياح وهاج البحر واصغت البهايم باذانها ورجمت الشياطين من السماء
وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه على شي الا شفاه ولا يسمى اسمه على شي
الا بارك عليه ومن قرا بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وعن
عبد الله بن مسعود قال من اراد الله ان ينجيه من الزبانية التسعة عشر
فليقرا بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر ليجعل الله تعالى
كل حرف منها جنة من واحد منهم ه التفسير
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اختلف العلماء في
موضع البا من بسم فذهب عامة البصريين الى ان موضع البا رفع
على تقدير مبتدا محذوف تمثيله ابتدائي باسم الله فالبا على هذه متعلقة
بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه تقديره ابتدائي كاين او ثابت
او ما اشبه ذلك باسم الله ثم حذفت هذا الخبر وكان فيه ضمير الى موضع
البا وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق البا بابتدائي
المضمر لانه مصدر فاذا تعلقت به صارت من صلته وبقي المبتداء
بلا خبر وذهب عامة الكوفيين وبعض البصريين الى ان

الله تعالى ... وكلما في بيان موضع الباء

موضع البا نصب على اضمار فعل ه واختلفوا في تقديره فذهب
الجمهور منهم الى انه يضمر ابدا وما جرى مجراه لان القايل بسم الله بادي
وذهب كثير منهم الى انه يضمر فعلا يشبه الفعل الذي يريد ان
ياخذ فيه كانه اذا اراد الكتابة اضمر اكتب واذا اراد القراة اضمر اقرا
واذا اراد الاكل والشرب اضمر اكل واشرب ه فان قيل لم جرت
البا قلنا لا معنى لها الا في الاسما فعملت الاعراب الذي لا يكون الا في
الاسما وهو الجر فان قيل لم حركت واصلها السكون فالجواب
ان يقال حركت للابتدا بها لانه لا يصح ان يبتدا بساكن لان اللسان يجفوا
عنه فان قيل لم اختير لها الكسر قلنا قال ابو عمر الجرمي كسرت تشبيها
بعملها وذلك ان عملها الجر وعلامة الجر الكسر فاعترض عليه بعد
موته بان قيل الكاف تجر وهي مع ذلك مفتوحة وانفك اصحابه من
هذا الاعتراض بان قالوا ارادوا ان يفرقوا بين ما يجر ولا يكون الا حرفا
نحو البا واللام وبين ما يجر وقد يكون اسما نحو الكاف وقيل العلة
في كسرها ان البا حرف ناقص يمال والامالة من دلايل الكسر وقال
المبرد العلة في كسرها ردها الى الاصل الا ترى انك اذا اخبرت
عن نفسك بانك كتبت او قلت بيت فرددتها الى البا والبا اخت الكسرة
كما ان الواو اخت الضمة والالف اخت الفتحة وحكي عن ابي علي انهم لو
فتحوا او ضموا لكان جايزا لان الغرض التوصل الى الابتدا فباي حركة
توصل اليه جاز وبعض العرب تفتح هذه البا وهي لغة ضعيفة ه
وطولت ها هنا وشبهت بالالف واللام لانهم لم يريدوا ان يفتتحوا
كتاب الله تعالى الا بحرف مفخم معظم قاله القتيبي قال وكان
عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طولوا البا واظهروا
السين وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيما لكلام الله تعالى ه وقال
ابو الهيثم خالد بن يزيد الرازي العلة فيها اسقاط الالف من الاسم
فلما اسقطوا الالف منه ردوا طول الالف على البا ليكون دالا

على سقوط الالف منه الا ترى انهم لما كتبوا اقرا باسم ربك بالالف ردوا
البا الى صيغتها فان قيل لم حذفت الالف من بسم الله الرحمن الرحيم
في ثلث مواضع ه فالجواب ان في حذف الالف من بسم الله ستة
اقوال احدها للفرا وهو انها حذفت لكثرة الاستعمال وقال
مرة اخرى حذفت لوقوعها في موضع معلوم وهذا انتقال من نكتة الى
نكتة اخرى والمعنى فيهما واحد وهو مما انتقد عليه وقال ايضا حذفت
لان البا لا يسكت عنها وتاويل هذا انه لا يجوز تقدير الابتدا بعدها
وكذلك بعد الواو والفا لانه لا يجوز السكوت عليهما كما يجوز على
اخواتهما من حروف العطف نحو ثم ولا والدليل على هذا اثبات الكتاب
البا في قوله ثم ايتوا صفا لحسن الوقوف على ثم واسقاطهم اياها من قوله
وايتوني باهلكم اجمعين ه والعلة في ذلك ان ثم حرف منفرد
يقوم بنفسه ويجوز الابتدا به وليست الواو والفا والبا والقول
الثاني للاخفش قال حذفت لانها ليست في اللفظ وهذا القول غير
مرضي يجب منه ان يحذف من قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
وكذلك ثم وانطلق وما اشبه ذلك والقول الثالث لابي زيد
قال الاصل بسم او بسم فاسكن للتخفيف كما يفعل بفخذ
وعضد ويلزمه كما يلزم الاخفش والقول الرابع انها لا تنفصل
وهو قول الفرا الثالث الذي حكيناه عنه ويلزمه ما لزم ابا زيد والا خفش
والقول الخامس انه شي قد عرف فلم يخف فيه لبس وهذا
اسلم مما قبله والقول السادس انها همزة وصل وهذا اضعف
من الجهة التي ذكرناها واختار ابو العباس قول الكسائي والفرا اعني
كثرة الاستعمال وانكر علي بن سليمن وقال ارى انه يثقل على
الكاتب ان يزيد الفا واحتج الفرا في كثرة الاستعمال بان بعض
الكتاب تدعو معرفته وكثرة استعماله الى حذف السين
وهذا لعمري مكروه روي كراهته عن عمر وزيد بن ثابت

والحسن وابن سيرين وروي ان عمر رضي الله عنه ضرب على ذلك
كاتبًا فقيل له لم ضربك عمر فقال في سين يجري مثلا فان كتبت
باسم الرحمن او باسم ربك كتبته بغير الف عند الاخفش والكسائي
وكذلك سائر الاسما وتكتبه على مذهب الفرا بالالف وهو القياس واما
الالف في اسم الله تعالى ففي حذفها ايضا ستة اقوال احدها
انها حذفت لكثرة الاستعمال والثاني انه مخصوص والثالث
انهم ان يشبه النفي والرابع انه قد عرف المعنى والخامس انه كره ان
يشبه هجا اللات في مذهب من وقف عليها بالها والسادس انه كتب
على لغة من يقول الله قال الراجز

اقبل سيل جا من عند الله

وهذا انما جا في ضرورة الشعر وليس بلغة ولذلك انما انشد قطرب

الا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال

ويجب ان يقدر على مذهب من جعل الاصل الالاه لتكون الالف زائدة
يسوغ حذفها واما الف الرحمن فقيل حذفت لانه لا يلتبس
بغيره وقيل لكثرة الاستعمال وقيل لان ما قبلها من الالفات
يكفي منها وقيل لان حذفها لا يشكل وهذه الاقوال متقاربة
ولا يبعد بعضها من بعض والاسم كلمة تدل على المسمى | الاسم
دلالة اشارة والصفة كلمة تدل على الموصوف دلالة افادة | الصفة
فان جعلت الصفة اسمًا دلت على الامرين على الاشارة والافادة
وذهب قوم الى ان الاسم والتسمية ترجع عند اهل الحق
الى اللفظ المسمى الدال على الاسم والاسم لا يرجع الى لفظه بل هو
مدلول التسمية فاذا قال القائل زيد كان قوله تسمية وكان
المفهوم منه اسمًا والاسم هو المسمى في هذه الحالة والوصف
والصفة بمثابة التسمية والاسم فالوصف قول الواصف
والصفة مدلول الوصف ثم قد يراد الاسم ويراد به التسمية ويراد

الصفة

الصفة والمراد بها الوصف ولا يبلغ الكلام في ذلك مبلغ القطع وذهب
المعتزلة الى التسوية بين التسمية والوصف والصفة والتزموا على ذلك
بدعة فقالوا لم يكن للباري تعالى في الازل صفة ولا اسم فان الاسم
والصفة اقوال المسمين والواصفين ولم يكن في الازل صفة الالهية
والدليل على ان الاسم لا يفارق التسمية ويراد به المسمى واختاره
الثعلبي رحمه الله قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحيى هو
الاسم والاسم هو يحيى وقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما
سميتموها واراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات
وقوله سبح اسم ربك الاعلى لان احدًا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان
اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير
المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وزيف الماوردي رحمه الله
هذا وقال لو كان اسما الذوات هي الذوات لكان اسما الافعال
هي الافعال وهذا ممتنع في الافعال فامتنع في الذوات فان قيل
اطلق المسلمون بان لله تسعة وتسعين اسمًا فلو كان الاسم هو المسمى
لكان ذلك حكما بتعدد الاله قلنا قد يراد بالاسم التسمية فيحمل
الاطلاق في الاسما على التسميات جواب اخر
ان كل اسم دل على فعل فالاسما هي الافعال وهي متعددة وما دل
على الصفات القديمة لم يبعد فيه التعدد قاله امام الحرمين رحمه الله
واختلفوا في اشتقاق الاسم فذهب البصريون الى انه من السمو
لانه يعلو المسمى فالاسم ما علا وظهر فصار علما للدلالة على ما تحته
من المعنى وذهب الكوفيون الى انه من السمة وهي العلامة
ومن هذا قال ابو العباس ثعلب الاسم سمة توضع على الشي يعرف به
وقول الكوفيين اقوى في المعنى وقول البصريين اقوى في التصريف
لانه لو كان مشتقا من الوسم لقيل في تصغيره وسيم وفي جمعه
اوسام كما قالوا عدة ووصلة في تصغير عدة وصلة فلما قالوا

سمي ظهر انه من السمو لا من السمة فاما ما ورد في تفسيرها فقد
روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عيسى بن مريم ارسلته امه الى الكتاب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله
قال عيسى وما بسم الله قال ما ادري قال الباء بهاء الله والسين سناء
الله والميم مملكته وقال اهل الحقايق المعنى بسم الله التيمن
والتبرك وحث الناس على الابتداء في اقوالهم وافعالهم بسم الله
كما افتتح كتابه به روى عامر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود عليه السلام بسم الله مجراها
كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم
واما اقسام الاسم فسنذكرها عند قوله تعالى وعلم آدم الاسماء
فاما قوله الله فهو اخص اسمائه لانه لم يتسم باسمه الذي هو الله
غيره ولذلك لم يثن ولم يجمع وهو احد تاويل قوله تعالى هل تعلم له
سميا اي من تسمى باسمه الذي هو الله واعلم ان اصل هذه الكلمة
اله في قول اهل الكوفة فادخلت اللام والالف تفخيما وتعظيما
لما كان اسم الله تعالى فصار الاله فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة
جريانها على الالسن وحولت كسرتها الى لام التعظيم فالتقى لامان متحركتان
فادغمت الاولى في الثانية فقالوا الله وقال اهل البصرة اصلها
لاه فالحقت بها الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقالوا الله وقال
بعضهم ادخلت الالف واللام بدلا من الهمزة المحذوفة في اله
فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو اجريت على الاصل ولهذا لم يدخل
عليه في النداء ما يدخل على الاسماء المعرفة من حروف التنبيه
فلم يقولوا يا ايها الله وجميع اقاويل اهل اللغة في معنى هذا
الاسم مبنية على هذين القولين واختلفوا في هذا الاسم هل

هو اسم مشتق من صفة او هو اسم للذات على قولين احدهما انه
اسم علم لذاته لان اسماء الصفات تكون تابعة لاسماء الذات
فلم يكن بد من ان تختص باسم ذات يكون علما لتكون اسماء الصفات
والنعوت تبعا وهذا قول الخليل والمفضل وهذا هو الحسن
وهو ان الله تعالى انفرد به وبمعرفته ولا اشتقاق له يعرف
ولا اصل يفهم واذا اطلق هذا الاسم على غير الله فانما يقال بالاضافة
كما يقال اله كذا او ينكر فيقال كما قال الله تعالى اخبارا عن
قوم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة واكثر العلماء
على انه مشتق واختلفوا في اشتقاقه فقال النضر بن شميل
هو من التاله وهو التنسك والتعبد قال روبة
لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تالهي
اي من تعبدي وتنسكي ويقال تاله الرجل يتاله وقرا ابن عباس
ويذرك والاهتك اي عبادتك ومعناه المعبود الذي تحق له العبادة
وقيل هو من الاعتماد يقال الهت الى فلان اله الها اي فزعت
اليه واعتمدت عليه ومعناه ان الخلق يفزعون اليه ويتضرعون
في الحوادث والحوائج فهو يالههم اي يجيرهم فسمي الها كما يقال امام للذي
يؤتم به ولحاف ورداء للثوب الذي يلتحف به ويرتدى به وهذا معنى
قول ابن عباس والضحاك وقال ابو عمرو بن العلاء هو من الهت
في الشيء اذا تحيرت فيه فلم تهتد اليه معناه ان العقول تتحير في كنه صفته
وعظمته والاحاطة بكيفيته فهو اله كما قيل للمكتوب كتاب وللمحسوب
حساب وقال المبرد هو من قول العرب الهت الى فلان اي
سكنت اليه قال الشاعر
الهت اليها والحوادث جمة
فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره قال تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب وقيل اصله من الوله وهو ذهاب العقل لفقدان

من يعز عليك فكأنه سمي بذلك لأن القلوب توله بمحبته وتطرب
وتشتاق عند ذكره وقيل أصله من لاهت العروس تلوه لوها
إذا احتجبت قال الشاعر

لاهت فما عرفت يوما بخارجة يا ليتها خرجت حتى رأيناها

فالله تعالى هو الظاهر بالربوبية بالدلائل والأعلام والمحتجب من
جهة الكيفية عن الأوهام المستور عن درك الأبصار وقيل معناه
المتعالي يقال لاه أي ارتفع ومنه قيل للشمس الإلاهة روى ذلك
عن قطرب له وأنشد

تروحنا من اللعباء قصرا وأعجلنا الإلاهة أن تغيبا

وكأنهم سموها الإلاهة على تعظيمهم لها وعبادتهم إياها ولذلك نهاهم الله
عن ذلك وأمرهم بالتوجه في العبادة إليه دون خلقه فقال تعالى
ومن آياته الليل والنهار إلى قوله واسجدوا لله الذي خلقهن وقيل
هو مأخوذ من قول العرب ألهت بالمكان إذا أقمت به فكان معناه الدائم
الثابت الباقي وقرأ بعضهم بتغليظ اللام من قوله الله حتى طبق اللسان
الحنك لفخامة ذكره وليفرق عند الابتداء بذكره بينه وبين اللات
قوله تعالى الرحمن الرحيم قالت الليث هما اسمان اشتقاقهما
من الرحمة والرحمة هي النعمة على المحتاج قال الله تعالى وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين يعني نعمة عليهم وقال أبو عبيدة
هما صفتان لله تعالى معناهما ذو الرحمة وقال قوم هما بمعنى
واحد مثل ندمان ونديم وسلمان وسليم ولهفان ولهيف وجمع
بينهما للتأكيد والاتساع كقول العرب جاد مجد وقال طرفة
متى أدن منه ينأ عني ويبعد   وقال آخر   وألفى قولها كذبا ومينا
والرحمن عند قوم أشد مبالغة من الرحيم كالعلام من العليم ولهذا
قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن رحمته في الدنيا عمت المؤمن
والكافر والبر والفاجر ورحمته في الآخرة اختصت بالمؤمنين له

بالمؤمنين له فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ
خاص المعنى فأما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى بها إلا الله تعالى
وأما عمومه فمن حيث إنه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق
والرزق والنفع وأما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به
وأما خصوصه فرجوعه إلى اللطف بالمؤمنين والتوفيق وهذا
معنى قول جعفر بن محمد الصادق الرحمن اسم خاص بصفة عامة
والرحيم اسم عام بصفة خاصة وقال الضحاك الرحمن بأهل
السماء حين أسكنهم السموات وطوقهم الطاعات وأنطق ألسنتهم
بأنواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطامع واللذات
والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم
الكتب وقال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة
رحمة وإنما اقتبس هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لله تعالى مائة رحمة وإنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض
فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر
تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وفي رواية
أخرى وإن الله تعالى قابض هذه الرحمة إلى تلك فيكملها مائة
رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وقال ابن المبارك الرحمن
الذي إذا سئل أعطى والرحيم الذي إذا لم يسأل غضب يدل
عليه ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال من لا يسأل الله يغضب عليه فنظمه الشاعر فقال

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وقيل الرحمن بالنعماء وهي ما أعطى وحبا والرحيم بالآلاء وهي
ما صرف وزوى وقال محمد بن علي الترمذي الرحمن بالإنقاذ
من النار بيانه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها والرحيم بإدخالهم الجنان بيانه قوله تعالى ادخلوها

بسلام امنين وقيل الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم
الراحم وانه يقدر على كشف الضر ثم ان مسيلمة الكذاب تسمى بالرحمن
واقتطعه من اسماء الله تعالى فلما فعل ذلك قرنه الله تعالى
بالرحيم لان احدا لم يتسم بالرحمن الرحيم ليتفصل اسمه من اسم غيره
وانما قدم الرحمن وهو الاعلا على الرحيم وهو الادنى لان العادة
ان يترقى من الادنى الى الاعلا لانه لما قيل الرحمن تناول عظايم
النعم فاردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما دق منها ولطف وجرهما
على الصفة والعامل في الصفة العامل في الموصوف وقال
الاخفش العامل فيهما معنوي وهو كونهما تبعا ويجوز نصبهما على
اضمار اعني ورفعهما على تقدير هو قوله تعالى الحمد لله
قراءة العامة بضم الدال على الابتداء وخبره فيما بعده وقيل على
التقديم والتاخير اي لله الحمد وقرا هرون بن موسى بنصب الدال
على الاضمار اي احمد الحمد لان الحمد مصدر لا يثنى ولا يجمع وقرا ابرهيم
ابن ابي عبلة بضم الدال واللام اتبع الضمة الضمة وقرا الحسن البصري
بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام فان قيل لم اختير الرفع قيل لانه
امدح وكل ما ادى الى كثرة المدح لله والثنا عليه كان اولى
فان قيل من اين كان امدح قيل لان معناه الحمد ثابت لله
ومستقر وهذا يقتضي العموم بجميع الخلق فاذا نصبت كان
تقديره احمد الحمد لله فهذا مدح من المتكلم فقط واما كسر
الدال من الحمد ففيه بعد ووجهه انه اتبع حركة الدال حركة
اللام فالحمد يذكر بمعنى الشكر ونقيضه الكفران ويذكر
بمعنى الثنا من غير سبق احسان ويذكر بمعنى الرضا يقال
بلوته فحمدته اي رضيته ويعرف هذا من معنى الثنا وقوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي مرضيا ويذكر بمعنى
العاقبة يقال احمادي امرك كذا اي عاقبته ثم فيه ثلثة اقوال

اعراب الحمد لله

معاني الحمد

اي في قول الحمد لله

اعلم ان الحمد هو عند القوم ان الحمد هو الوصف الثناء بالجميل على سبيل التبجيل وقيده البعض بالاختياري والشكر فعل مؤذن باجلال المنعم بواسطة انه منعم سواء صدر عن اللسان او الجنان او الاركان فبينهما عموم وخصوص من وجه فان الحمد اعم لمورده بالنظر الى المتعلق لتناوله الفضائل والفواضل اذ الجميل يعمهما

احدها اضمار القول تقديره قولوا الحمد لله واياك نعبد واهدنا
واضمار القول كثير في القران كقوله تعالى والذين اتخذوا من
دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والثاني
انه خبر بمعنى الامر كقوله تعالى ومن دخله كان امنا اي امنوه
وقوله والمطلقات يتربصن اي تربصن ايها المطلقات فقوله
الحمد لله اي يجب عليكم حمده فاحمدوه ثم يضمر القول عند قوله
اياك نعبد والثالث انه اخبار عن الله بحمده لنفسه كان الله
تعالى الحمد لنا وهو كما يكتب الخليفة ان امير المؤمنين يامركم بكذا
وكذا واللام لام التعريف قد يكون للجنس كقولك العسل حلو
فعلى هذا معناه جميع المحامد لله تعالى لان حمد غيره يصغر
في جنب حمده لان نعمته على العبد فوق نعمة الغير ونعمة الغير
ايضا بتيسيره وقال قتادة الحمد لله الذي لم يجعلنا من المغضوب
عليهم ولا الضالين وقال ابن الانباري هو مقلوب عن
المدح كقولك جذب وجبذ واختلف العلماء في الفرق
بين الحمد والشكر فقال بعضهم الحمد الثناء على الرجل بما فيه
من الخصال الحميدة تقول حمدت الرجل اذا اثنيت عليه
بكرم او حسب او شجاعة او علم ونحو ذلك والشكر له
الثناء عليه بمعروف اولاه فالحمد الثناء عليه بما هو به والشكر
الثناء عليه بما هو فيه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال
حمدته على صنيعه كما يقال شكرته على علمه وحلمه فالحمد
اتم واعم من الشكر فكل شكر حمد وليس كل حمد
شكرا ولذلك جاز ان يحمد الله تعالى نفسه ولم يجز ان يشكرها
وقال بعضهم الشكر اعم لانه باللسان وبالجوارح وبالقلب
والحمد يكون باللسان خاصة وقيل الحمد باللسان قولا

لام التعريف

وقال

الحمد

الشكر

الحمد اعم من الشكر

الشكر اعم عند البعض

قال تعالى وقيل الحمد لله والشكر بالاركان فعله قال تعالى
اعملوا ال داود شكرا وقيل الحمد لله على ما حبا وهو النعما
والشكر على ما زوى وهو البلوى وقيل الحمد ابدا والشكر
جزا وقيل الحمد على النعما الظاهرة والشكر على النعما الباطنة
قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة **والفرق**
بين الحمد والشكر والمدح ان الحمد لا يستحق الا على فعل حسن
والمدح قد يكون على فعل وغير فعل فكل حمد مدح وليس
كل مدح حمدا ولهذا جاز ان يمدح الله على صفته بانه عالم قادر
ولم يجز ان يحمد به لان العلم والقدرة من صفات ذاته لا من صفات
افعاله ويجوز ان يمدح بانه خالق رازق لان الخلق والرزق من صفات
فعله لا من صفات ذاته وقد جعل الله تعالى لفظة الحمد زينة
كل خطبة ورأس كل مدحة وكل سورة افتتحها الله بالحمد
في كتابه دل على تعظيم شان السورة كسورة الانعام وسورة الكهف
وسورة سبا وفاطر روى عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال الحمد لله راس الشكر ما شكر الله عبد لا
يحمده وقال ابن عباس الحمد لله كلمة شكر اهل الجنة

لبعضهم

الهي لك الحمد الذي انت اهله على نعم ما كنت منك لها اهلا
اذا زدت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا

قوله تعالى لله هذه تسمى لام الاضافة ولها معنيان احدهما
الملك نحو المال لزيد والاخر الاستحقاق نحو الجل للفرس اي
يستحقه وكذلك الباب للدار **قوله** تعالى رب العالمين
قرا زيد بن علي بالنصب على المدح او على احمد ربا او على اضمار
اعني او على النداء وقرئ بالرفع على اضمار هو وقرا ابا فون رب
بكسر البا على الصفة او البدل والرب مصدر رب يرب ثم جعل

صفة

صفة كعدل وخصم **والرب** يكون بمعنى السيد قال الله
تعالى اذكرني عند ربك اي عند سيدك ويكون بمعنى المالك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب غنم فقال
من كل قد اتاني الله فاكثر واطيب ويكون بمعنى الصاحب
قال ابو ذويب

قد ناله رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع

رهاب رقاق ويكون بمعنى المربي المدبر ومنه قوله تعالى والربانيون
وهم العلما سموا ربانيين لقيامهم بتدبير الناس بعلمهم وقيل ربة
البيت لانها تدبره وقال تعالى وربائبكم سمي ولد الزوجة ربيبة
لتربية الزوج لها وقال الشاعر

يرب الذي ياتي من الخير انه اذا فعل المعروف زاد وتمما

والمعنى على هذا انه يربي الخلق ويغذوهم بما ينعم عليهم فعلى هذا
ان وصفت الله بانه رب لانه مالك او سيد فذلك صفة من صفات
ذاته وان قيل لانه مدبر لخلقه ومربيهم فذلك صفة من صفات
فعله وقال الحسين بن الفضل الرب الثابت من غير
اثبات احد يقال رب بالمكان وارب ولب والب اذا اقام وفي
الحديث انه عليه السلام كان يتعوذ بالله من فقر مرب او ملب
واختاره الثعلبي قال لان المتكلمين اجمعوا على ان الرب
لم يزل ربا قال القشيري هذا انما يصح ان لو سمع منهم ان الرب
من رب فان ثبت هذا فهو صفة ذات ايضا ومتى ادخلت على
الرب الالف واللام اختص الله به دون عباده وان حذفتا منه
صار مشتركا بين الله وبين عباده ولا يقال للمخلوق من الرب
وانما يقال على الاضافة هو رب الدار ورب الغلام لانه لا يملك
الكل غير الله تعالى والالف واللام يدلان على العموم
قوله تعالى العالمين جمع تصحيح واحدهم عالم وتوقفه

الشكر
الحمد
الشكر
الحمد
المدح
اللام في لله لام الاضافة
اعراب رب

منصوبة ابدا والعالم اسم موضوع للجمع ولا واحد له من لفظه كالانام
والرهط والجيش ونحوها واختلفوا في معناه على تسعة اوجه
احدها انه لما يعقل من الملائكة والانس والجن والشياطين
ولا يقال للبهائم عالم روي عن ابن عباس واختاره الفرا وابو عبيدة
والثاني ان العالم الدنيا وما فيها قال الحسن ومجاهد وقتادة
هو عبارة عن جميع المخلوقات واحتجوا بقوله تعالى قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما واختاره
الثعلبي وقال سفين بن عيينة هو جميع الاشياء المختلفة
والثالث هم بنو آدم قاله ابو معاذ النحوي والرابع هم الجن والانس
لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهو رواية عطية العوفي
وسعيد بن جبير عن ابن عباس لانه عليه السلام بعث الى الجن
والانس والخامس هم الناس لقوله تعالى اتأتون الذكران من
العالمين قاله الحسين بن الفضل والسادس هو اسم للجمع الكثير
قاله النضر بن شميل والسابع هم الروحانيون قاله ابو عمرو بن
العلاء وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح دب على وجه
الارض والثامن هم اهل الجنة والنار قاله جعفر بن محمد الصادق
والتاسع ان العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة وهو
قول ابي اسحق الزجاج واختلفوا في اشتقاقه على قولين
احدهما انه مشتق من العلم وهذا على قول من جعل العالم اسما
لما يعقل والثاني انه مشتق من العلامة لدلالته على خالقه
وهذا على قول من جعل العالم اسما لكل مخلوق والعرب
تكتب العالمين بالياء في الرفع والنصب والخفض الا قوما من
بني اسد فانهم يقولون في الرفع العالمون وفي النصب والخفض
العالمين حكاه النقاش قوله تعالى الرحمن الرحيم
اعادها تأكيدا وتنبيها على كمال وصفه بالرحمة وقيل

٢٥

لما اشعر قوله رب العالمين ترهيبا عقبه بما تضمن ترغيبا وقيل
فيه تقديم وتأخير اي الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين حكاه
النقاش قال النقاش هذا بمعنى شديد لما قاله احد من المتقدمين
ولا يحتاج في هذا الى تقديم وتأخير ومن زعم ان بسم الله الرحمن الرحيم
ليست من فاتحة الكتاب فالرحمن الرحيم ها هنا غير مكرر
قوله تعالى ملك يوم الدين اختلف القراء فيه فمنهم من قرأ
مالك بالالف وكسر الكاف على النعت وقيل على هذا هو نكرة
لان اسم الفاعل اذا اريد به الحال او الاستقبال لا يتعرف بالاضافة
فعلى هذا يكون جره على البدل لا على الصفة لان المعرفة لا توصف
بالنكرة وفي الكلام حذف مفعول تقديره مالك امر يوم الدين
او مالك يوم الدين الامر وبالاضافة الى يوم خرج عن الظرفية لانه
لا يصح فيه تقدير في لانها بين المضاف والمضاف اليه وهذه قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير
وكثير من الصحابة والقراء ومنهم من قرأ مالك بالالف ونصب
الكاف باضمار اعني او حالا واجاز قوم ان يكون ندا وهي قراءة الاعمش
ومحمد بن السميفع ومنهم من قرأ مالك بالالف ورفع الكاف على اضمار
هو مالك او يكون خبرا للرحمن الرحيم على قراءة من رفع الرحمن
وهي قراءة عون العقيلي ومنهم من قرأ ملك بغير الف وكسر الكاف
على النعت وهي قراءة زيد بن ثابت وجماعة من الصحابة وبه قرأ ابو عمرو
وابن كثير وابن عامر ومنهم من قرأ ملك بجزم اللام على النعت ايضا
ومنهم من قرأ ملك بنصب الكاف على الندا ايضا ومنهم من قرأ برفع الكاف
من غير الف وهي قراءة ابي حيوة ومنهم من قرأ ملك يوم على انه فعل
ماض ويوم مفعول او ظرف وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وابي
حنيفة ومنهم من قرأ مالك بالالف بالامالة روي ذلك عن يحيى
ابن يعمر وعن ابي ايوب السختياني بين الامالة والتفخيم وروي ايضا

ذلك قتيبة بن مهران عن الكسائي فاما الفرق بين مالك وملك
فقال قوم هما لغتان بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين
وحذرين وحاذرين وفكهين وفاكهين وفرق الاخرون بينهما
فقال ابو عبيدة والاصمعي وابو حاتم والاخفش وابو الهيثم
مالك اجمع واوسع وامدح الا ترى انه يقال الله مالك الطير
والدواب والوحش وكل شيء ولا يقال ملك كل شيء
انما يقال ملك الناس قالوا ولا يكون مالك الشيء الا وهو يملكه
وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم ملك العرب والعجم
والروم وقالوا ايضا المالك يجمع الاسم والفعل ولان في مالك
زيادة الحسنات لان فيه زيادة حرف وقد قال عليه السلام من
قرا القران فله بكل حرف عشر حسنات وقال تعالى قل اللهم
مالك الملك وقال قطرب بينهما فرق كثير اما ملك فهو ملك
من الملوك واما مالك فهو مالك المملوك وقال ابو عبيد الذي
نختار ملك لان الاسناد فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم اثبت ومن
قراها من اهل العلم كثير وهو مع هذا في المعنى اصح لقوله تعالى
فتعالى الله الملك الحق وقوله الملك القدوس وقوله ملك الناس
وقوله لمن الملك اليوم ولانه مدح وتعظيم من غير اضافة وليس كذلك
مالك ولان معنى الفعل موجود في ملك ايضا اذ كان لا يقال
ملك الا لمن ملك شيا كثيرا وحاز امورا عظيمة وقال ابو حاتم
مالك ابلغ في مدح الخالق وملك ابلغ في مدح المخلوق من مالك
والفرق ان المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك وان كان الله
تعالى مالكا كان ملكا فان وصف الله بانه ملك كان ذلك
من صفات ذاته وان وصف بانه مالك كان من صفات افعاله
ثم قيل اصله من الشد والربط وهذا قول ابي بكر بن السراج وقيل
هو من القدرة وهو قول ابي بكر محمد بن علي قال علي بن عيسى

والتصريف

ايمه الدين في اللغة ٣٠٢٦ ... الاول

والتصريف يطرد على كل الاصلين يقال ملكت العجين اي شددته
وقويته قال ويقال املكت فلانة اي قدرت عليها وملكت بضعها
خاطبها فاما معنى قوله ملك يوم الدين ففيه خمسة اقوال احدها
الحساب دليله قوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم
قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والثاني ان الدين الجزاء يعني يوم
يدين الله العباد باعمالهم دليله قوله تعالى انا لمدينون اي لمجزيون
قال لبيد
حصادك يوما ما زرعت وانما يدان الفتى يوما كما هو دائن
وهذا قول الضحاك والثالث يوم القهر والغلبة تقول
العرب دنته فدان اي قهرته فخضع وذل قال حسان والرابع
يوم الطاعة يقال دان الفلانيون لفلان اي اطاعوه ويوم القيمة
يوم الطاعة لانه انما ينفع ثم الطاعة قاله الحسين بن الفضل
وقال الفراء دين الرجل خلقه وعمله وعادته وقال
محمد بن كعب القرظي يوم الدين اي يوم لا ينفع فيه الا الدين اخذه
من قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم والخامس ان الدين الحكم يقال في دين الملك كذا اي في حكمه
ويرجع هذا الى الطاعة والحكم لله يوم القيمة حكاه ابن النقاش
والقشيري وانما خص يوم القيمة بالذكر وان كان مالكا
كل يوم لانه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم بخلاف الدنيا
فانه يحكم فيها الولاة والقضاة وتنقطع دواعي الخلق يومئذ
لتعظيم شان ذلك اليوم وهذا كقوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ
لخبير وهو خبير بهم في ساير الايام وقوله يوم هم بارزون لا يخفى
على الله منهم شيء وفي غير ذلك اليوم لا يخفى ايضا وقيل
خص ذلك اليوم لان في تذكير القيمة تذكير الوعد
والوعيد والترغيب والترهيب وقوام الخلق في تذكير القيمة

حتى يكون العقاب والثواب داعيين الى اتيان الطاعات واجتناب
الظلم والآفات وايضا اذا بين انه ملك ذلك اليوم وهو اعظم
الايام ينبه به على انه مالك ما دونه من الايام ويوم جر بالاضافة
وكذلك الدين وهذه الاضافة متوسع فيها وهو من باب قولهم
يا سارق الليلة اهل الدار كان مجعول يوما مفعولا على السعة
وتقدير الآية مالك يوم الدين الاحكام وحذف المفعول من
الكلام للدلالة عليه ومن قرأ ملك فمعناه انه ينفرد بالملك
في ذلك اليوم وقيل لما قال رب العالمين يريد به ملك الدنيا
قال بعده ملك يوم الدين يريد به الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا
والآخرة قوله تعالى اياك نعبد الجمهور على كسر الهمزة
وتشديد الياء وقرئ شاذا اياك بفتح الهمزة والاشبه ان يكون
لغة مسموعة وقرئ بكسر الهمزة وتخفيف الياء والوجه انه حذف بيه صح
احدى اليائين لاستثقال التكرير في حرف العلة فان قيل
اياك خطاب والحمد على لفظ الغيبة فكان الاشبه ان يكون اياه
قيل عادة العرب الرجوع من الغيبة الى الخطاب ويسمى الالتفات
وقد يكون بالعكس فيرجع من الخطاب الى الخبر وفيه فوائد لان
الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان احسن تطرية
لنشاط السامع وايقاظ الاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد
ومما خص هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه
تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم
العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالخضوع والاستعانة من
المهمات فخوطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة
وانما فرق بين هذه العبادة والاستعانة ليجمع بين ما يتقرب
به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته

وانا

وانما قدم العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب
الحاجة ليحصل الحاجة وايا كلمة ضمير لا يكون الا في موضع النصب
والكاف في محل الخفض باضافة ايا اليها وحسن الاضافة الى
المضمر ولا يضاف الى الاسم المظهر الا شاذا وحكى الخليل عن
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهذا غير
سديد لان المضمر لا يضاف لان الاضافة للتعريف والتخصيص
والمضمر على نهاية الاختصاص فلا حاجة به الى الاضافة ويدخل
على ايا اللواحق من الياء والنون والكاف والهاء نحو اياي وايانا واياك
واياه لبيان الخطاب والغيبة والتكلم لا محل لها من الاعراب
كالا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب
المحققين وقال الزجاج ايا اسم مظهر خص بالاضافة
الى مضمر فالكاف في اياك في موضع جر باضافة ايا اليها وهذا
غير سديد لان ايا ليس بمظهر لانهم اقتصروا به على ضرب واحد
من الاعراب وهو النصب ولا نجد اسما مظهرا اقتصر به على
النصب الا ما كان ظرفا وليس ايا ظرفا ويستعمل ايا مقدما
على الفعل نحو اياك اعني واياك نعبد واياك نسأل ولا يستعمل
مؤخرا عن الفعل الا ان يفصل بينه وبين الفعل بالا فيقال
ما عنيت الا اياك ونحوها وقال ابو حاتم سهل بن محمد اياك
ضمير منفصل والضمير ثلثة اقسام ضمير متصل نحو الكاف
والهاء والياء في قولك اكرمه واكرمك واكرمني سمي بذلك
لاتصاله بالفعل وضمير منفصل نحو اياك واياه واياي وسمي
بذلك لانفصاله عن الفعل وضمير مستكن كالضمير في قولك
نعد وقام سمي بذلك لانه استكن ولم يستبن في اللفظ ونعلم
يقينا ان فيه ضمير الفاعل لان الفعل لا يقوم الا بفاعل ظاهر
او مضمر فيه قال ابو زيد انما هما يا ان الاولى للتنبيه

والثانية للندا تقديرها اي يا فادغمت وكسرت الهمزة لسكون الياء
وقال ابو عبيدة اصله اوياك فقلبت الواو يا وادغمت واصلها
من وى يوى ايوا وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وليس
فيه اضافة لان المضمر لا يضاف وهذا بعيد لان هذا الاسم يختلف
اخره بحسب اختلاف المتكلم والمخاطب والغايب فيقال
اياى واياك واياه وقال قوم الكاف في اياك هي الاسم وايا
عماد لها لانها لا تقوم بنفسها وهذا بعيد لان ايا في انه ضمير
منفصل بمنزلة انت وانا ونحن وليس شي منها معمودا به شي
من الضمير المتصل بل هو قايم بنفسه فكذلك ايا مضمر منفصل
ليس معمودا به غيره كما ان التا في انت وان كان كلفظ التا في
قمت فليس اسما مثلها بل الاسم قبلها وهو ان وهو بعده للخطاب
فكذلك ايا هي الاسم وما بعدها للخطاب تارة وللغيبة اخرى
اذا قلت اياه وموضع اياك نصب بنعبد وبني وان كان اسما
على السكون لمشابهة الحروف وقيل ايا للاختصاص بقول
اياك ضربت اي اختص الضرب بك وتقدم المفعول لقصد
الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة
وانما لم يقل نعبدك ليكون افصح في العبارة واحسن في الاسماع
والتعبد من العبادة وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل وحمل
النفس على المشاق في طاعة الله تعالى واصله الخضوع والذلة
من قولهم طريق معبد اذا كان مذللا بالاقدام وبه سمي العبد
عبدا لذلته وانقياده لمولاه ولا يستحق العبادة الا الله تعالى
لانها اعلا مراتب الخضوع فلا يستحقها الا المنعم باعظم النعم
كالحياة والعقل والسمع والبصر وغير ذلك ٥ قوله تعالى
واياك نستعين اي نطلب منك المعونة والتوفيق على عبادتك
وعلى امورنا كلها وانما كرر اياك ليكون ادل على الاخلاص

والتاكيد كقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا ولم يقل نسبحك ونذكرك كثيرا ولان لا يتوهم
اياك نعبد ونستعين غيرك وايضا اياك في نعبد بدل الكاف
في نعبدك وتقول نعبدك ونستعينك فتكررت الكاف فكذلك
اياك وقال ابو بكر الوراق اياك نعبد لانك الصانع واياك
نستعين لانك هديتنا وقيل اياك نعبد لانك الصانع واياك
نستعين لان المصنوع لا غنا به عن الصانع والعون القوة واعنته
قويته فكانه قال واياك نستقوي على عبادتك وقيل اياك
نعبد لانا عبيد واياك نستعين لانك كريم مجيد وقرا يحيى بن وثاب
نستعين بكسر النون قال الفرا تميم وقيس واسد وربيعة يكسرون
ها علامات المستقبل الا اليا فيقولون استعين ونستعين ونحو
ويفتحون اليا لانها اخت الكسرة وقريش وكنانة يفتحونها
وهو الافصح والاشهر واصله نستعون نستفعل من العون
نها فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت يا لسكو
وانكسار ما قبلها ٥ قوله اهدنا لفظه امر والامر مبني
عند البصريين ومعرب عند الكوفيين بحذف اليا عند البصريين
علامة السكون الذي هو بنا وعند الكوفيين هو علامة الجزم
والهداية الدلالة اي دلنا على الصراط المستقيم او قدم قلوبنا الى
ذلك وقيل الاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا
وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين اي يتمايل ومنه
الهدية لانها تمال من ملك الى ملك ومنه الهدى للحيوان الذي
يساق الى الحرم فالمعنى مل بقلوبنا الى الحق والفعل من الهداية
قد يتعدى الى المفعول الثاني من غير حرف جر مثل اهدنا الصراط
وقد يتعدى بحرف الجر كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وهداية الله للعبد بخلق

الايمان في قلبه وقد ترد الهداية بمعنى الدعا كقوله تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعوا وقوله ولكل قوم هاد
وقوله واما ثمود فهديناهم وقد ترد بمعنى التوفيق والتسديد كقوله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله انك لا تهدي من احببت
وسوال الهداية قد يكون لابتدا الهداية اي كما قد هديت
اولا فاهد في المستقبل وقد يكون للاستدامة اي ثبتنا على ما
رزقتنا من الهداية وهذا قول علي كرم الله وجهه وابي بن كعب وقد
يكون للاستزادة فان العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل
اوقاته وقلة الفترات وبمعنى زيادة الادلة وليس من علم بدليل
كمن علم بادلة وايضا ما يخلقه اليوم للعبد زيادة على ما خلقه امس
ولو كان العبد يهتدي بنفسه ولا قدرة للرب على خلق الهداية في
قلبه لما كان لسوال الهداية منه معنى وان حمل على سوال اللطف
والتوفيق فهو عند المعتزلة مما يجب على الله فعله فلا معنى للسوال
قال الحسين بن الفضل لو كانت الهداية اقامة الدليل فقد
قال تعالى واما ثمود فهديناهم ثم قال اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده ولكن النبي عليه السلام مامورا بان يقتدي بثمود فاذا قوله
فهديناهم محمول على انه خلق الهداية لقوم منهم قوله تعالى
الصراط المستقيم السراط بالسين هو الاصل لانه من الاستراط
بمعنى الابتلاع وسمي الطريق سراطا لجريان الناس فيه كجريان
الشي المبتلع فمن قرا بالسين فهو على الاصل وهي قراءة ابن عباس
وبه قرا ابن كثير ومن قرا بالصاد قلب السين صادا لتجانس الطاء
في الاطباق والسين تشارك الصاد في الصفير والهمس فلما شاركت
الصاد في ذلك قربت منها فكانت مقاربتها لها مجوزة قلبها اليها
ومن قرا بالزاي قلب السين زايا لان الزاي والسين من حروف
الصفير والزاي اشبه بالطا لانهما مجهورتان ويحتج بقول العرب

زقر في صقر سمي الطاير وقرا من اشم الصاد زايا قصد ان يجعلها
بين الجهر والاطباق وكلها لغات صحيحة فصيحة الا ان الاختيار
الصاد لموافقة المصحف ولمواخاتها الطا لانهما موافقتان في
الاطباق والاستعلا والمستقيم المستوي يقال قام اي استوى
واقامه اي سواه وقاومه اي ساواه وقيمة الشي ما يساويه من
الثمن واختلف المفسرون في الصراط المستقيم ما هو فقال
علي كرم الله وجهه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الصراط المستقيم كتاب الله تعالى وقال جابر هو الاسلام
وبه قال مقاتل لان كل طريق ودين غير الاسلام فليس
بمستقيم وقيل هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابو العالية قال بكر بن عبد الله
المزني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسالته عن
الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفا الراشدين من بعدي
وقال السدي ارشدنا الى دين تدخل به صاحبه الجنة ولا يعذب
بالنار ابدا ويكون خروجه من قبره الى الجنة وبه قال سعيد بن جبير
وقيل هو صراط محمد عليه السلام واله قاله ابو بردة وقيل هو طريق
السنة والجماعة لان البدعة لا تكون مستقيمة قاله سهل بن
عبد الله التستري وقال محمد بن علي الترمذي يعني طريق الخوف
والرجاء قوله صراط بدل من الاول وهو بدل الشي من
الشي وهما بمعنى واحد وكلاهما معرفة والذين اسم موصول
وصلته انعمت والعايد عليه الها والميم والغرض من وضع الذي
وصف المعارف بالجمل لان الجمل تفسر بالنكرات والنكرة
لا يوصف بها المعرفة والالف واللام في الذي زايدتان وتعرفهما
بالصلة الا ترى ان من وما معرفتان ولا لام فيهما فدل على ان
تعريفهما بالصلة والاصل في الذين الذيون لانه واحده الذي الا

ان يا الجمع حذفت يا الاصل لئلا يجتمع ساكنان والذين بالياء في
كل حال لانه اسم مبني ومن العرب من جعله في الرفع بالواو
وفي النصب والجر بالياء كما جعلوا تثنيته بالالف في الرفع وبالياء
في الجر والنصب وفي الذي خمس لغات احدها لذي بلام مفتوحة
من غير لام التعريف وقد قرئ به شاذا والثانية الذي بسكون اليا
والثالثة بحذفها وابقا كسرة الدال والرابعة حذف اليا واسكان
الذال والخامسة بيا مشددة ه وقوله انعمت عليهم بدل
من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل وفايدة البدل
هنا وكونه لم يقل ابتدا اهدنا صراط الذين انعمت عليهم ما فيه
من التنبيه والاشعار بان الطريق المستقيم هو صراط المومنين فدل
عليه بابلغ وجه كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم
فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك
هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره مجملا
ومفصلا فجعلته علما في الكرم والفضل كانك قلت من اراد
رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان وفي الذين انعم عليهم خمسة
اقوال احدها هم الذين من عليهم بالتوفيق والرعاية والتوحيد
والهداية وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين والثاني هم قوم موسى وعيسى قبل
ان يغيروا نعم الله قاله ابن عباس والثالث هم اصحاب محمد عليه السلم
واهل بيته قاله شهر بن حوشب والرابع هم الملايكة حكاه الماوردي
والخامس هم الذين انعمت عليهم بالشكر على السرا والصبر على الضرا
قاله علي بن الحسين بن واقد وقال مالك ابن انس انعمت عليهم
بمتابعة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ه واصل النعمة المبالغة
والزيادة يقال دققت الدوا وانعمت دقه اي بالغت في دقه قال

النضر

استخلف بعد الذي جني اشبه عليهم فقالوا هذا الذي رزقنا من
قبل قاله يحيى بن ابي كثير وابو عبيدة والثالث معناه هذا
الذي اطعمنا من قبل فرزق الغداة كرزق العشي روى ذلك عن
ابن عباس والضحاك ومقاتل وليس المراد بقولهم هذا الذي رزقنا
من قبل نفس ما اكلوه ولكن ارادوا هذا مثل الذي رزقنا من
قبل وشبهه بدليل قوله تعالى واتوا به متشابها كما يقول القايل
لغيره فلان اعد لك الخبز والشوا فيقول هذا طعامي في منزلي يريد
هذا الجنس والرابع معناه هذا الذي وعدنا في الدنيا انه
رزقنا في الجنة والخامس معناه هذا من فضل الله كما ان
الاول من فضل الله حكاهما القشيري قال الزجاج وضم
قبل لانها غاية كان يدخلها نحو الاعراب الفتح والكسر فلما عدلت
عن بابها بنيت على ما لم يكن يدخلها نحو الاعراب قال الله تعالى
لله الامر من قبل ومن بعد ه قوله تعالى واتوا به يعني
جي به اي الرزق وقرا هرون بن موسى واتوا بفتح الالف اراد
اتاهم الخدم به ه قوله متشابها حال من الهاء في به وفي
معناه اربعة اقوال احدها ان معنى التشابه ان كله خيار
يشبه بعضه بعضا وليس كثمار الدنيا التي لا تشابه لان فيها
خيارا وغير خيار وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج والثاني
ان التشابه في اللون دون الطعم فكان ثمار الجنة في الوان ثمار
الدنيا وان خالفتها في الطعم وهذا قول ابن عباس وابن مسعود
والربيع ابن انس والثالث تشابه ثمار الدنيا في اللون
والطعم جميعا وهو قول مجاهد ويحيى بن سعيد والرابع ان
التشابه في الاسما دون الالوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة
شي من ثمار الدنيا في لون ولا طعم وهذا قول زيد والاشجعي
قال الماوردي وهذا ليس بشي وروى عن ابن عباس انه

قال ليس في الجنة شي مما في الدنيا غير الاسم فقط وقيل فيه
تقديم وتاخير اي واتوا به متشابها فقالوا هذا الذي رزقنا من
قبل وفايدة تشابه ثمر الدنيا بالاخرة ان الانسان بالمالوف
انس والى المعهود اميل فاذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه ولانه
اذا ظفر بشي من جنس ما الف وعهد وظهر له فيه فضيلة في القد
والشكل واللون والطعم والريح زاد ابتهاجه به وان قلنا انه
متشابه المنظر مختلف الطعم كان اغرب عند الخلق واحسن لك
فانك لو رايت تفاحة فيها طعم ساير الفواكه كان نهاية في العجب
وان قلنا انه متشابه في الجودة جاز اختلافه في الالوان والطعوم
ولانهم اذا راوا في الجنة شيا يشبه ما في الدنيا عرفوا قدر ما انعم الله
عليهم واعطاهم ورزقهم فيزداد شكرهم وحمدهم لله تعالى ولهذا
قالوا لما دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية ه
قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة ازواج مبتدا ولهم الخبر
وفيها ظرف للاستقرار ولا يكون فيها الخبر لان الفايدة تقل اذ الفايدة
في جعل الازواج لهم وفيها الثانية يتعلق بخالدون وهذان الجملتان
مستانفتان ويجوز ان يكون الثانية حالا من الها والميم في لهم له
والعامل فيها معنى الاستقرار والازواج جمع زوج وزوجه وشكل
كل شي زوجه قال ثعلب الزوج في اللغة المراة والرجل
والشفع والفرد واللون والنوع وقوله مطهرة اي من البول
والغايط والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقي والمني والولد
وكل قذر ونجس وقيل مطهرون من مساوي الاخلاق لما
فيهن من حسن التبعل يدل عليه قوله تعالى عربا اترابا قال
الزجاج مطهرة ابلغ من طاهرة لانه للتكثير ثم قيل اراد زوجاتهم
من الادميات وقيل من الحور العين وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتفلون

ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون قيل فما بال الطعام
قال جشا ورشح يجري من اعراضهم كريح المسك يلهمون التسبيح
والتحميد كما يلهمون النفس له وروى انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال للمومن في الجنة ثلثون زوجة قلنا
يا رسول الله اوله قوة ذلك قال يعطى قوة مائة رجل له قوله
وهم فيها خالدون اي دايمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها
لان تمام النعمة بالدوام ه قوله تعالى ان الله لا يستحيي
هذه الاية نزلت في اليهود وذلك ان الله تعالى لما ذكر في كتابه
الذباب والعنكبوت فقال ان الذين تدعون من دون الله لن
يخلقوا ذبابا الاية وقال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون
الله اولياء كمثل العنكبوت ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا
الكلام وما اراد الله بذكر هذه الاشيا الخسيسة في كتابه
وما يشبه هذا الكلام فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي
معناه لا يترك وقيل لا يخشى ومثله قوله تعالى وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه اي وتستحيي منهم فالاستحيا
والخشية ينوب كل واحد منهما عن الاخر قال اهل
المعاني قوله ان الله لا يستحيي خرج عن لفظهم حيث قالوا
ان الله يستحيي ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
فرد الله عليهم كما انهم لما قالوا للقران هذا سحر مفترى قال
الله تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فجاء على
سبيل المقابلة واطباق الجواب على السوال وروى عن ابن
عباس وابن مسعود ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل
هذه للمنافقين يعني قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا وقوله او كصيب من السما قال المنافقون ان الله اعلى واجل
من ان يضرب هذه الامثال انزل الله تعالى ان الله لا يستحيي

ان يضرب مثلا الاية والمعنى على هذا ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا الاية بالصغير والكبير اذ كان في ضربه من الحكمة
ما في ضربه بالكبير ويروى عن الربيع بن انس ان البعوض تحيا
ما جاعت فاذا شبعت وسمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله
لهم هذا المثل في القران اذا امتلاوا من الدنيا اخذهم الله عند
ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
وذهب بعض اهل العلم الى ان الاختيار هذا التاويل من
قبل انه متصل بذكر المثلين الذين ضربهما الله للمنافقين
في سورة البقرة فكان لذلك اولى من ان يكون جوابا لما ذكر
في سورة غيرها اذ كان ذكر الذباب في سورة الحج وذكر
العنكبوت في سورة العنكبوت والاظهر في هذا ان يكون جوابا
لما قيل في الذباب والعنكبوت لما فيهما من الاحتقار والضالة
فاخبر الله تعالى انه لا عيب في ذلك وللعرب في يستحيي لغتان
منهم من يقول يستحيي بيا واحدة وبذلك قرا ابن كثير في
رواية شبل ومنهم من يقول يستحيي بيائين وبه قرا الباقون
فوجه هذه القراة انه الاصل ووجه القراة الاخرى انه حذف
استثقالا لاجتماع اليائين والاختيار في القراة اثبات اليائين
لانه اذا اعتل لام الفعل فلا ينبغي ان يعل العين لئلا يجتمع
في الكلمة اعلالان لان ذلك اخلال ولان اكثر القرا
عليها ولانها لغة اهل الحجاز والاخرى لغة تميم والحيا بالمد
الانقباض والاحتشام قوله ما بعوضة في ما اربعة
اقوال احدها انها صلة كانه قال ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا بعوضة قاله ابو عبيدة والزجاج وهو اختيار البصريين
والثاني ان يكون نكرة مفسرة بالبعوضة كما تكون نكرة موصوفة
في قولك مررت بما هو معجب لك اي بشي معجب لك والثالث

ان يكون نكرة ويكون بعوضة بدلا منها والرابع ان ما بمعنى الذي
وتقديره الذي هو بعوضة وذكر ابو جعفر الطبري ان
معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها فاما بعوضة ففي نصبها ثلثة
اقوال احدها ان يكون مفعولا ثانيا ليضرب والثاني ان يكون
معربة بتعريب ما كما قال حسان

فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا

وحقيقته البدل والثالث حكي عن الكوفيين زعموا ان النعت
على اسقاط حرف الخفض كانه قيل ما بين بعوضة فما فوقها
فانكر المبرد هذين الوجهين واجود هذه الاوجه الوجه الاول
وذلك ان يضرب لما صارت لضرب الامثال صارت في معنى
جعل لجاز ان يتعدى الى مفعولين واذا كانت كذلك كانت
من جملة ما يدخل على المبتدا والخبر وروي عن رافع بعوضة
بالرفع من وجهين احدهما ان يكون خبر المبتدا المحذوف يكون
في صلة ما على ان يكون ما بمنزلة الذي فيكون التقدير ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة اي الذي هو بعوضة
والثاني ان يكون على اضمار مبتدا لا يكون في صلة ما ولا يكون ما
بمعنى الذي كانه لما قال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما
قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة وقد قيل ان ما هاهنا
يكون كافة للفعل فيستانف الكلام بعدها وهو على معنى
المفعول وكيف يمتنع ان يضرب الله المثل بالبعوض ولو
اجتمعت الانس والجن على ان يخلقوا بعوضة لا يقدرون وقيل
انما ذكر المثل بالبعوضة لان خلقة البعوضة اعجب لان خلقتها
خلقة الفيل والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زالوا يضربون
الامثال فقالوا اجمع من ذرة واضعف من فراشة واكل
من السوس ونحو ذلك والبعوضة صغار البق كانها بعض

بقه لصغرها قوله فما فوقها الفا للعطف وما نكرة
موصوفة او بمنزلة الذى كما سبق واختلفوا فى معنى فوق
هاهنا فقيل فما فوقها فى الكبر قاله بن عباس وقيل فما
فوقها فى الصغر فيكون معناه فما دونها لان الغرض المطلوب
هاهنا الصغر قاله ابو عبيدة قال ابن قتيبة وقد يكون الفوق
بمعنى دون وهو من الاضداد ومثله الجون يقال للاسود والابيض
فان قيل كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهى النهاية فى
الصغر قلنا ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها وقد
ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفى خلق الله
اصغر منها ومن جناحها قوله تعالى فاما الذين امنوا
يعنى بمحمد عليه السلام والقران فيعلمون انه يعنى ان هذا
المثل هو الحق الصدق الصحيح من ربهم وان جميع ما ضرب
لهم من مثل اذا تدبروه وتفكروا فيه علموا انه حكمة بالغة
قوله واما الذين كفروا يعنى بمحمد والقران فيقولون ماذا
اراد الله بهذا مثلا فى ماذا قولان احدهما ان ما اسم للاستفهام
موضعها رفع بالابتدا واذا بمعنى الذى واراد صلة له والعايد
محذوف والذى صلة لخبر المبتدا والثانى ان ما وذا اسم واحد
للاستفهام وموضعه نصب باراد ولا ضمير فى الفعل والتقدير
اى شى اراد الله ومثلا نصب على الحال وقيل على التمييز وقيل
وقيل على القطع اى ماذا اراد الله بهذا المثل فلما جا نكرة
نصب على القطع عن اتباع المعرفة قوله يضل به كثيرا
من الكافرين وذلك انهم ينكرونه ويكذبونه ويهدى
به كثيرا من المومنين يعرفونه ويصدقون به قوله
وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعة الله واصل
الفسق الخروج قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اى خرج

ويقول

ويقول العرب فسقت الرطبة عن القشر اى خرجت وفى المراد
بالفاسقين هاهنا ثلثة اقوال احدها اليهود والثانى المنا فنون
والثالث جميع الكفار ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون
عهد الله اى يتركون ويخالفون والنقض ضد الابرام ومعناه
حل الشى بعد عقده وينصرف النقض الى كل شى بحسبه
وفى هذا العهد اربعة اقوال احدها انه ما عهد الى اهل
الكتاب من صفة محمد عليه السلام والوصية باتباعه قاله بن
عباس ومقاتل والثانى ان العهد ما عهد اليهم فى كتبه وعلى
لسان رسله فاقروا ثم كفروا فنقضوه والثالث ان عهده ما
جعله فى عقولهم من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات
الدالة على صدقه والرابع انه الذى اخذه عليهم حيث استخرج
ذرية ادم من ظهره فى قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم الاية قاله
الزجاج وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود الاول اخذ
الميثاق على الذرية والثانى خص به الانبيا ان يبلغوا الرسالة
ويقيموا الدين وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية
والثالث خص به العلما وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب ليبيننه للناس الاية وفى من قولان احدهما
انها زايدة والثانى انها لابتدا الغاية كانه قال ابتدا نقض
العهد من بعد ميثاقه وفى الكناية التى فى ميثاقه قولان احدهما
انها كناية ترجع الى اسم الله تعالى وتقديره من بعد ميثاق الله
والثانى انها ترجع الى العهد وتقديره من بعد ميثاق العهد
قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
فيه ثلثة اقوال احدها صلة الارحام والقرابة قاله قتادة والثانى
هو الايمان بجميع الكتب والرسل وهو نوع من الصلة لانهم قالوا
نومن ببعض ونكفر ببعض فقطعوا وقال المومنون لا نفرق

بين احد من رسله فوصلوا له الحسن والثالث انه على العموم في
كل ما امر الله تعالى به ان يوصل قوله ويفسدون
في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد عليه
السلام والقران قوله اولئك هم الخاسرون الخسران
النقصان ومعناه هاهنا المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة
قوله كيف تكفرون بالله كيف في الاصل سوال
عن الحال لان جوابه يكون بالحال كما تقول كيف زيد فيقال
صالح او سقيم قال الزجاج كيف هاهنا استفهام في معنى
التعجب والتعجب انما هو للخلق اي اعجبوا من هولاء كيف يكفرون
بالله وقد ثبت حجة الله عليهم وقيل هو استفهام خارج
مخرج التوبيخ تقديره ويحكم كيف تكفرون بالله ثم قيل هذا خطاب
مع اليهود لانه قال عقيب هذا هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم اخر الكلام الى قصة ادم عليه السلام اي اتنكرون
محمدا عليه السلام وقد اقررتم بان الله خلق ادم واكرمه وبعث
موسى وبشر في كتابه بمحمد عليه السلام وقيل هو خطاب
لجميع الكفار وتكفرون تعدى بحرف الجر وقد عدي بنفسه
في قوله الا ان عادا كفروا ربهم وذلك حمل على المعنى اذ المعنى
جحدوا قوله وكنتم امواتا كان فعل ناقص تقول
كان زيدا قايما ومصدره الكون والكينونة وفيه اضمار اي كيف
تكفرون وقد كنتم امواتا كقوله تعالى ان كان قميصه قد من
دبر فكذبت اي فقد كذبت وفي قوله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ستة اقوال احدها وكنتم امواتا اي لم
تكونوا شيا فاحياكم اي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة
هذا قول ابن عباس وابن مسعود والثاني وكنتم امواتا
يعني في القبور فاحياكم للمسايلة ثم يميتكم في قبوركم بعد

المسالة

المسالة ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور لان حقيقة الموت
ما كان عن حياة وهذا قول ابي صالح والثالث وكنتم امواتا
يعني في اصلاب ابايكم فاحياكم اخرجكم من بطون امهاتكم ثم يميتكم
الموتة التي لا بد منها ثم يحييكم للبعث يوم القيمة قاله قتادة
والرابع وكنتم امواتا يعني ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على ادم
وذريته احياهم في صلبه واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم بعد
ذلك ثم احياهم واخرجهم من بطون امهاتهم وهو معنى قوله
يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وقوله وكنتم امواتا
يعني بعد اخذ الميثاق فاحياكم بان خلقكم في بطون امهاتكم ثم
ثم اخرجكم احيا ثم يميتكم بعد انقضا اجالكم في الدنيا ثم يحييكم
للنشور وهذا قول ابن زيد والخامس ان الموتة الاولى مفارقة
نطفة الرجل جسده الى رحم المراة فهي ميتة من حين مفارقة
الجسد الى ان ينفخ الروح فيها ثم يحييها بنفخ الروح فيها ثم يميته
الموتة الثانية بقبض الروح من جسده فهو ميت الى ان ينفخ
في الصور فذلك موتتان وحياتان والسادس وكنتم امواتا
اي خاملي الذكر فادرجكم في الذكر يقال هذا شي حي اي
له ذكر وهذا ميت اي لا ذكر له حكاه القشيري والماوردي
ثم يحييكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم للبعث فاستشهد من قال
بهذا التاويل بقول السعدي
فاحييت من ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض
قوله ثم اليه ترجعون فيه قولان احدهما تردون الى
الموضع الذي لا امر لاحد فيه غير الله والثاني ثم ترجعون الى
حكمه فيفعل بكم ما يشا وقرا يعقوب ترجعون وبابه بفتح
التا واليا وكسر الجيم جعل الفعل لهم قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قال المفسرون لما

استعظم المشركون من الاعادة عرفهم خلق السموات والارض ليدلهم
بذلك على قدرته على الاعادة وخلق الشي ابتداعه واخراجه
من العدم الى الوجود ه قوله لكم اى لاجلكم بعضه للانتفاع
وبعضه للاعتبار كالسباع والعقارب فان فيها عبرة وتخويفا
لانه اذا راى طرفا من المتوعد به كان ابلغ في الزجر عن المعصية
وقوله جميعا حال في معنى مجتمعا ه قوله ثم استوى
الى السما فيه سبعة اقوال احدها اقبل عليها وهذا قول الفرا
والثاني معناه عمد اليها وقصد الى خلقها والثالث معناه ان
فعل الله تحول الى السما وهذا قول المفضل والرابع معناه ثم استوى
امره وصنعه الذى صنع به الاشيا الى السما وهذا قول الحسن البصري
والخامس معناه ثم استوت به السما والسادس انه فعل فعلا
فسماه استوا كما يقال كان الامير يريد اهل الشام ثم استوى الى
العراق اى تحول فعله اليهم وهو معنى قول المفضل والسابع
ان الاستوا الارتفاع والعلو وممن قال بذلك الربيع بن انس ه
ثم اختلف قايلوا هذا التاويل في الذى استوى الى
السما فعلا عليها على قولين احدهما انه خالقها ومنشيها والثاني
انه الدخان الذى جعله الله للارض سما حكى هذا الماوردي
والسما لفظها لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع بدليل قوله تعالى
فسواهن وقد يرد الواحد ويراد به الجمع قال الله تعالى انا
رسول رب العالمين وقوله فانهم عدو لي وقيل السما اسم
الجنس فهو للجمع كما يقال كثر الدينار والدرهم في ايدي الناس
وقد تقدم عند قوله او كصيب من السما فان قيل ايهما اسبق في
الخلق قلنا فيه قولان احدهما الارض قاله مجاهد والثاني
السما قاله مقاتل وسياتي بيان ذلك ثم سمى السما قبل ان جعل
الدخان المرتفع سماوات كما تقول لمن تدفع اليه غزلا اعمل

هذا

هذا الغزل ثوبا قبل النسج ويجوز ان يكون المعنى ثم قصد الى خلق
هذه السما التى ترون هنا فيكون الخبر واقعا بعد تمام الفعل قوله
فسواهن انما جمع الضمير لان السما جمع سماوة ابدلت اليا فيها همزة
لوقوعها طرفا بعد الف زايدة والتسوية جعل الشيين او الاشيا
على استوا ه قوله سبع سموات سبع منصوب على البدل
من الضمير وقيل التقدير فسوى منهن سبع سموات كقوله
تعالى واختار موسى قومه فيكون مفعولا به وقيل سوى بمعنى
صير فيكون مفعولا ثانيا والمعنى انه خلق سبع سموات
مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها
والسبع للمونث والسبعة للمذكر على خلاف الاصل في قايم
وقايمة ه قوله تعالى وهو بكل شي عليم قرى بسكون
الها مع الواو والفا واللام كان هذه الحروف من نفس الكلمة
والتخفيف كالتخفيف في سبع وعضد من سبع وعضد وقرى
بضم الها على الاصل فدل بالاية على كمال قدرته وعلى كمال
علمه ه قوله تعالى واذ قال ربك قال ابو عبيدة اذ
هاهنا زايدة معناه وقال ربك للملايكة وانكر
الزجاج وغيره هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنا
صحيحا لم يجز الغاوه وقالوا وفي الاية محذوف معناه واذكر
يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران من هذا النحو فسبيله
هذا وقيل هو خبر مبتدا محذوف تقديره وابتدا خلقي
اذ قال ربك واذ واذا حرفا توقيت الا اذ للماضي واذا للمستقبل
وقد يوضع احدهما موضع الاخر قال المبرد اذا جا اذ مع
المستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله واذ يمكر واذ يقول
واذ مكروا واذا قلت واذا جا اذا مع الماضي كان معناه
مستقبلا كقوله تعالى فاذا جات الطامة فاذا جا نصر الله

اي تجيء وانما ذكر الواو فقال واذ على نية اعادة ما تقدم ذكره
ونظيره وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين اي اريناه ذلك المعنى ههنا واذ قال ربك للملايكة
خلق لكم ما في الارض جميعا وقيل هو عطف على المعنى اي لم تكفرون
بالله ولم لا يذكرون نعمة الله اذ احياكم وخلق لكم ما في الارض
جميعا واذ قال ربك للملايكة اني جاعل ونظيره الم تر الى الذي
حاج ابراهيم ثم قال او كالذي مر وكان عطفا على المعنى اي هل
رايت كالذي حاج او كالذي مر وقال البجلي اذ يتعلق بما
بعده اي اذ قال ربك للملايكة اني جاعل كذا وقالت الملايكة
اتجعل فيها والملايكة تختلف في واحدها واصلها فقال قوم
واحدهم في الاصل مالك على مفعل لانه مشتق من الالوكة وهي
الرسالة ومنه قول لبيد

وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال

فالهمزة فا الكلمة ثم اخرت فجعلت بعد اللام فقالوا ملاك
قال الشاعر

فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب

ووزن ملاك معفل والجميع ملايكة على معافلة وقال
اخرون اصل الكلمة لاك فعين الكلمة همزة واصل ملك
ملاك من غير نقل وعلى كلا القولين القيت حركة الهمزة
على اللام وحذفت فلما جمعت ردت فوزنه الان مفاعلة وقال
اخرون عين الكلمة واو وهو من لاك يلوك اذا ادار الشي في
فيه فكان صاحب الرسالة يديرها في فيه فيكون اصل ملاك
ملاك مثل معاذ ثم حذفت عينه تخفيفا فيكون اصل ملايكة
ملاوكة مثل مقاولة فابدلت الواو همزة كما ابدلت واو مصايب
وقال اخرون ملك فعل من الملك وهو القوة فالميم اصل

ولا حذف فيه لكنه جمع على فعايلة شاذا قال الماوردي الملايكة
افضل الحيوان واعقل الخلق الا انهم لا ياكلون ولا يشربون ولا
ينكحون ولا يتناسلون ولا يعصون الله في صغير ولا كبير ولهم
اجسام لطيفة لا يرون الا اذا قوى الله ابصارنا على رويتهم ن
وسياتي القول في بيان ان الملايكة افضل ام بني ادم عند
قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم ان شا الله تعالى وفي هولا
الملايكة قولان احدهما انهم جميع الملايكة قاله السدي
والثاني انهم الذين كانوا مع ابليس حين اهبط الى الارض ذكره
ابو صالح عن ابن عباس قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة في معنى جاعل قولان احدهما انه بمعنى خالق فيتعدى
الى مفعول واحد والثاني بمعنى فاعل لان حقيقة الجعل نقل
الشي الى صفة وحقيقة الاحداث ايجاد الشي بعد العدم والارض
ارض مكة قوله خليفة فعيلة بمعنى فاعل اي يخلف
غيره ويقوم مقامه واصله خليف والها للمبالغة مثل قولك
رجل راوية وعلامة والخلف بتحريك اللام من الصالحين
والخلف بتسكينها من الصالحين وقيل في التنزيل
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة وفي الحديث يحمل
هذا العلم من كل خلف عدوله وسياتي مستوفيا عند قوله
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب في سورة الاعراف
وفي خلافة ادم وذريته ثلثة اقوال احدها ان الله خلق
السما والارض وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة
السما واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض
ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا فافسدوا فبعث الله اليهم جندا
من الملايكة يقال لهم الجن راسهم ابليس وهم خزان الجنان
اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا الى الارض وطردوا الجن عن

وجهها والحقوهم بشعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض
وكانوا اخف الملائكة عبادة لان اهل السماء الدنيا اخف
عبادة من الذين فوقهم وكذلك اهل كل سماء وهاولا الملائكة
لما صاروا سكان الارض خفف الله عليهم العبادة فاحبوا
البقاء في الارض وكان الله تعالى قد اعطى ابليس ملك الارض
وملك السماء الدنيا وخزانة الجنان فكان يعبد الله تارة في الارض
وتارة في السماء وتارة في الجنة فاعجب بنفسه وتداخله الكبر فاطلع
الله على ما انطوى عليه من الكبر فقال له ولجنده اني جاعل في
الارض خليفة فجعل الله ادم وذريته بدلهم قاله الجمهور والثاني
انه اراد قوما يخلف بعضهم بعضا من ولد ادم يخلفون ادم في
اقامة الحق وعمارة الارض الى قيام الساعة وهذا قول الحسن
البصري والثالث انه اراد اني جاعل في الارض خليفة يخلفني
في الحكم بين خلقي وهو ادم ومن قام مقامه من ولده وهذا قول
ابن مسعود واختلفوا ما المقصود في اخبار الله تعالى الملائكة
بخلق ادم على ستة اقوال احدها انه علم في نفس ابليس الكبر
فاحب ان يطلع الملائكة عليه كما سبق والثاني انه اراد
ان يبلوا طاعتهم قاله الحسن والثالث انه لما خلق النار خافت
الملائكة فقالوا ربنا لم خلقت هذه قال لمن عصاني
فخافوا وجود المعصية منهم وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم
فقال لهم اني جاعل في الارض خليفة قاله ابن زيد والرابع انه
اراد اظهار عجزهم عن الاحاطة بعلمه فاخبرهم حين قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها فاجابهم اني اعلم ما لا تعلمون والخامس انه
اراد ان يعظم ادم بذكره بالخلافة قبل وجوده ليكونوا معظمين
له اذا وجد والسادس انه اراد اعلامهم بانه خليفته ليسكنه
الارض وان كان ابتدا خلقه في السماء روى انس بن مالك

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله ادم جعل ابليس
يطيف به فلما نظر اليه اجوف قال ظفرت به خلقا لا يتمالك
رواه الحاكم في صحيحه قوله تعالى قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها جواب من الملائكة حين اخبرهم انه جاعل في الارض هذا مع
خليفة فان قيل كيف علموا ذلك وهو غيب فالجواب
عنه ما قاله السدي لما قال لهم الله ذلك قالوا وما يكون من ذلك
الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا قالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها
ومعناه فقالوا وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله اعلم الملائكة
انه جاعل في الارض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء
فاذن الله للملائكة ان يسألوه عن ذلك وكان اعلامه اياهم
هذا زيادة في التثبت في نفوسهم انه يعلم الغيب فكانهم قالوا
اتخلف قوما يسفكون الدماء وانما ينبغي اذا عرفوا انك خلقتهم
ان يسبحوا بحمدك كما نسبح ونقدس ولم يقولوا هذا الا وقد اذن
لهم لان الله وصفهم بانهم يفعلون ما يؤمرون وقال بعضهم
فيه اضمار واختصار معناه اتجعل فيها من يفسد فيها ام تجعل
فيها من لا يفسد فيها كقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل يعني
كمن هو غير قانت وهو اختيار الحسين بن الفضل وقال
اكثر المفسرين انهم قالوه ظنا وتوهما لانهم راوا الجن من قبلهم
قد افسدوا في الارض وسفكوا الدماء فتصوروا انه ان استخلف
غيرهم كانوا مثلهم فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل
بنو الجان وقيل عرفوا ان في بني ادم من يفسد ولكن وجه
الخطا انهم عمموا الحكم على الجميع بالمعصية فبين الرب ان فيهم
من يفسد وفيهم من لا يفسد وقيل وجه خطاياهم اعتزازهم
بطاعتهم وتعجبهم فبين ان فيهم ايضا من يعصي اذا ركب فيهم

الشهوة وفي بني ادم من لا يعصي قالوا الخلق ربنا ما يشا فلن نخلق
خلقا اشرف منا ولا اكرم وقيل لما قالوا هذا ارسلت نار من السما
فاحرقتهم وهم عشرة الاف ملك ومثل هذا لا يستبعده العقل
ولكنه يتوقف على النقل الصحيح وقيل قبل توبتهم لما قالوا لا
علم لنا وقيل قالوا ذلك لانه شق عليهم الصعود الى السما لان
عبادة اهل السما اشق واثقل وفي هذا نوع اعتراض على الله
ايضا وقيل ما قالوا ما قالوه اعتراضا ولكن سالوه ان يبقيهم في
الارض فبين انه اعلم بمصالح عباده وميل قوم الى تفضيل الملايكة
وتنزههم عن الاعتراض ومفارقة الذنب قال القشيري القول
الحق ان التفضيل بكثرة احسان الله تعالى الى العبد لا بالجنس والجوهر
فان الجواهر متماثلة ولا بكثرة الطاعات فلا يستحيل في العقل
ان يفضل ادميا على الملايكة وليس فيه خبر قطعي بل ظاهر
هذه الاية يدل على تفضيل ابن ادم ونعلم ان المراد تفضيل خيارهم
قوله تعالى ويسفك الدما السفك صب الدم خاصة دون
غيره من الما والمايع والسفح مثله الا انه مستعمل في كل مايع
على وجه التضييع ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح لتضييع مائه
فيه والجمهور على تخفيف يسفك الدما وقد قري بضمها وهما
لغتان وقرا بالتشديد للتكثير وهمزة الدما منقلبة عن ياء
لان الاصل دم على وزن فعل لانهم قالوا دميان وقيل وزنه
فعل والاصل فيه دمي قوله ونحن نسبح بحمدك
معنى التسبيح تنزيه الله تعالى من كل سو وكل ما لا يليق
على الله تعالى وبعده عن السو فقد سبح الله ولا يجوز تسبيح
غير الله وان كان منزها لانه صار علما في الدين على اعلى
مراتب التعظيم التي لا يستحقها الا الله تعالى وفي المراد
بقوله ونحن نسبح بحمدك لله اقوال احدها سبحان الله وبحمده

قاله

قاله الحسن وهي صلاة الخلق وتسبيحهم وعليها يرزقون
يدل عليه الحديث المروي عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للمليكته
سبحان الله وبحمده والثاني معناه نصلي لك بامرك ومنه قيل
للصلاة سبحة وفي التنزيل فلولا انه كان من المسبحين اي من
المصلين وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والثالث معنى
نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد تسبيح له
كما قال تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم وقال تعالى
نسبح بحمد ربك اي بحمده ويكون حمد الحامد لله تسبيحا له
لان معنى الحمد الثنا عليه والشكر له وهذا تنزيه له واصل
التسبيح التبعيد يقال سبح في الارض اي تباعد فيها قوله
ونقدس لك اصل التقديس التطهير ومنه الارض المقدسة
اي المطهرة والمعنى ننزهك ونطهرك عما لا يليق بك من النقص
واللام زايدة اي نقدسك وقال الزجاج اي نطهر
انفسنا لاجلك فاللام لام اجل اي لاجلك نطهر قلوبنا من الشرك
وابداننا من المعصية ويجوز ان يكون معدية للفعل كتعدية
الباء مثل سجدت لله وقال بعض العلما في الاية تقديم وتاخير
مجازها ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك لانه اذا حملت الاية
على التاويل الاول ضاهى قول الملايكة التزكية والادلال
بالعمل واذا حملت على هذا التاويل ضاهى قولهم التحدث
بنعمة الله واضافة المنة الى الله تعالى فكانهم قالوا انا
وان سبحنا وقدسنا واطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك
لا بانفسنا قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الاصل
انني فحذفت النون الوسطى لا نون الوقاية هذا هو الصحيح

واعلم يجوز ان يكون فعلا ويكون ما مفعولا اما بمعنى الذي او
نكرة موصوفة والعائد محذوف ويجوز ان يكون اسما مثل
افضل فيكون ما في موضع جر بالاضافة ويجوز ان يكون في
موضع نصب باعلم كقولهم هولا حواج بيت الله بالنصب والجر
وسقوط التنوين لان هذا الاسم لا ينصرف فان قلت افعل لا
ينصب مفعولا قيل اذا كانت من معه مرادة لم تنصب واعلم
هاهنا بمعنى عالم وفي قوله اني اعلم ما لا تعلمون سبعة اقوال
احدها اعلم ما لا تعلمون من استخلاف في الارض ووجه
المصلحة فيه فلا تعترضوا على حكمي وتدبيري والثاني اني اعلم
ان في ذرية ادم من استخلفه في الارض انبيا واوليا وعلما وصلحا
والثالث اعلم انهم يذنبون واني اغفر لهم والرابع اعلم ما في نفس
ابليس من المعصية والبغي قاله ابن عباس ومجاهد والسدي
والخامس اني املا جهنم من الجنة والناس قاله ابن زيد والسادس
اني اعلم عواقب الامور فاني ابتلي من تظنون انه مطيع فيوديه
الابتلا الى المعصية كابليس ومن يظن به المعصية فيطيع
قاله الزجاج والسابع اعلم ما لا تعلمون من تفضيل ادم
عليكم وما اتعبدكم به من السجود له وافضله به عليكم من تعليم
الاسما وذلك انهم قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق
خلقا افضل منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا
قبله ورايناما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم فضل الله ادم عليهم بالعلم
فعلمه الاسما كلها وقال بعض الحكما ان الله تعالى
اخرج ادم من الجنة قبل ان ادخله فيها بقوله اني جاعل في الارض
خليفة ثم كان خروجه من الجنة بذنبه فدل على انه كان بقضا
الله وقدره **فصل** في معنى الخليفة ذكر ان عمر بن الخطاب

سال

سال طلحة والزبير وكعبا وسلمان ما الخليفة من الملك
فقال طلحة والزبير ما ندري فقال سلمان ان الخليفة
الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم
شفقة الرجل على اهله والوالد على ولده ويقضي بكتاب الله
فقال كعب ما كنت احسب ان في المجلس احدا يعرف الخليفة
من الملك غيري ولكن الله تعالى الهم سلمان علما وحكما وحلما
وعدلا له وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لسلمان
املك انا ام خليفة فقال سلمان ان انت جبيت من المسلمين
درهما او اقل او اكثر ووضعته في غير حقه فانت ملك
وان فعلت بالعدل والانصاف فانت خليفة فبكا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان معاوية رضي الله عنه يقول
على المنبر ايها الناس ان الخلافة ليست بجمع المال ولا بتفريقه
ولكن الخلافة العمل والحكم بالعدل واخذ الناس بامر الله تعالى بالحق صح
قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها فيه اضمار اي فخلق
ادم وعلمه الاسما كلها ويجوز ان يكون مستانفا وان يكون
معطوفا على قال ربك وموضعه جر كموضع قال ويقوي ذلك
اضمار الفاعل وقري وعلم ادم على ما لم يسم فاعله وفي تسميته
ادم قولان احدهما انه سمي ادم لانه خلق من ادم الارض وادنها
هو وجهها الظاهر قاله ابن عباس وابن جرير والزجاج
روى ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا
بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود وبين ذلك
والسهل والحزن وبين ذلك والخبيث والطيب قال الترمذي
هذا حديث صحيح وقد اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

خلق الله ادم بعد العصر يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة
من ساعات الجمعة ما بين العصر الى الليل قال ابن عباس
لما نفخ فيه الروح اتته النفخة من قبل راسه فجعلت لا تجري
في شي منه الا صار لحما ودما ومر ابليس على جسد ادم وهو ملقى
بين مكة والطايف لا روح فيه فقال لامر ما خلق هذا ثم دخل
من فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لا يتماسك لانه اجوف
والثاني انه اسم ماخوذ من الادمة وهي السمرة قاله الضحاك والنضر
ابن شميل وقطرب وادم افعل والالف فيه مبدلة من همزة
هي فا الفعل ولا يجوز ان يكون وزنه فاعلا اذ لو كان كذلك
لانصرف مثل عالم وخاتم والتعريف وحده لا يمنع وليس باعجمي
وقيل سمي ادم لبياضه يقال ناقة ادما اي بيضا وكنيته
ابو محمد وابو البشر قال فانه ليس في الجنة احد يكنى الا
ادم يكنى ابا محمد ووجه تعليمه ان خلق في قلبه علما بالاسماء
على سبيل الابتدا والهمه العلم بها وفي الاسما التي علمه
اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وهذا قول ابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والثاني ان علمه اسما معدودة
ثم فيها اربعة اقوال احدها انه علمه اسما الملايكة
قاله ابو العالية والثاني انه علمه اسما الاجناس دون انواعها
كقولك انسان وملك قاله عكرمة والثالث انه علمه
اسما ما خلق في الارض من الدواب والهوام والطير قاله
الكلبي ومقاتل وابن قتيبة والرابع انه علمه اسما ذريته
قاله ابن زيد فان قيل هل التعليم مقصور على الاسم دون المعنى
قلنا فيه قولان احدهما انه مقصور على الاسم دون المعنى
والثاني انه علمه الاسما ومعانيها اذ لا فايدة في علم الاسما
بلا معاني واذا قلنا بالقول الاول ففيه وجهان احدهما

انه

انه علمه اباها باللغة التي كان يتكلم بها والثاني علمه لجميع
اللغات وعلمها ادم ولده فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان
استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره لتطاول الزمان وزعم قوم
انهم اصبحوا وكل قوم منهم يتكلمون بلغة قد نسوا غيرها
في ليلة واحدة ومثل هذا في العرف ممتنع قاله الماوردي
قوله تعالى ثم عرضهم يعني اصحاب الاسما فلذلك ذكر
الضمير ومعنى العرض في اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض
الجند ويقال عرضت المتاع على البيع اذا اظهرته للمشتري قال تعالى
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اي ابرزناها حتى راوها
قال مقاتل ان الله خلق كل شي من الحيوان والجماد ثم علم
ادم اسماها ثم عرض تلك الشخوص من الموجودات على الملايكة
ولذلك قال تعالى ثم عرضهم على الملايكة لانه كنى عن المسمين
والمسميات وكان فيهم من الجن والانس والملايكة فلما اجتمع
من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل وقرا ابن مسعود عرضهن
وقرا ابي عرضها ردا الى الاسما والى المسميات ايضا وقيل عرض
الاسما دون المسميات ثم في زمان عرضهم قولان احدهما انه
عرضهم بعد ان خلقهم والثاني انه صورهم لقلوب الملايكة ثم
عرضهم قبل خلقهم فقال تعالى انبيوني اي اخبروني والنبا
الخبر وهذا امر تعجيز على سبيل التبكيت لانه كان عالما بعجزهم
عن الاخبار قوله باسما هولا يعني الاسما التي علمها
ادم يقرا بتحقيق الهمزتين على الاصل ويقرا بهمزة واحدة
ثم قيل المحذوفة هي الاولى لانها لام الكلمة والاخرى اول
الكلمة الاخرى وحذف اولى وقيل المحذوفة الثانية
لان الثقل بها حصل ويقرا بتليين الهمزة الاولى وتحقيق
الثانية وبالعكس ومنهم من يبدل الثانية يا ساكنة كانه

كانه قدرهما في كلمة واحدة طلبا للخفة ٥ قوله تعالى
ان كنتم صادقين فيه خمسة اقوال احدها ان كنتم صادقين فيما
زعمتم ان خلفاي يفسدون في الارض والثالث ان كنتم صادقين
اني استخلفتكم فيها سبحتموني وقدستموني وان استخلفت غيركم
عصاني والرابع معنى قوله ان كنتم صادقين اي عالمين والخامس
معناه ان كنتم صادقين فقالت الملايكة اقرارا بالعجز واعتذارا
سبحانك تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك ٥ وهو نصب
على المصدر عند الخليل والفرا لانك اذا قلت سبحان الله فكانك
قلت سبحت الله تسبيحا فتجعل السبحان في موضع التسبيح وقيل
على الندا المضاف اي يا سبحانك ٥ قوله تعالى لا علم لنا
الا ما علمتنا ما مصدرية اي الا علما علمتناه وموضعه رفع على البدل
من موضع لا علم كقولك لا اله الا الله ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي
ويكون علم بمعنى معلوم اي لا معلوم لنا الا الذي علمتناه قوله
تعالى انك انت العليم انت مبتدا والعليم خبره والجملة خبر ان ويجوز
ان يكون انت توكيدا للمنصوب ووقع بلفظ المرفوع لانه هو
الكاف في المعنى ولا يقع هاهنا اياك للتوكيد لانها لو وقعت لكانت
بدلا واياك لم يوكد بها ويجوز ان يكون فصلا لا موضع لها
والحكيم خبر ثاني او صفة للعليم على قول من اجاز صفة الصفة وهو
صحيح لان هذه الصفة هي الموصوف في المعنى والعليم بمعنى العالم
وفي الحكيم ثلثة اقوال احدها المحكم لافعاله كقولك عذاب اليم
وضرب وجيع اي المولم الموجع وعلى هذا التاويل هو صفة فعل
والثاني انه بمعنى الحاكم وحينيذ يكون صفة ذات واصل الحكمة
في كلام العرب المنع يقال للحديدة المعترضة في فم الدابة
حكمة اللجام لانها تمنع الدابة عن الاعوجاج والحكمة تمنع من
الباطل وما لا يحل قال جرير

ابني

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
اي امنعوهم والثالث انه المصيب للحق ومنه سمي القاضي حاكما
لانه يصيب الحق في قضاياه وهذا قول المبرد ٥ قوله قال
يا ادم انبيهم يقرا بتحقيق الهمزة على الاصل وبالياء على تليين الهمزة
ولم يقلبها قلبا قياسيا لانه لو كان كذلك لحذفت الياء كما تحذف
من قولك ابقهم من بقيت وقد قرى انبيهم بكسر الها من غير همز
ولا يا على ان يكون ابدل الهمزة يا ابدالا قياسيا وانبا يتعدى
بنفسه الى مفعول واحد والى الثاني بحرف الجر وهو قوله
باسمايهم وقد يتعدى بعن كقولك انباته عن حال زيد قال
المفسرون لما ظهر عجز الملايكة عن علم اسما الموجودات
قال الله تعالى يا ادم انبيهم باسمايهم فسمى كل شي باسمه والحق كل
شي بجنسه فلما انباهم اخبرهم باسمايهم كلها والميم يعودان على
المخلوقات التي عرضها قاله الاكثرون وقيل يعودان الى
الملايكة قاله الربيع بن انس ٥ قوله تعالى قال الم اقل
لكم اي قال الله للملايكة وفي الم معنى التوبيخ والتقرير ٥
قوله تعالى اني اعلم غيب السموات والارض اي ما غاب
عنكم فيها قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
تبدون مستانف وليس بمحكي بقوله الم اقل لكم ويجوز ان
يكون محكيا ايضا فيكون في موضع نصب وفي معنى الكلام
ثلثة اقوال احدها ما تبدون من الخضوع والطاعة
لادم حين مروا على جسد ادم فقال ابليس ان فضل عليكم
هذا ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه
ان فضلت عليه لاهلكنه ولين فضل علي لاعصينه قاله
ابن عباس ومقاتل والثاني هو قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها قاله السدي وما تكتمون ما اضمروه في انفسهم ان الله

ان الله لن يخلق خلقا الا كانوا اكرم عليه منه وهو قول الحسن
وقتادة والثالث ما تبدون من الاقرار بالعجز والاعتذار وما
تكتمون ما اسر ابليس من الكبر والعصيان قاله بن مسعود
فذكر بلفظ الجمع لان ابليس كان منهم ٥ فصل في حد
الاسم واقسامه الاسم كل لفظة دلت على معنى ما او شي ما وهو
مشتق من السيمة وهي العلامة التي يعرف بها الشي كما سبق
عند قوله تعالى بسم الله واقسامه ثمنية منها اسم علم مثل زيد
وعمرو ودار ونحوها ومنها اسم لازم كقولك رجل وامراة وشمس
وقمر وحجر ومدر سمي لازما لانه لا ينتقل ولا يفارق فلا يقال
للشمس قمر ولا للقمر حجر ومنها اسم مفارق مثل صغير وكبير
وطفل وكهل وقليل وكثير وقيل له مفارق لانه كان
ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه بزوال المعنى المسمى به ومنها
اسم مشتق مثل كاتب وخياط وصايغ وصباغ فالاسم مشتق
من فعله ومنها اسم مضاف مثل غلام جعفر وثوب عمرو
ودار زيد ومنها اسم مشبه فلان اسد وحمار وشعله نار ومنها
اسم منسوب يثبت بنفسه ويثبت غيره كقولك ام واب
واخ واخت وابن وزوج وزوجه فاذا قلت اب فقد اثبته
واثبت له الولد واذا قلت اخ فقد اثبته واثبت له الاخ واذا
قلت اخت فقد اثبتها واثبت لها الاخت ونحوها ومنها
اسم الجنس وهو اسم واحد يدل على اشيا كثيرة كقولك حيوان
وناس وغير ذلك قوله تعالى واذ قلنا للملايكة
اسجدوا لادم اذ في معنى نصب بفعل على التي قبلها وقلنا هو من
خطاب الاكابر والعظما يقول الواحد منهم فعلنا لعلمه
بان اتباعه يفعلون كفعله فاخبر الله تعالى عن نفسه عن
الجمع لانه ملك الملوك والجمهور على كسر التا وقرى بضمها وهي

قراة ضعيفة واحسن ما يحمل عليه ان يكون الراوي لم يضبط
عن القاري وذاك ان يكون القاري اشار الى الضم ينبها على ان
الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتدا ولم يدرك الراوي هذه
الاشارة وقيل انه نوى الوقف على التا ساكنة ثم حركها
بالضم اتباعا لضم الجيم وهذا من اجرا الوصل مجرى الوقف
واختلفوا في الملايكة الذين امروا بالسجود لادم عليه السلام
فقيل انهم جميع الملايكة حتى جبريل وميكايل لانه قال
تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون وهذا تاكيد للعموم وهو
الاصح والثاني هم الذين كانوا مع ابليس في الارض واصل السجود
في اللغة الخضوع والتذلل وكل من ذل وخضع لما امر به
فقد سجد وسجود كل موات في القران طاعته لما سخر له
قال ابو عبيدة عين ساجدة اذا كانت فاترة ونخلة ساجدة
اذا مالت لكثرة حملها واختلفوا في صفة سجود الملايكة
لادم فقال بعضهم هو سجود تحية وتعظيم لا سجود صلاة
وعبادة نظيره في قوله تعالى وخروا له سجدا وكان ذلك تحية
الناس وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الارض
انما كان الانحنا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي الحديث
ان معاذ بن جبل رضي الله عنه رجع من اليمن فسجد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه عليه السلام فقال ما هذا
فقال رايت اليهود يسجدون لاحبارهم والنصارى يسجدون
لقسيسهم فقال رسول الله كذب اليهود والنصارى انما
السجود لله وقال بعضهم كان سجودا على الحقيقة جعله الله
قبلة لهم والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المومنين
والصلاة لله وفي ذلك ضرب من التعظيم وقال ابن مسعود
امرهم الله ان ياتموا به فسجد ادم والملايكة لله تعالى وقال

ابي بن كعب معناه اقروا لادم انه خير واكرم على منكم فاقروا بذلك
بالسجود على قول ابن مسعود وابي بمعنى الخضوع والطاعة
والتذلل ه قوله تعالى سجدوا الا ابليس اختلفوا في
هذا الاستثنا على قولين احدهما انه استثنا من الجنس وابليس
على هذا القول من الملايكة قال مجاهد وطاوس عن ابن
عباس كان ابليس قبل ان يركب المعصية ملكا من الملايكة
اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان سكان الارض
من الملايكة يسمون الجن ولم يكن من الملايكة اشد اجتهادا
ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله تعالى وابى السجود لادم
وعصاه غير صورته وجعله شيطانا وغير اسمه فسماه ابليس
وهذا قول ابن مسعود وابن جريج وقتادة واكثر المفسرين وقيل
انه جعل من الجن لانه كان من خزان الجنة فاشتق اسمه منها
روي عن ابن مسعود وقيل سمي بذلك لانه جن عن طاعة الله
وقيل ان الجن اسم لكل ما اجتن فلم يظهر والقول الثاني انه
ليس من الملايكة وانما هو ابو الجن كما ان ادم عليه السلام
ابو الانس وهذا قول الحسن وقتادة وابن زيد وهذا استثنا
من غير الجنس وهو غير ممتنع كما قال تعالى ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وهذا استثنا منقطع ولانه امر بالسجود معهم
فاستثني من انه لم يسجد وهذا كما تقول امرت عبدي ولخوتي
فاطاعوني الا عبدي هذا قول الزجاج واحتجوا على صحة هذا
القول بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يومرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما واحتجوا ايضا
بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومتى اطلق لفظ
الجن لم يجز ان يعبر به الا الجنس المعروف ولان ابليس له
نسل وذريه ولانه مخلوق من النار قال تعالى جاعل الملايكه

رسالة

رسالة فعمها بالوصف والرسالة ولا يجوز على رسول ان يكفر كما
لا يجوز ذلك على رسله من البشر من قبل انهم حجة الله على خلقه
فالملايكة بهذه المنزلة ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب
وكان يكون لا سبيل الى الفرق بين الصدق والكذب فيما اخبروا
به عن الله تعالى والجمهور على انه كان من الملايكة واحتجوا بانه
لو كان من غير الملايكة ما كان ملوما في ترك السجود لان
الامر انما تناول الملايكة دون غيرهم واما ما احتج به من
انهم لا يعصون الله ما امرهم وانه نفي نفيا عاما فان العموم قد
تخصص منه الشي نحو قوله تعالى واوتيت من كل شي تؤتاه
الملوك ولم يرد جميع الاشيا واما قوله تعالى الا ابليس كان من
الجن فان الجن جنس من الملايكة وقيل يقع الجنس على
جميع الملايكة لاجتنانها عن العيون قال تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنه نسبا وهم الملايكة واما قولهم ان لابليس نسلا
والملايكة ليست كذلك فلا دليل فيه ولان الله لما اهبطه الى
الارض تغير حاله عن حال الملايكة كما ذكرناه واما قولهم
انه مخلوق من النار فقد قال الحسن الملايكة خلقوا من النور
والنار والنور سوا ومنعهم جواز الفسق على الملايكة لا يصح
لقصة هاروت وماروت واختلفوا في تسميته ابليس على
قولين احدهما وهو اكثر اهل اللغة والتفسير انه سمي بهذا
الاسم لانه ابلس من رحمة الله تعالى اي ايس من رحمة الله
ومن كل خير ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي ايسون
من الخير والثاني وهو قول ابن الانباري لا يجوز ان يكون مشتقا
من ابلس لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون اكليل
وبابه وترك تنوينه في القران يدل على انه اعجمي معرب
والعجمي لا يعرف له اشتقاق ه قوله تعالى ابى وهو في

موضع نصب على الحال من ابليس تقديره ترك السجود كارها له
ومستكبرا ومعنى الاستكبار الانفة قوله تعالى
وكان من الكافرين فيه ثلثة اقوال احدها معناه وصار من الكافرين
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين والثاني وكان في سابق
علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة والثالث انه قد
كان قبله قوم كفار كان ابليس منهم وهذا قول من قال ما كان
من الملايكة روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي ويقول يا ويلاه امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنه وامرت
بالسجود فابيت فلي النار وعن ابي العالية انه قال لما ركب
نوح السفينه اذا هو بابليس على كوثلها فقال له ويحك قد غرق
الناس من اجلك قال فما تامرني ان افعل قال سل ربك هل قال تب صح
لي من توبه فسال فقال ان توبته ان يسجد لقبر ادم فقال تركته
حيا واسجد له ميتا قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنه ساق الكلام الى ان ابليس لما ابى ليستنزل ادم واخرجه
من الجنه والمعنى اتخذ الجنه ماوى ومنزلا وليس معناه استقر في
مكانك ولا تتحرك وانت توكيد للضمير الذي في الفعل التي به
ليصح العطف عليه ومثله اذهب انت وربك قوله وزوجك
يعني حوا قال الفرا اهل الحجاز يقولون لامراة الرجل زوج له
ويجمعونها الازواج وكان الاصمعي يوثر ترك الها في الزوجه
والقران كله عليه وتميم وكثير من قيس واهل نجد يقولون
زوجة ويجمعونها زوجات وهو اختيار الكسائي والاولى حذف
الها لان الاضافة لازمة لهذا الاسم فاكتفي بالاضافة عن الها وسميت
امراة لانها خلقت من المرء واما تسميتها حوا ففيه ثلثة اقوال
احدها سميت حوا لانها خلقت من حي وهذا قول ابن عباس

وابن

وابن مسعود والثاني انها سميت بذلك لانها ام كل حي والثالث
سميت حوا لان في شفتها كان حوة يعني حمرة واختلفوا
في الوقت الذي خلقت فيه حوا على قولين احدهما ان ادم عليه
السلام كان في الجنة وحشيا لم يكن معه من يجالسه ويوانسه
فنام نومة فخلق الله تعالى حوا من قصيراه من شقه الايسر
من غير ان احس ادم بذلك ولا وجد له الما ولو الم بذلك ما عطف
رجل على امراته فلما ذهب ادم من نومه اذا هو بحوا جالسة
عند راسه كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت زوجتك
خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك فقالت الملايكة عند
ذلك امتحانا لعلم ادم يا ادم ما هذه قال امراة قالوا وما اسمها
قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حي قالوا اتحبها
يا ادم قال نعم فقالوا لحوا اتحبينه قالت لا وفي قلبها اضعاف
ما في قلبه من حبها فقيل لو صدقت امراة في حبها لزوجها
لصدقت حوا وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والقصيرى
والقصيرى الضلع التي تلي الشاكلة وهي الواهنة في اسفل
الاضلاع والثاني انها خلقت من ضلعه قبل دخول الجنة ثم دخلا
معا الى الجنة لقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وهذا
قول ابن اسحاق فعلى هذا يجوز ان يقال جرى هذا الخطاب
قبل دخول الجنه ويجوز ان يقال جرى بعد دخول الجنة
وعلى القول الاول يجوز ان يقال جرى قبل اسكانه الجنة
كما تقول اسكن انت وزوجك دارك لمن يريد ان يتزوج ولم يتزوج
بعد على معنى انها ستصير زوجته ويجوز ان يقال جرى الخطاب
بهذا في الجنه بعد خلق حوا واختلفوا في الجنه التي اسكناها
على قولين احدهما انها جنة الخلد والثاني انها جنة اعدها الله
لهما وقالت القدرية الجنة التي اسكنها الله ادم وحوا لم تكن جنة

جنة الخلد وانما كانت بستانا من بساتين الدنيا واحتجوا
بان الجنة لا يكون فيها ابتلاء وتكليف ٥ والجواب
انا قد اجمعنا على ان اهل الجنة مامورون فيها بالمعرفة ومكلفون
بذلك جواب اخر وهو ان الله تعالى قادر على الجمع
بين الاضداد فارى ادم المحنة في الجنة وارى ابراهيم عليه السلم
النعمة في النار لئلا يامن العبد ربه ولا يقنط من رحمته ولتعلم
ان له ان يفعل ما يشا واحتجوا ايضا بان من دخل الجنة يستحيل
عليه الخروج منها قال الله تعالى وما هم منها بمخرجين ٥
والجواب ان من دخلها للثواب فلا يخرج منها ابدا
وادم لم يدخلها للثواب الا ترى ان رضوان وخزان الجنة يدخلونها
ثم يخرجون منها وابليس ايضا كان خازن الجنة فاخرج
منها كما سبق ذكره ٥ قوله تعالى وكلا منها
رغدا حيث شيتما الاصل في كل اوكل مثل اقتل الا ان
العرب حذفت الهمزة الثانية تخفيفا ومنها اي من ثمرها فحذف
المضاف وموضعه نصب بالفعل قبله ومن لابتدا الغاية
ورغدا صفة مصدر محذوف اي اكلا رغدا ويجوز ان يكون
مصدرا في موضع الحال تقديره كلا مستطيبين وفي الرغد
ثلثة اقوال احدها انه العيش الهني وهذا قول ابن عباس
وابن مسعود ٥ ومنه قول امري القيس

بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد

والثاني انه العيش الواسع وهذا قول ابي عبيدة والثالث
انه اراد الحلال الذي لا حساب فيه وهو قول مجاهد وقال الليث
الرغدان ياكل ما شا اذا شا حيث شاء ٥ قوله تعالى
حيث شيتما حيث ظرف مكان والعامل فيه كلا ويجوز
ان يكون بدلا من الجنة فيكون حيث مفعولا به لان الجنة مفعول

وليس

٤٥

وليس بظرف لانك تقول سكنت البصرة وسكنت الدار بمعنى
نزلت فهو كقولك انزل من الدار حيث شيت وحيث مبني على
الضم تشبيها بالغاية نحو قبل وبعد ٥ قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة الهاء بدل من اليا في هذي لانك تقول
للمونث هذي وهاتي والياء للمونث مع الدال لا غير
والهاء بدل منها لانها تشبهها في الخفا والشجرة نعت لهذه
وقرى في الشاذ هذه الشيرة وهي لغة ابدلت الجيم فيها يا لقربها
منها في المخرج فتكونا جواب النهي لان التقدير ان تقربا تكونا
وحذف النون هاهنا علامة النصب لان جواب النهي اذا
كان بالفا فهو منصوب ومعنى لا تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا
منها لان ادم عصى بالاكل منها لا بالدنو فهي نهي بابلغ لفظ
يكون والشجرة في اللغة ما لها ساق تبقى في الشتا والنجم ما ليس له
ساق ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان ٥ واختلفوا في
الشجرة التي نهي ادم عنها فقال بعضهم وقع النهي عن جنس
من الشجر وقال بعضهم بل وقع على شجرة مخصوصة ٥
واختلفوا فيها فقال علي كرم الله وجهه هي شجرة الكافور
وقيل هي شجرة يقال لها شجرة العلم من اكل منها علم الاشيا
وفيها من الوان الثمار كلها قاله ابو صالح عن ابن عباس وهو
قول قتادة وقيل هي السنبلة وهو قول ابن عباس وعبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وعطية ومحارب
ابن دثار ومقاتل وقيل هي الكرم روى ذلك عن ابن مسعود
وسعيد بن جبير وقيل هي التين روى ذلك عن عطا والحسن
وابن جريج وقيل هي النخلة وقيل هي شجرة الخلد روى ذلك
عن وهب بن منبه وهو لا يبعد وجها لان الله تعالى قد سماها
شجرة الخلد وانما الكلام في جنسها وقيل الاترج حكاه

القشيري وحكى ايضا انه نهي عن شجرة معينه ولم يعينها لنا ك
وسمي الشجر شجرا لتشابك الاغصان يقال تشجر بينهم شي ٥ قوله
تعالى فتكونا من الظالمين اصل الظلم وضع الشي في غير موضعه
ومن امثال العرب من اشبه اباه فما ظلم قال الاصمعي
اي ما وضع الشبه في غير موضعه ويقال ظلم الما الوادي
اذا وصل منه الى مكان لم يكن يصل اليه فيما مضى والمعنى
فتكونا من العاصين الذين وضعوا امر الله في غير موضعه
فان قيل فما الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي قلنا
انه ابتلا من الله تعالى واختلفوا في معصية ادم عليه السلام
باكله من الشجرة على اي وجه وقعت منهم فمنهم من قال
اكل منها وهو ناسي للنهي لقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم
من قبل فنسي وزعم صاحب هذا القول ان الانبيا يلزمهم من التحفظ
والتيقظ ما لا يلزم غيرهم لكثرة معارفهم وعلو منازلهم فيكون
تشاغله عن تذكر النهي تضييعا صار به عاصيا ومنهم من قال
اكل منها وهو عامد عالم بالنهي وتاول قوله فنسي اي فترك
ليكون بالعهد في معصيته يستحق عليها الذم وقيل اكل منها
على جهة التاويل وصار عاصيا باغفال الدليل لان الانبيا لا يجوز
ان يقع منهم الكباير ولقوله في ابليس فدلاهما بغرور وهو ما
صرفهما اليه من التاويل واختلف من قال بهذا في تاويله الذي
استجاز به الاكل فمنهم من قال تاول على جهة التنزيه دون التحريم
وقيل النهي عن عين الشجرة ومن جنسها وانه اذا اكل من غيرها
من الجنس لم يعص وقيل ان التاويل ما حكاه الله تعالى عن
ابليس في قوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقال الحلي نهي عن
الاكل فعصى بالذوق وقال سعيد بن المسيب سقته حوا

الخمر فسكر فاكل وكان يحلف بالله انه ما اكل من الشجرة
وهو يعقل ومن قال عصى بالاكل قال كان ذلك قبل النبوة
وقيل بعد النبوة ويجوز على الانبيا الصغاير فيما لا يتعلق بالتبليغ
واخراج ادم من الجنة بسبب الاكل علامة ظاهرة على ان ما
جرى منه كان ذنبا ٥ قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها
يقرا بتشديد اللام من غير الف اي حملهما على الزله وقرا حمزة
فازالهما اي نحاهما وهو من قولك زال الشي يزول اذا فارق
موضعه وازلته نحيته ونسب الفعل الى الشيطان لان زوالهما
عنها انما كان بتزيينه وتسويله فلما كان ذلك منه اسند الفعل
اليه لانه السبب والشيطان هو ابليس ٥ وقوله تعالى
عنها يعني عن الجنة وقيل عن الطاعة وقيل عن الشجرة فمعناه
ازلهما بزلة صدرت عن الشجرة ٥ قوله تعالى فاخرجهما
مما كانا فيه ما بمعنى الذي ويجوز ان يكون نكرة موصوفة اي من
نعيم او عيش وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس ادم
وحوا فمنعه الخزنة فاتى الحيه وكانت احسن الدواب لها اربع قوايم
كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقا
فسالها ان تدخله في فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا
يعلمون فادخلته الجنة واستعلم من الطاوس الشجرة التي نهى
عنها ادم وقد كان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم
والكرامة فقال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه واتاه
من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي ادم وحوا وهما لا
يعلمان انه ابليس فناح عليهما وبكا وهو اول من ناح فقالا
له ما يبكيك فقال ابكي عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه
من النعمة والكرامة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى
ثم اتاهما بعد ذلك فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد

وملك لا يبلى فأبى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما كانا يظنان ان احداً يحلف بالله تعالى كاذباً فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم حتى اكلها وقيل انه وقف على باب الجنة وناداهما لانهما كانا يخرجان من الجنة قاله الحسن وقيل انه وسوس اليهما واوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له الى الجنة ويدل عليه قوله فوسوس لهما الشيطان قاله محمد بن اسحاق ه قوله تعالى وقلنا اهبطوا الجمهور على كسر الباء وهي اللغة الفصيحة وقرئ بضمها وهي لغة والهبوط الانحدار من علو والقصد بها المكان الذي يهبط فيه والى من ينصرف هذا الخطاب قيل الى ادم وحوا والحية وابليس حكاه السدي عن ابن عباس وقيل الى ادم وابليس قاله مجاهد وقيل الى ادم وحوا فحسب ويكون لفظ الجمع واقعاً على التثنية كقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ذكره ابن الانباري وقيل اهبطوا اي من الجنة او من السماء او من الجبال العالية التي اتيتما فيها فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند وحوا بجدة وابليس بالابلة او البصرة والحية باصفهان وقيل بنصيبين روى ذلك عن ابن عباس والطاوس بن كيسان واختلفوا هل هبطوا جملة ام متفرقين على قولين احدهما انهم اهبطوا جملة لكنهم نزلوا في مواضع متفرقين قاله وهب وكعب والثاني انهم اهبطوا متفرقين فهبط ابليس قبل ادم وهبط ادم بالهند كما سبق يدل عليه قوله فاخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر للنبي عليه السلام لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه ه قوله تعالى بعضكم لبعض عدو وفيه ثلثة اقوال احدها ان ذريته بعضهم اعداء لبعض قاله مجاهد والثاني ان ابليس عدو لادم وحوا وهما له

عدو

عدو قاله مقاتل والثالث ان ابليس عدو للمؤمنين وهم اعداؤه قاله الزجاج والبعض من الشيء طايفة منه ولم يجوز الاصمعي دخول الالف واللام في بعض وكل لانهما معروفان من غير الف ولام وجوز المعظم ادخال الالف واللام في بعض وكل والعدو يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث اذا ذكرته بمعنى الاسم والمصدر والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك لا يعدونك هذا الامر اي لا يجاوزنك وعداه كذا اي جاوزه فسمي عدواً لمجاوزة الحد ومنه العدو بالقدم لمجاوزة المشي وهذا اخبار من الله لهم بالعداوة تحذيراً لهم وليس بامر لان الله لا يامر بالعداوة ه قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يجوز ان يكون مستانفاً ويجوز ان يكون حالاً ايضاً وتقديره اهبطوا متعادين ومستحقين الاستقرار ومستقر يجوز ان يكون مصدراً بمعنى الاستقرار ويجوز ان يكون مكان الاستقرار وفيه قولان احدهما ان المستقر من الارض مقامهم عليها كقوله تعالى جعل لكم الارض قراراً وهذا قول ابي العالية والزجاج وابن قتيبة والثاني موضع قبورهم منها وهذا قول السدي ه قوله تعالى ومتاع هو ما يتمتع به اي شيء كان وكلما حصل التمتع به فهو متاع ومنه سميت متعة النكاح ومنه قوله تعالى فمتعوهن اي ادفعوا اليهن ما ينتفعون به ه قوله الى حين الحين وقت من الزمان يصلح للاوقات كلها طالت ام قصرت ويجمع على الاحيان ثم تجمع الاحيان احايين والمراد بالحين ههنا فيما ذكره اهل التفسير حين الموت ه وقال مجاهد الى قيام الساعة وقال الربيع الى الاجل ه قوله تعالى فتلقى ادم يقرأ برفع الميم ونصب الكلمات وقرأ ابن كثير

بنصب الميم ورفع التاء بمعنى جاءت الكلمات آدم من ربه اي
استقبل تقول خرجنا نتلقى الحجيج اي نستقبلهم وكان
عليه السلام يتلقى الوحي اي يستقبله ويأخذه ويتلقفه
وقيل تلقى اي تلقن وهذا في المعنى صحيح ولكن لا يجوز ان
يكون التلقي من التلقن في الاصل لان احد الحرفين انما يقلب
ياء اذا تجانسا مثل تقضى مثل تقضض الكلمات جمع الكلمة
والكلمة تقع على الكثير والقليل فان سيبويه اوقع الكلمة
على الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد واستعمل
لفظ الكلام فيما يؤلف من هذه الكلم الثلاث والكلام
ماخوذ من التاثير لان له تاثيرا في النفس بما يدل عليه من المعاني
ولذلك سمي الجرح كلما لتاثيره في البدن واللفظ مشتق من
قولك لفظت الشيء اذا اخرجته من فيك واختلفوا في تلك
الكلمات فقال ابن عباس هو ان آدم عليه السلام قال رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ فيّ من روحك قال بلى
قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنني
جنتك قال بلى قال فلم اخرجتني منها قال بشؤم معصيتك
قال يا رب ارايت ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال بلى
فهن الكلمات وقال عبيد بن عمير ان آدم عليه السلام
قال يا رب ارايت ما اتيت به اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام
شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال لا بل شيء قدرته عليك
قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي
وقال محمد بن كعب القرظي هو قوله لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي
انك انت ارحم الراحمين وقال سعيد بن جبير الكلمات
قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين

الخاسرين وكذلك قال مجاهد والحسن وقال بعضهم ان آدم عليه
عليه السلام نظر الى العرش فراى على ساقه مكتوبا لا اله الا الله محمد
رسول الله فقال رب بحق محمد اسألك ان تغفر لي فغفر له ويدل على
صحة هذا التاويل ما روى عطاء عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي
الى السماء رايت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله
وابو بكر الصديق وعمر الفاروق وقيل هي ثلثة اشياء الحياء والدعاء
والبكاء وقال شهر بن حوشب بلغني ان آدم عليه السلام لما اهبط
الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه حياء من الله تعالى وقال ابن عباس
بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم
يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة قوله تعالى
معنى مع
فتاب عليه التوبة في اللغة الرجوع وفي الشريعة رجوع العبد
من المعصية الى الطاعة فالعبد يتوب الى الله والله يتوب عليه
اي يرجع عليه بالمغفرة فان قيل فلم قال فتاب عليه ولم يقل
فتاب عليهما والتوبة توجهت اليهما قلنا لما ذكر آدم وحده
بقوله فتلقى آدم من ربه كلمات ذكر بعده قبول توبته ولم يذكر
توبة حواء وان كانت مقبولة التوبة لانه لم يتقدم ذكرها ه
وقيل ان الاثنين اذا كان معنى فعلهما واحدا جاز ان يذكر احدهما
ويكون المعنى لهما كما قال واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وكما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وكقوله فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى ولانها كانت تبعا له قوله تعالى انه هو التواب
الرحيم اي الكثير القبول للتوبة وعقبه بالرحمة لان الخلق
عباده من نعمه ولسعة رحمته قبل التوبة وهو ههنا مثل
انت في قوله تعالى انك انت العليم الحكيم قوله تعالى
قلنا اهبطوا منها جميعا حال اي مجتمعين اما في زمن واحد

او في ازمنه بحيث يشتركون في الهبوط وكرر الامر بالهبوط للتاكيد
وقيل نزلت احدى الاثنين بعد الاخرى بزمان فلذلك كرر
كما كررت كثير من قصص القران وقيل الهبوط الاول من السماء
الى الارض لقوله تعالى ولكم في الارض مستقر والثاني من الجنة الى
السما وقيل الهبوط الاول لادم وحوا وابليس والحية والثاني لادم
وذريته فانهم المخاطبون بقوله فاما ياتينكم مني هدى ذكره الماوردي
ان الله تعالى لم يهبط ادم من الجنه ويهبطه الى الارض عقوبة لامرين
احدهما ان ذنبه كان صغيرا والثاني انه اهبطه بعد قبول توبته
وانما اهبط لاحل امرين اما تاديبا واما تغليظا للمحنه وقال
الحسن لم يخلق الله تعالى ادم الا للارض ولو لم يعص لخرج على غير
تلك الحال وقال غيره لجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى
ولغيرها ان لم يعص قوله تعالى فاما ان حرف شرط
وما حرف موكد له وياتينكم فعل الشرط موكد بالنون الثقيله
والفعل يصير بها مبنيا ابدا وما جاء في القران من افعال الشرط
عقيب اما كله موكد بالنون وهو القياس لان زيادة ما يوذن
بارادة شدة التوكيد وقد جا في الشعر غير موكد بالنون وجواب
الشرط فمن تبع هداي الى اخر الاية ومعنى الاية فان ياتكم مني
شريعة وبيان ودعوة فمن تبع هداي قبل امري والخطاب
لادم وحوا وذريتهما وانما جي بكلمة الشك وهي اما وايتان
الهدى كاين لا محاله لا نذار بان الايمان بالله والتوحيد
لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وقيل يعني الهداية
التي يخلقها الله في قلب العبد قوله فمن تبع هداي فلا
خوف عليهم فيما يستقبل من العذاب ولا هم يحزنون على ما
خلفوا والحزن غلظ الهم من الارض الحزنه اي الغليظه وفي الاية
تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان الله تعالى اهبط ادم

بذنب صغير وفيها احسن وعد لمن اتبع الله واطاعه ولزم تقواه
فلا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن وقد جمع الله في قوله فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فله هذه الحروف ضروب النعم وجميع
اصناف الخير قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا
باياتنا هذه الاية ايعاد بالنار للكافرين بكتب الله ورسله
وهي مما خاطب الله به ادم وحوا وفي الاية ثلثة اقوال احدها
انها العلامة ومنه قوله تعالى واية منك وارزقنا اي علامه لاجابتك
قال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة لانقطاع الكلام الذي
قبلها وانقطاعه من الذي بعدها والثاني انها سميت اية لانها
جماعة حروف من القران داله على معنى مخصوص قاله ابن السكيت
يقال خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراهم شيا
والثالث سميت اية لانها عجب وذلك ان قاريها يستدل اذا
قراها على مباينتها كلام المخلوقين وهذا كما يقال فلان اية
من الايات اي عجب من العجايب ذكره ابن الانباري ويحتمل انه
اراد بها المعجزات ويحتمل ان يراد بها الايات الداله على وحدانيه
الله تعالى ووجوده ذكره القشيري قوله تعالى
اوليك اصحاب النار اي سكانها وسموا اصحابا لصحبتهم اياها
بالملازمة قوله تعالى يا بني اسرايل يعني يا اولاد يعقوب
واسرايل هو يعقوب ولا ينصرف لاجتماع العجمة فيه والمعرفه
وكل اسم اجتمعتا فيه وزاد على ثلثة احرف لم ينصرف وقد
تكلمت به العرب بلغات مختلفه فمنهم من يقول اسرايل بهمزة
بعدها يا بعدها لام ومنهم من يقول كذلك الا انه يقلب الهمزة
يا ومنهم من يبقي الهمزة ويحذف اليا ومنهم من يحذفهما فيقول اسرال
ومنهم من يقول اسراين بالنون ومعنى اسرايل صفوة الله
وايل هو الله تعالى وقيل معناه عبد الله وقال كعب

انما سمي يعقوب اسرايل لانه كان يخدم بيت المقدس وكان اول
من يدخل واخر من يخرج وكان يسرج القناديل فيصيبها
بالغداه مطفاة فبات ذات ليلة في بيت المقدس فاذا الجني يطفيها
فاخذه واسره الى سارية في المسجد وكان يسمى الجني ايل فقال
الناس اسرايل فسمي اسرايل وسمي يعقوب لانه خرج من بطن امه
يعقب اخيه العيص وكانا توامين وكان عيص احبهما الى ابيه
وكان يعقوب احبهما الى امه قوله اذكروا نعمتي الذكر
اسم مشترك فالذكر بالقلب ضد النسيان والذكر باللسان
ضد الانصات والذكر الشرف وقال الكسائي ما كان بالقلب
فهو مضموم الدال وما كان باللسان فهو مكسور الذال وقال
غيره هما لغتان يقال ذُكر وذِكر ومعناهما واحد والمراد
به الذكر بالقلب وتقديره لا تغفلوا عن نعمتي قال الحسن
ذكر النعمة شكرها يدل عليه قوله عليه السلام من لم يشكر
القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والمحدث
نعمة الله شاكر وتاركها كافر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
وقوله نعمتي يريد نعمي فاوقع الواحد موقع الجماعة
كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعدد لا يقع على
الواحد وكقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير اي ظهرا
قوله تعالى التي انعمت عليكم اي على اسلافكم واجدادكم
وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من فرعون واهلك
عدوهم واورثهم ديارهم واموالهم وظلل عليهم الغمام في التيه
يقيهم الحر وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذا لم يكن ضو
القمر وانزل عليهم المن والسلوى وانزل عليهم التورية فيها
بيان كل شي يحتاجون اليه والنعم على الاباء نعم على الابناء
لان فخر الاباء فخر للابناء وعار الاباء عار على الابناء فان قيل اليهود

ابدا تذكرون هذه النعمة فلم ذكروا ما لم ينسوه قيل المراد بقوله
اذكروا اشكروا كما سوى وان لم يشكروها حق شكرها
فكانهم نسوها وان اكثروا ذكرها قال ابن الانباري اراد
اذكروا ما انعمت عليكم فيما استودعتكم من علم التورية وبينت
لكم من صفة محمد عليه السلام والزمتكم من تصديقه واتباعه
فلما بعثه الله ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وفي الخبر
لو امن بي عشرة من احبار اليهود لامن كلهم وقرى نعمتي التي من
غير فتح اليا وقرى بفتح اليا قوله تعالى واوفوا بعهدي
يقال في الماضي وفى ووفا واوفى ومن هاهنا قرى اوف
بعهدكم واوف بالتخفيف والتشديد قال ابن قتيبة يقال
وفيت بالعهد واوفيت به واوفيت الكيل لا غير قال ابن عباس
هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليكم في التورية انه باعث نبيا
يقال له محمد فمن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى واجر
بالتورية واجر باتباعه محمدا عليه السلام وايمانه بالقران ومن
كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه وقال قتادة
هو العهد الذي اخذ الله عليهم في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الاية ثم قال لاكفرن عنكم
سياتكم الاية فهذا قوله تعالى اوف بعهدكم وقيل امتثال
الاوامر واجتناب النواهي رواه الضحاك عن ابن عباس وقوله
اوف بعهدكم اي ادخلكم الجنة وقال مقاتل هو قوله واذ اخذنا
ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله وقال الحسن هو قوله
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
الاية فهي شريعة التورية وقال اسمعيل بن زياد لا تفروا
من الزحف ادخلكم الجنة دليله قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار الاية وقيل اوفوا بشرط العبودية

اوف بشرط الربوبية قوله تعالى واياي فارهبون تقديره
واياي فارهبوا ولا يجوز ان يكون منصوبا بارهبون لانه قد
تعدى الى مفعوله والمعنى خافون في نقض العهد واثبت يعقوب
هذه الياءات في كل القران على الاصل وحذفها الباقون اتباعا
للمصحف ۞ قوله تعالى وامنوا بما انزلت يعني القران
على محمد عليه السلام قوله تعالى مصدقا حال موكدة من الهاء
المحذوفة في انزلت اي بما انزلته ومعكم منصوب على الظرف
والعامل فيه الاستقرار والمعنى بما معكم من التورية في التوحيد
والنبوة وذكر القران ۞ قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر
به قال الفرا اراد اول من يكفر به فحذف من واقيم الاسم المشتق
من الفعل مقامه وهو الكافر وقال البصريون اراد اول
فريق كافر وحزب كافر ثم حذف المنعوت واقيم نعته مقامه
والهاء في به تعود الى ما في قوله بما انزلت وهو القران والمعنى
ولا تكونوا اول كافر بالقران من اهل الكتاب لان قريشا
كفرت قبل اليهود بمكة والخطاب لعلماء اليهود واذا كفروا
بالقران كفر اتباعهم فيكونون ائمة في الضلالة هذا قول
ابن جريج وغيره وقيل تعود الى النبي عليه السلام والمعنى
ولا تكونوا اول كافر بمحمد وان صفته في كتابكم قاله ابو العالية
وقيل تعود الى كتابهم والمعنى ولا تكونوا اول كافر بما
معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة محمد عليه السلام
فقد كفرتم به حكاه الزجاج ثم كما لا يجوز للعبد ان يكون
اولا في الكفر لا يجوز ان يكون ثانيا فيه ايضا ولكنه فخم الامر
فان من كفر اولا فعليه وزره ووزر الاتباع ايضا ونصب
اول كافر لانه خبر كان ۞ قوله تعالى ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا فيه ثلثة اقوال احدها لا تاخذوا على

تغيير صفة محمد عليه السلام ونعته في التورية عوضا يسيرا
من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود كانت لهم ماكل يصيبونها
من سفلتهم وعوامهم فخافوا ان بينوا صفة محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك الماكل والرياسة
فاختاروا الدنيا على الاخرة قاله الحسن وغيره والثاني نهي اخذ الاجرة
على تعليم الدين وهو مكتوب عندهم يا ابن ادم علم مجانا كما
علمت مجانا وهو قول ابي العالية والثاني لا تاخذوا طمعا قليلا
على كتم ما فيه من ذكر محمد وتصديق القران قاله السدي
وهذا يدل على انه لا يجوز اخذ الثمن على الكفر لان متاع الدنيا قليل
بالنسبة الى الدين ۞ قوله تعالى واياي فاتقون اي فاخشوني
في امر محمد عليه السلام لا ما يفوتكم من الرياسة والماكل ۞
قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل يقال لبست
الثوب البسه لبسا ولبست عليه الامر البسه لبسا اذا خلطته
وعميته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى
لا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة محمد عليه السلام بالباطل
الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وتبديل نعته قال مقاتل
ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد عليه السلام وكتموا بعضا ليصدقوا
في ذلك فقال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الذي تقرون
به وتبينونه بالباطل يعني بما تكتمونه فالحق بيانهم والباطل
كتمانهم وقيل معناه ولا تلبسوا الحق يعني صفة محمد عليه
السلام بالباطل يعني صفة الدجال حكاه الثعلبي ۞ قوله تعالى
وتكتموا الحق هو عطف على المجزوم في قوله ولا تلبسوا الحق
اي ولا تكتموا وقيل هو نصب على الجواب بالواو اي لا تجمعوا
بينهما كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرئ تكتمون
قوله تعالى وانتم تعلمون اي ان محمدا نبي مرسل واليهود

محمد وابنوة محمد عليه السلام مع العلم بانه نبي فلم ينفعهم ذلك
العلم لان جاحد النبوة كافر وقيل وانتم تعلمون لو نظرتم وقد
يتفق من اقوام لا يحصون الاعراض عن الاستدلال والاطباق على
الكفر كتوافق الروم على التثليث حكاه القشيري ٥ قوله تعالى
واقيموا الصلاة يعني حافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها
وحدودها وركوعها وسجودها قوله وآتوا الزكاة يعني
وادوا زكوة اموالكم المفروضة واصل الزكوة النماء والزيادة يقال
زكا الزرع يزكو زكا اذا نما وزاد وكل شي يزداد فهو يزكو زكاه
قال النابغه
وما اخرك من دنياك نقص وان قدمت عاد لك الزكا
يعني الزيادة وسمي ما يخرج من المال للمساكين بايجاب الشرع زكاة
لانها تزيد في المال الذي يخرج منه وتوفره وتقيه الآفات ويقال
هذا ازكى من ذلك اي ازيد فضلا منه وقيل هي ماخوذة من
التطهير ومنه قوله تعالى اقتلت نفسا زاكية اي طاهرة من
الذنوب وهو تطهر المال حتى يصير باداء الحق منه حلالا ولولاه
لخبث وقيل اصلها الثناء الجميل والف الزكاة منقلبة عن واو لقولهم
زكا الشي يزكو وقال في الجمع زكوات ٥ قوله تعالى
واركعوا مع الراكعين ظرف ومعنى الركوع في اللغة الانحناء يقال
للشيخ اذا انحنى من الكبر ركع ٥ وقال المفضل والاصمعي
هو ماخوذ من المذلة والخضوع قال الشاعر
لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
قال المفسرون معناه وصلوا مع المصلين محمد واصحابه
فعبر بالركوع عن جميع الصلوة اذ كان ركنا من اركانها
كما عبر باليد عن الجسد في قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وقوله
فبما كسبت ايديكم وعبر بالعنق عن النفس في قوله تعالى ارسناه

طارح

طارح في عنقه وبالالف عن الوجه في قوله سنسمه على الخرطوم وانما
قال واركعوا بعد قوله واقيموا الصلوة لانه اراد الحث على اقامتها جماعة
وقيل لانه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع فذكر ما اختص
بشريعة الاسلام والاية خطاب لليهود وقيل اركعوا اي تذللوا
بالطاعة ٥ قوله تعالى اتامرون الناس بالبر قال ابن عباس
نزلت في اليهود كان الرجل يقول لقرابته وصهره ورضيعه وحليفه
من المسلمين في السر اذا سأله عن محمد يقول اثبت على ما انت عليه من
الدين فانه حق وما يامركم به هذا الرجل يعنون محمدا عليه السلام
فان امره حق وقوله صدق والالف في اتامرون الف استفهام
ومعناه التوبيخ وفي البر ثلاثة اقوال احدها انه التمسك
بكتابهم كانوا يامرون باتباعه ولا يومنون به والثاني انه اتباع محمد
عليه السلام روي القولان عن ابن عباس والثالث انهم كانوا
يامرون بالصدقة ويبخلون بها ذكره الزجاج قوله تعالى
وتنسون انفسكم النسيان هاهنا بمعنى الترك ومنه قوله تعالى
نسوا الله فنسيهم اي تركهم ٥ قوله وانتم تتلون الكتاب
فيه قولان احدهما انه التورية وفيها صفة محمد عليه السلام ونعته
قاله الجمهور والثاني انه القران فلا يكون هذا الخطاب على هذا
القول لليهود واصل التلاوة من قولهم تلاه يتلوه اذا اتبعه
والتلاوة اتباع الحروف بالقراءة قوله تعالى افلا تعقلون
استفهام في معنى التوبيخ ولا موضع له يقال عقل الرجل يعقل
عقلا اذا كان عاقلا وعقل الانسان هو تمييزه الذي به
فارق جميع الحيوان سمي عقلا لانه يعقله اي يمنعه على التورط
في الهلكة كما يعقل العقال البعير عن ركوب راسه ٥
قوله واستعينوا بالصبر والصلوة استعينوا استفعلوا
من العون والمعنى استعينوا على ما يستقبلكم من انواع البلا

وقيل في طلب الاخرة وقيل في ترك الرياسة واصل الصبر
هو الحبس والصابر حابس نفسه على ما تكرهه ومنه صبر صاحب
المصيبة اى يحبس نفسه عن الجزع وسمي الصبر صبراً لحبس النفس
عن الطعام والشراب ومنه الحديث عن النبي عليه السلام في رجل
امسك رجلا وقتله اخر اقتلوا القاتل واصبروا الصابر يعني
احبسوا الذى امسكه ونهى عليه السلام عن قتل شى من الدواب
صبراً وهو ان يحبس حيا ثم يرمى حتى يموت قال مجاهد الصبر
في هذه الاية الصوم وكان عليه السلام اذا احزنه امر استعان بالصلاة
والصيام وقيل الواو هاهنا معنى على تقديره واستعينوا فيما
ينوبكم بالصبر على الصلاة كقوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها قالت الحكما الصبر روية العدل والشكر روية الفضل
وروى ان ابن عباس نعي اليه بنت له وهو في سفر فاسترجع وقال
عورة سترها الله ومونه كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى
ركعتين ثم قال صنعنا ما امرنا الله واستعينوا بالصبر والصلوة
قوله تعالى وانها ولم يقل وانهما واختلف العلما في
وجهه فقال المورج ردها الى ما هو الاغلب والاهم وهو الصلاة
كقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد
الكناية الى الفضة لانها اعم واغلب وقال تعالى واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها ردها الى التجارة لانه الاهم وقال
الاخفش رد الكناية الى كل واحد منهما اراد وان كل
خصلة منهما لكبيرة كقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها
يعني كل واحدة منهما وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه
اية ولم يقل ايتين اراد جعلنا كل واحد منهما اية قال الشاعر
لكل حسن من علم يزينه حلم ومن نال له قد فاز بالفرج
اى نال كل واحد منهما وقيل رد الصبر الى الصلوة لان الصبر
داخل

داخل في الصلوة كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل
يرضوهما لان رضى الرسول داخل في رضى الله تعالى فرد الكناية الى
الله تعالى وقال الحسن بن الفضل رد الكناية الى الاستعانة
معناه وان الاستعانة بالصبر والصلاة وقيل معنى قوله وانها
يعني اجابة محمد عليه السلام وان لم يجر للاجابة ذكر لان الحال يدل
عليها حكاه الماوردي وغيره وقيل وانها اى الكعبة والتوجه
اليها لدلالة الصلاة عليها وكان التحول الى الكعبة شديدا على
اليهود والنصارى كما قال تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين
هدى الله حكاه القشيري وغيره فان قيل ما وجه الاستعا نة
بالصلوة قلنا لما كان في الصلاة تلاوة القران وفيها الدعاء
والخضوع لله عز وجل كان ذلك معونة على ما ينازع اليه النفس
من حب الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة وهذا
الخطاب وان كان لاهل الكتاب فهو ادب لجميع العباد
قوله تعالى لكبيرة اى شديدة ثقيلة مثل قوله تعالى
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اى ثقل والاصل في
ذلك ان ما يكبر يثقل على الانسان حمله كالاجسام الجافية
قوله تعالى الا على الخاشعين في موضع نصب بكبيرة
والا دخلت للمعنى ولم تعمل لانه ليس قبلها ما يتعلق بكبيرة
يستثنى منه فهو كقوله هو كبير على زيد وفي معنى
الكلام اربعة اقوال احدها لثقيلة الا على المومنين
والثاني المصلين قاله بن عباس والثالث المتواضعين قاله مقاتل
والرابع الخائفين قاله الحسن قال الزجاج الخاشع الذي يرى
اثر الذل والخضوع عليه والخشوع في اللغة السكون قال الله تعالى
وخشعت الاصوات للرحمن وقيل الخضوع في البدن والخشوع
في الصوت والبصر وانما لم يكن كبيرة عليهم لانهم يتوقعون ما

ذكر الله تعالى للصابرين فهون عليهم الا ترى الى قوله تعالى
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ومعنى يظنون يعلمون ويستيقنون
كقوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه اي ايقنت والظن من
الاضداد يكون شكا ويقينا وقيل بل هو بمعنى يتوقعون
ويطمعون في لقاء ثوابه ومن جعله بمعنى المتيقن اراد يستيقنون
انهم مبعوثون وانهم محاسبون وقيل معناه معاينوا ربهم في
الاخرة وقيل يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لاشفاقهم من
المعاصي التي كانت منهم فيرجع الظن الى هذا لا الى اعتقاد
الحشر واصل ملاقوا ملاقون وحذفت النون تخفيفا لانه
نكرة اذا كان مستقبلا ولما حذفها اضاف اليه قوله
وانهم اليه راجعون فيه ثلثة اقوال احدها يصدقون بالبعث
ويقرون بالنشاة الثانية وجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر
رجوعا اليه قاله ابو العالية والثاني انه اراد بالرجوع الموت
والثالث راجعون الى الله اذ لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا
غيره كما كانوا في بدو الخلق ه قوله تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تقدم تفسيره واعادها تاكيدا
للحجة عليهم ه قوله تعالى واني فضلتكم على العالمين
يعني عالمي زمانكم والتفضيل الزيادة على التسوية يقال فضلته
اي حكمت له بالزيادة والخطاب للموجودين في وقت النبي عليه
السلام والمراد سلفهم لانهم الذين جعل فيهم الانبياء ثم في تفضيل
الاباء شرف الابناء وقيل فضلتكم على العالم في الخلقة دون الناس
وقيل فضلتكم في كثرة الانبياء منكم فهو مقيد كما تقول زيد افضل
من عمرو في الشجاعة ثم قد يكون عمرو افضل منه في خصال
اخر فلا بد من التخصيص كقوله تعالى كنتم خير امة كما فضل
بني اسرائيل بكثرة الانبياء فضل هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم

فهم

فهم مامورون بشكر النعمة قال عمر قد مضى والله بنو اسرائيل
وما يعني بما تسمعون غيركم وفائدة الاقاصيص للتنبيه ولهذا
قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب قوله تعالى
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا قال الزجاج كانت
اليهود تزعم ان اباها الانبيا تشفع لهم يوم القيمة فايسهم الله تعالى
بهذه الاية من ذلك والمعنى احذروا واجتنبوا عقاب يوم
لا تجزي اي لا يغني كما يقال البقرة تجزي عن سبعة اي تغني
وهو قول السدي وقيل لا يقضي ومنه قولهم جزا الله فلانا
عني خيرا اي قضاه وهو قول المفضل والمراد باليوم يوم
القيمة قال الزجاج في الاية اضمار معناه لا تجزي فيه
نفس عن نفس شيا من الشدايد قال والمراد بالنفس هاهنا
النفس الكافرة فلا يغني عنها نفس مومنة ولا كافرة تعالى هذا
يكون من العام الذي اريد به الخاص وقال الكسائي المحذوف
الها اي اتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس شيا فجعل اليوم مفعولا
على التوسع ثم حذف الها كما يقول رايت رجلا احب اي احبه وحذف
الها اهون من حذف فيه يقول الذي ضربت زيدا اي الذي ضربته
ولا يقال الذي رغبت زيد بمعنى الذي رغبت فيه ولا يقال الذي
مررت زيد وقري في الشاذ لا تجزي نسمة عن نسمة شيا ه
قوله ولا يقبل منها شفاعة قرا اهل مكة والبصرة
بالتا لتانيث الشفاعة وقرا الباقون باليا لتقدم الفعل
وقرا قتادة يقبل بيا مفتوحة ونصب الشفاعة اي ولا يقبل
الله يقال قبلت الشي اقبله قبولا وقبولا ويقال على فلان قبول
اي يقبله العين ومعنى الشفاعة كلام الشفيع من هو فوقه
في حاجة يسلها لغيره وهو من الشفع الذي هو خلاف الوتر
وذلك ان سوال الشفيع يصير شفعا لسوال المشفوع له والشفيع

والشفاعة بمعنى كالموعظة والوعظ والآية عامة فتخصها بأخبار
الشفاعة فيكون المعنى لا يقبل الشفاعة الا لمن اذن له في الشفاعة
او اراد لا شفاعة لمن مات على الكفر كما سبق وقال الحسن
معناه لا يجيء بشفيع يقبل شفاعته لعجزه عنه وقال غيره
بل معناه ان الشفيع لا يجيبه الى الشفاعة وان كان لو شفع لشفع
قوله ولا يؤخذ منها كما يؤخذ في الدنيا والمراد بالعدل في
هذه الآية الفداء قال تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ
منها اي تفد كل فداء وسمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدي
ويماثله قال تعالى او عدل ذلك صياما ويقال ما يعدلك
عندنا شيء اي لا يماثلك واختلف اللغويون هل العدل بفتح
العين وكسرها يختلفان ام لا فقال الفراء العدل بفتح العين
ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل بكسرها ما عادل الشيء من
جنسه فهو المثل تقول عندي عدل غلامك بفتح العين
اذا اردت قيمته من غير جنسه وعندي عدل غلامك
بكسر العين اذا كان غلاما يعدل غلاما وحكى الزجاج
عن البصريين انهما في معنى المثل وان المعنى واحد سواء كان
المثل من الجنس ومن غير الجنس قوله ولا هم ينصرون
اي لا يمنعون من عذاب الله فان قيل ما معنى قوله لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا قلنا فيه اربعة اقوال احدها ان الصرف
العمل والعدل الفدية وهذا قول الحسن البصري والثاني
ان الصرف الدية والعدل رجل مكانه وهذا قول الكلبي والثالث
ان الصرف التطوع والعدل الفريضة وهذا قول الاصمعي والرابع
ان الصرف الحيلة والعدل الفدية قاله ابو عبيدة قوله
تعالى واذ نجيناكم اذ في موضع نصب معطوفا على اذكروا نعمتي
وكذلك قوله واذ فرقنا واذ وعدنا واذ قلتم يا موسى وما كان

مثله

مثله من المعطوف والمعنى اذكروا اذ نجيناكم يريد اسلافكم واباكم
كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية اي حملنا اباءكم
فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم وما ثر الآباء مفاخرة الابناء
وقوله نجيناكم اصله القيناكم على النجوة وهو ما ارتفع واتسع من
الارض هذا هو الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا لانه خرج من
الضيق والشدة الى الرخاء والراحة قوله تعالى من آل
فرعون اي اشياعه واتباعه وعترته واهل دينه واصله
من الاول وهو الرجوع وآل الرجل الذين يؤولهم اليه ومنه الآل
للسراب لانه يرجع بعضه الى بعض كالماء واختلفوا في الآل
والاهل على قولين احدهما انهما سواء واصل آل اهل فابدلت
الهاء همزة لقربها منها في المخرج ثم ابدلت الهمزة الفا لسكونها
وانفتاح الهمزة قبلها مثل آدم وتصغيره اهيل لان التصغير
يرد الى الاصل وعلى الاول أويل والثاني وهو قول الكسائي
انه يقال آل الرجل اذا ذكر اسمه فان كني عنه قيل اهله
ولم يقل آله كما يقال اهل العلم واهل البصرة ولا يقال آل العلم
والبصرة ويقال الآل اتباع الرجل قريبه كان او غيره والاهل
قريبه اتبعه او لم يتبعه روي عنه عليه السلام انه قيل له من آلك
قال آلي كل تقي الى يوم القيمة وفرعون اسم اعجمي معرفة
وقيل هو لقب وعلم لكل ملك من ملوك العمالقة
مثل قيصر للروم وكسرى للفرس وخاقان لملك الترك
واختلفوا في اسم فرعون موسى فقيل هو الوليد بن مصعب
بن الريان قاله الاكثرون وقيل اسمه مصعب حكاه
القشيري وابن جرير وقيل فيطوس قاله مقاتل وعند اهل
الكتاب اسمه قابوس وقيل فرعون بلغة القبط التمساح
وقيل اسمه مغيث ذكره بعض المفسرين وعمر اكثر من اربعمائة

عام ٥ قوله سوموتكم في موضع نصب على الحال من آل ٥
قوله سوالعذاب مفعول به لان يسوموتكم متعدا الى
مفعولين وفيه ثلثة اقوال احدها يكلفونكم ويذيقونكم
اشد العذاب واسوه وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل
خولا وخدما وصنفهم في اعمالهم نصنف يبنون وصنف يحرثون
ويزرعون وصنف يخدمون ومن لم يكن منهم في عمل من هذه
الاعمال تعليه الجزيه فذلك سوالعذاب والثاني انهم كلفوهم
الاعمال القذرة والثالث هو قوله تعالى يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم والسوم عرض السلعة على البيع والمعنى
يعرضونكم على سوالعذاب وهو اشقه وان كان العذاب كله
شيا وسبب الذبح ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت
من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت
القبط وتركت بني اسرايل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة
وسالهم عن روياه فقالوا له يولد في بني اسرايل غلام يكون على
يده هلاكك وتبديل دينك وزوال ملكك فامر فرعون
بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل وجمع القبايل فقال لا
يسقط غلام من بني اسرايل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل
بهن فكن يفعلن ذلك فدخل روس القبط على فرعون فقالوا
ان الموت قد وقع في بني اسرايل فامر فرعون ان يذبح سنه ويتركوا
سنه فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى
عليه السلام في السنة التي يذبحون فيها قال الزجاج العجب
من حمق فرعون ان كان الكاهن عنده صادقا فما ينفع القتل وان
كان كاذبا فما معنى القتل قوله ويستحيون نساءكم
اي يتركوهن احيا فلا يقتلون وانما استبقاهم للاستدلال
واسم النسا يقع على الصغار والكبار وقيل بل يطلق على الكبار

وانما

وانما سموا الصغار نسا على معنى انهم يبقون حتى يصيروا نساء
قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يعني في سومهم
اياكم سوالعذاب محنه وفتنه عظيمه وقيل معناه وفي انجاي
اياكم منهم نعمه عظيمه وهو قول بن عباس ومجاهد والسدي
واصل الابتلا الاختبار في الخير والشر كما قال تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنه فيبلوا عباده بالصنيع الحسن ليمتحن شكرهم عليه
ويبلوهم بالبلوى التي يكرهونها ليمتحن صبرهم قال الله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيات غير ان الاكثر انه يستعمل
في الشر يقال في الشر بلوته ابلوه بلا وفي الخير ابتليه ابليه ابلا
ومن ذلك قول زهير
جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلا الذي يبلوا
لجمع بين اللغتين ٥ قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر وقرى
بالتشديد الفرق الفصل بين الشيين وبكم بمعنى لكم وفيه
قولان احدهما ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يذهب
ببني اسرايل الى البحر فينفلق له حتى يخوض فيه هو وبنو اسرايل
فلما ذهب بهم وانتهى الى البحر فرق الله البحر اثني عشر طريقا لكل
سبط منهم طريق حتى مروا فيه وهو منفلق وكان عددهم
ستماية الف وعشرين الفا لا يعد فيهم ابن عشرين لصغره ولا ابن
ستين لكبره وكان على مقدمة فرعون هامان في الف الف
وسبع ماية الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل دون
ساير الشيات وذلك قوله تعالى فارسل فرعون في المداين
حاشرين ان هولا لشرذمة قليلون وهذا قول السدي والثاني
معناه واذ فرقنا بينكم وبين البحر وحجزنا الما عنكم فانجيناكم
والاول اصح وسمي البحر بحرا لاستبحاره وسعته ومنه قولهم تبحر
فلان في العلم اذا اتسع فيه وقيل سمي البحر بحرا لانه شق في الارض

والبحر الشق ومنه البحيرة وهي الناقة التي شق اذنها ويجوز
ان يكون بكم اي بسببكم ويجوز ان يكون البا المعدية لقوله
ذهبت بزيد فيكون التقدير افرقناكم البحر ويكون في المعنى
كقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرايل البحر ويجوز ان يكون البا
للحال اى فرقنا البحر وانتم به فيكون اما حالا مقدرة او مقارنة
قوله تعالى واغرقنا ال فرعون ولم يذكر فرعون لانه
قد ذكره في مواضع كقوله تعالى فاغرقناه ومن معه ويجوز ان
يريد بال فرعون نفسه كقوله تعالى مما ترك ال موسى وال
هرون يعني موسى وهرون ٥ قوله تعالى وانتم تنظرون
يعني فرق البحر حين سلكوا فيه وانطباقه على فرعون وقومه
وقيل هو بمعنى العلم كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل
قاله الفرا وقال ابن عباس لم ينظروا اليهم حين غرقوا
ولكن اخرجوا انظروا اليهم والقوم في وقت النبي عليه السلام
ما نظروا الى هذا الذي اخبر به ولكن يعني سلفهم وقيل وانتم
بحيث لو نظرتم اليهم لرايتموهم ٥ قوله تعالى واذ وعدنا
موسى اربعين ليلة قال المفسرون ان الله تعالى لما انجى
موسى وبني اسرايل واغرق فرعون وامن بنو اسرايل من
عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون فواعد
الله موسى ان يوتيه الكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون وامر
ان يصوم ثلثين يوما فصامها وصالا ولم يطعم شيا فتغيرت
رايحة فمه فعمد الى لحا شجرة فمضغها فاوحى الله اليه اما
علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك وامر
ان يصل بها عشرة فتم ميقات ربه اربعين ليلة وخرج
موسى من بني اسرايل تلك الايام فاتخذ السامري عجلا
وقال لبني اسرايل هذا الهكم واله موسى فافتتن بالعجل ثمنية

الف رجل منهم وعكفوا عليه يعبدونه واعلم ان وعد
يتعدى الى مفعولين تقول وعدت زيدا مكان كذا ويوم
كذا فالمفعول الاول موسى واربعين المفعول الثاني وفي
الكلام حذف تقديره تمام اربعين وليس اربعين ظرفا اذ ليس
المعنى وعده في اربعين وقراة اكثر القرا واعدنا بالف
من المواعدة لان ما كان من الله من الوعد ومن موسى من
القبول يقوم مقام الوعد فصار كالتواعد من الفاعلين وايضا
فان المفاعلة قد تقع من الواحد مثل قولك عافاه الله وعاقبت
اللص ومثله قوله تعالى لا تواعدوهن سرا وقرا ابو عمرو
وابو جعفر ويعقوب وعدنا بغير الف في جميع القران
لان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والقران ينطق به كقوله
تعالى وعد الله الذين امنوا وقوله تعالى الم يعدكم ربكم وقوله
تعالى واذ يعدكم الله وقوله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق وقوله
تعالى الم يعدكم ربكم وقوله تعالى واذ يعدكم الله وقوله تعالى
وعدكم الله مغانم كثيرة ويقال وعد في الخير والشر قال
تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وقال تعالى وعدها الله الذين
كفروا واوعد في الشر وتقدير الكلام واذ وعدنا موسى
انقضا اربعين ليلة للتكليم معه او لاتيانه الكتاب
وفي هذه المدة قولان احدهما انها ذو القعدة وعشر من ذي
الحجة وهذا قول من قال كان الوعد لاعطا التورية والثاني
انها ذو الحجة وهذا قول من قال كان الوعد للتكليم وانما
قرن التاريخ بالليل دون النهار لان شهور العرب وضعت
على سير القمر والهلال انما يهل بالليل وقيل لان الظلمة
اقدم من الضو والليل خلق قبل النهار قال تعالى واية لهم
الليل نسلخ منه النهار لانه فصار الايام تبعا لليالي وقال

النقاش انما ذكر الليالي لانه امره ان يصوم هذه الايام ويواصلها
بالليالي فلذلك ذكر الليالي وموسى اسم اعجمي يجمع كلمتين
بالقبطيه موشا وهما ما وشجر فمو هو الما وشا هو الشجر وانما
سمي بهذا الاسم الجامع لهذين الكلمتين لما ذكره السدى ان
امه لما خافت عليه جعلته في التابوت والقته في اليم كما اوحى
اليها فالقاه اليم بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جوارى اسيه
امراه فرعون يغتسلن فوجدنه فسمي باسم المكان وقيل موسى
مفعل من اوسيت راسه اذا حلقته فهو مثل اعطى فهو معطى
وقيل هو فعلى من ماس يميس اذا تبختر في مشيه فموسى الحديد
من هذا المعنى لكثرة اضطرابها وتحركها وقت الحلق قالوا
وفي موسى على هذا بدل من اليا لسكونها وانضمام ما قبلها
وقرا زيد بن على حكرا ليا وهي لغه وليله نصب على التمييز وجمع
موسى مذكور في سورة الاعراف ٥ قولـــــه تعالى ثم اتخذتم
العجل من بعده يعني الها فحذف المفعول الثاني كقوله باتخاذكم
وقد تاتي اتخذت متعديه الى مفعول واحد اذا كانت بمعنى جعل
وعمل كقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا وكقولك اتخذت
دارا وثوبا وما اشبه ذلك ويجوز ادغام ادغام الدال في التا
لقرب مخرجهما ويجوز اظهارها على الاصل ٥ وقولـــــه من بعده
اي من بعد انطلاقه الى الميقات واستخلافه هرون عليهم ٥
وسبـــــب ذلك فيما ذكره بن عباس ان السامري كان رجلا
صايغا من اهل باجرمى وكان من قوم يعبدون البقر
وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وحب البقر في قلبه وكان
قد عرف جبريل عليه السلام لان امه حين خافت عليه ان
يذبح خلفته في غار واطبقت عليه وكان جبريل ياتيه فيغذوه
باصابعه فلما راه حين عبر البحر عرفه فقبض قبضه من تراب

فرسه

فرسه وكان جبريل على فرس يقال له فرس الحياه لا يصيب
شيا الا حيى ولم يزل القبضه في يده حتى قصد موسى الى ربه
وخلف هرون في بني اسرايل فقال لهم هرون قد تحملتم اوزارا
من زينة القوم يعني امتعه وحليا فتطهروا منها فانها نجس
وقيل غنيمه والغنيمه لا تحل لكم فاوقد لهم نارا وامرهم ان
يقذفوا ما كان معهم ففعلوا فاقبل السامري الى النار وقال
يا بني اسرايل القي ما في يدي قالوا نعم فقذفه وقال كن عجلا جسدا
له خوار وقيـــل ان السامرى امرهم بالقا ذلك الحلي وقال
انما طالت غيبه موسى عنكم لاجل ما معكم من الحلي فاحفروا
له حفيرة وقربوه الى الله تعالى يبعث لكم نبيكم فانه كان
عاريه ذكره ابو سليمن الدمشقي وفي سبـــــب اتخاذ العجل
ثلثة اقوالـــــ احدها حب السامري البقر والثاني ان بني
اسرايل لما مروا على قوم يعكفون على اصنام لهم اعجبهم ذلك
فلما سالوا موسى ان يجعل لهم الها فانكر عليهم اخرج لهم
السامرى في غيبته عجلا لما راى من استحسانهم ذلك قاله
ابن زيد والاول عن بن عباس والثالث ذكره القشيري
انهم اختاروا صورة العجل لكثرة منافع البقر من الزرع والضرع
واختلفوا هل صار حيوانا لحما ودما ام لا فقال الحسن
انقلب حيوانا لحما ودما وقـــــال غيره لا يجوز ذلك
لان ذلك من ايات الله التي لا يظهرها الا لمعجز نبي وانما جعل
فيه خروقا يدخلها الريح فيحدث فيه صوتا كالخوار والذي
قال بالقول الاول اعتذر ان ذلك لا يجوز في غير زمان
الانبيا ويجوز في زمان الانبيا لانهم يظهرون ابطاله وقد كان
ذلك في زمن نبيين ولانه لما قال هذا الهكم واله موسى
فقد ابطل على نفسه ان يدعى بذلك اعجاز الانبيا فجاز

ان يصح ذلك منه امتحانا واختلفوا في تسميته عجلا فقال ابو العالية
لانهم عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى وقال غيره بل
سمي بذلك لانه عجل بان صار عجلا جسدا وقيل افتتن بالعجل
ثمانية الالف منهم وقيل لا بل الممتنعون عن عبادة العجل
كانوا ثمانية الاف وعبده معظمهم العجل ٥ قوله وانتم ظالمون
اي ضارون لانفسكم وواضعون العبادة في غير موضعها وقيل
وانتم ظالمون لمخالفة محمد عليه السلام ٥ قوله تعالى
ثم عفونا عنكم اي تركناكم ولم نستاصلكم قال الله تعالى فمن عفي
له من اخيه شيء اي ترك ومنه قوله عليه السلام احفوا الشوارب
واعفوا اللحى وقيل محونا ذنوبكم يقول العرب عفت
الرياح الاثار وعفوا اذا درستها ومحتها وقيل العفو ما فضل
عن الكفاية وسمحت النفس ببذله ومنه قوله تعالى ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو اي ما فضل عن القوت والمراد بالعفو
قبول التوبة من عبدة العجل ٥ قوله من بعد ذلك اي
من بعد عبادة العجل ولم يقل من بعد ذلكم وان كان الخطاب
للجمع لاتصال الخطاب بذا وملومتهم فصار يجمع على الاصل
في مخاطبة الجمع وتارة يوحد على اللفظ لان لفظ المبهم على الواحد
قوله تعالى لعلكم تشكرون ليس فيه ترديد
ولكن ذكره على ما تخاطب به العباد اي هذا مما يرجى به
الشكر فيما بين العباد وقيل لعلكم تشكرون اي لكي
تشكروا واراد به المومنين الذين يشكرون بهذه النعمة
وقيل اي ليكون المومنون على رجاء من شكركم واصل
لعل من تكرار الشيء من قولهم شرب عللا بعد نهل واللام
للتاكيد مثل قد ولقد يقال علك ان تفعل كذا اي لعلك
فاذا قلت افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان

فعله

فعله يوكد طلبك ويقويك عليه واختلف العلماء في
ماهية الشكر فقال ابن عباس هو الطاعة بجميع الجوارح
لرب الخلائق في السر والعلانية وقال الحسن شكر النعمة
ذكرها قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال الفضيل
شكر كل نعمة ان لا تعصي الله بعد تلك النعمة وقال الجنيد
حقيقة الشكر العجز عن الشكر وروي في ذلك عن داود
عليه السلام انه قال سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز
عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة
وقال ابو بكر محمد بن عمر الوراق حقيقة الشكر معرفة المنعم
وان لا تعرف لنفسك في النعمة حظا بل تراها من الله تعالى قال تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال قال موسى عليه السلام كيف استطاع ادم ان
يودي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيدك واسجدت
له ملائكتك واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى يا موسى ان ادم
علم ان ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكره وعن وهب بن منبه
قال قال داود عليه السلام الهي كيف لي ان اشكرك وانا لا اصل
الى شكرك الا بنعمتك فاوحى الله اليه الست تعلم ان الذي بك
من النعم مني قال بلى يا رب قال ارضى بذلك لك شكرا وكذلك
قال موسى عليه السلام يا رب انعمت علي النعم السوابغ وامرتني
بالشكر لك عليها وانما شكري اياك نعمة منك علي فقال الله
تعالى له يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
ان يعلم ان ما به من نعمة فهو مني وقال ابو عثمن الحيري
صدق الشكر ان لا تمدح بلسانك غير المنعم وقيل اشكر الشاكرين
الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل
بعد اداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والقاطع بذكر الله

ذهن بعد نفسه من الغافلين والدائب في العمل عمره بعد نفسه
من المفلسين فشكر المنعم واجب شرعا ومقتضى عادة وعرفا ولا
منعم على الحقيقة الا الله تعالى لانه هو الموجد للنعم ابتدا وموصل
منافعها الى المنعم عليه انتها وحقيقة شكره تعالى روية القلب
النعمة منه وحده لا من غيره ثم الثنا عليه بها باللسان ثم الاستعانة
بها على طاعته وعبادته بالاركان قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ونعم الله على عباده لا تحصى الا ان منها
ما ينفرد الحق به ابتدا ومنها ما يوصله للعبد على ايدي الوسايط
والاسباب حكمة وابتلا فاوجب للوسايط حقا من الشكر
بقوله عليه السلام لا يشكر الله من لا يشكر الناس فوسايط
النعم الدينية كالانبيا عليهم السلام اوجب الله طاعتهم والصلاة عليهم
والدعا لهم ثم العلما الذين جعلهم سببا لوصول نعمة العلم على
ايديهم اوجب شكرهم وحرمتهم وتعظيمهم ومن اشبههم في نعمة
من نعم الدين ثم الاية لما انتظمت بهم نعم الدين والدنيا فقال
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ثم الوالدين
اذ جعلهما سببين نعمة الوجود ثم من جعله من الادميين سببا
تجري الى العبد على يديه نعمة الارزاق والارفاق اوجب لكل من
الشكر حسب ما اجرى على يديه من البر وقد قال عليه السلام
من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى
تعلموا ان قد كافاتموه فحث عليه السلام على شكر الوسايط للنعم
بعد شكره تعالى فمن ضيع حق العباد الذي هو ابر الشاكرين
اما مقابلة مع القدرة او دعا وثنا حسنا مع القصد كان لشكر الله
الذي هو اعظم قدرا والخلق عنه اعجز اضيع ويجوز ان يكون الحث
على شكر الوسايط لتفرغ قلب العبد من منتهم وتخلص عن
محبتهم اذا جازاهم بما امر معاوضة على نفسهم فتخلى قلبه لله تعالى

بكليته

بكليته فيصح منه اذا شكره حسب وسعه وطاقته د قوله تعالى
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان الفرقان مصدر فرقت بين الشيين
فرقا وفرقانا كالرجحان ويسمى كل فارق فرقانا كما سمى كتاب الله
الفرقان لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر يوم الفرقان
لانه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقوله ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم واختلفوا في معنى
الفرقان في هذه الاية فقال مجاهد هو بمعنى الكتاب
وهما شي واحد وهو اختيار الفرا والعرب تكرر الشي اذا اختلفت
الفاظه على التوهم كقول عدي بن زيد

وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا

وقال عنترة

حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم

وارتضى الزجاج هذا القول قال لان الله ذكر لموسى الفرقان في غير
هذا الموضع وهو قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
هو الكتاب والكتاب هو الفرقان وقيل ان الفرقان ما
في التورية من الفرق بين الحق والباطل والوعد والوعيد
فيكون الفرقان نعتا للكتاب وهو قول ابي العالية واختاره
الكسائي قال وزيدت الواو فيه كما تزاد في النعوت من قولهم
فلان حسن وطويل ودليل هذا التاويل قوله تعالى
ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل
شي وقال قطرب اراد بالفرقان القران وفي الاية
اضمار معناه واذ اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان فحذف
لدلالة الكلام عليه وكان خاطبهم فقال فقد اعطيناكم علم
موسى وعلم محمد عليهما السلام لعلكم تهتدون بهدي الكتابين
وقال ابن عباس اراد بالفرقان النصر على الاعدا بدليل

عليه قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان فنصر الله موسى
عليه السلام واهلك فرعون وقومه وقيل الفرقان هو المخرج
عن الشبهات وقيل الفرقان انفراق البحر لبني اسرايل حين
عبروا ويدل عليه قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر ويجوز التكرير تاكيدا
وان سبق ذكر هذه النعمة قاله يمان واختاره الزجاج قوله
تعالى واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل والقوم اسم
للرجال دون النسآ قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ولا نسا من نسا
وانما سموا قوما لانهم يقومون بالامور قوله تعالى يا قوم
ندا مضاف حذف منه اليا اكتفا بالكسرة وهذا يجوز في الندا خاصة
لانه لا يلبس ومنهم من يثبت اليا ساكنة لقوله تعالى يا عبادي
ومنهم من يفتحها لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
ومنهم من يقلبها بعد فتح ما قبلها ومنهم من يقول يا قوم بضم الميم
والاجود الاكتفا بالكسرة قوله تعالى انكم ظلمتم انفسكم
اي نقصتم حظ انفسكم باتخاذكم العجل فيه اضمار اي باتخاذكم
العجل معبودا قالوا فاي شي نصنع وما الحيلة قال فتوبوا الى
باريكم اي ارجعوا اليه بالطاعة والتوحيد والباري الخالق
والبرية الخلق وهي فعيلة بمعنى مفعولة واختلفوا في هذه
التسمية على اربعة اقوال احدها انها ماخوذة من برا الله
الخلق يبراهم برا والثاني انها فعيلة من البرا والتراب والثالث
انها ماخوذة من بريت العود والرابع انها ماخوذة من تبري
الشي من الشي وهو انفصاله منه ومنه البراة من الدين لانفصاله
عنه وابراه الله من المرض اذا ازاله عنه والقراة بكسر الهمزة
لان كسرها اعراب وروي عن ابي عمرو انه يختلس حركة الهمزة
في باريكم ويامركم وينصركم كانه يخفف الحركة ويقرا بهما بالجزم
فرارا من توالي الحركات وسيبويه ينكر هذه الرواية وكان يقول

ان

ان الراوي لم يضبط عن ابي عمرو ولان ابا عمرو اختلس الحركة
فظن السامع انه سكن قوله فاقتلوا انفسكم اي فقالوا
كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم اصل القتل اماتة الحركة ومنه
قتلت الخمرة بالما اذا مزجتها لانك امت حركتها وقوله انفسكم
فيه ستة اقوال احدها ليقتل البري المجرم وذكر قتل النفس
واراد به الاخوان كقوله ولا تلمزوا انفسكم اي لا تعتابوا اخوانكم
والثاني معناه من قتل اباه او اخاه فكانه قتل نفسه والثالث
معناه استسلموا للقتل وجعل ذلك بمنزلة القتل توسعا
وهذا قول ابن اسحاق والرابع ان هذا خطاب للكل قاله السدي
والخامس ان هذا خطاب لعبدة العجل ان يقتل بعضهم بعضا
والسادس انه امر السبعين الذين خرجوا مع موسى عليه السلام
بقتل الباقين حكاه القشيري وقال اجمعوا على انه لم يومر
كل واحد من عبدة العجل بان يقتل نفسه بيده وهكذا
ذكره النقاش الا ترى الى قوله تعالى ثم انتم هولا تقتلون انفسكم
اي نظراكم في الدين وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا
اي من جنسكم قال قتادة انما جعلت توبتهم القتل
لانهم ارتدوا بعبادة العجل والردة موجبة للقتل وقرا قتادة
فاقيلوا انفسكم من الاقالة اي استقيلوا العثرة بالتوبة فلما
امرهم موسى عليه السلام بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا
بالافنية محتبين واصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل
يرى ابنه واباه وقريبه وجاره وصديقه فلا يقتله فارسل
الله عليهم ضبابة وسحابة لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم سودي صح
من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل
فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم الى المسا فلما كثر
القتل فيهم دعا موسى وهرون وبكيا وجزعا وتضرعا

وقالوا يا رب هلكت بنو اسرائيل فكشف الله السحابة وامرهم ان
يرفعوا السلاح عنهم وبكفوا عن القتل فكشف الله عنهم السحابة
وانجلت عن الوف من القتلى فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه
اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم
شهيدا ومن بقي مكفر عنه ذنوبه فبشر موسى بذلك بني اسرائيل
قال ابن جريج انما جعل القتل توبة لان من كف عن الانكار
لعبادة العجل انما كف خوفا من القتال والقتل فجعلت توبتهم
بالقتل الذي خافوه قوله ذلكم خير لكم عند باريكم اي
توبتكم خير لكم قوله فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به
فتاب عليكم وقيل فتوبوا فانكم ان فعلتم ذلك تاب عليكم انه
هو التواب الرحيم قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن
لك انما قال لك لانك لان المعنى لن نؤمن لاجل قولك او يكون
محمولا على لن نقر لك بما ادعيته ذكر سببا اخر من جهلهم
ومن نعمته عليهم باحيائهم بعد الصاعقة وفي القائلين لذلك
قولان احدهما جميع بني اسرائيل الا من عصمهم الله منهم قاله ابن زيد
وذلك انه اتاهم بكتاب الله فقالوا والله لا ناخذ بقولك حتى
نرى الله جهرة فيقول هذا كتابي والثاني انهم السبعون
المختارون قاله ابن عباس وابن مسعود قال المفسرون
ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون
اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من خيارهم
وخرج بهم الى طور سينا وسمعوا كلام الله تعالى وكان موسى
اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد
من بني اسرائيل ولا غيرهم ان ينظر اليه وتغشاه عمود من
غمام فلما فرغ موسى وانكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة وجهرة مصدر في موضع الحال من اسم الله اي

نراه غير مستور وقيل هو حال من التاء والميم في قلتم اي قلتم ذلك
مجاهرين وقيل هو مصدر منصوب بفعل محذوف اي جهرتم
جهرة قراءة العامة بجزم الهاء وقرا ابن عباس جهرة بفتح الهاء وهما لغتان
والمعنى معاينة بلا ساتر بيننا وبينه واصل الجهر الكشف والظهور
ومنه الجهر بالقراءة والمجاهرة بالمعاصي قوله تعالى
فاخذتكم الصاعقة وقرا عثمان وعلي رضي الله عنهم الصعقة
بغير الف وقرا الباقون الصاعقة بالالف وهما لغتان اي ما يصعقون
به اي يموتون لانه قال ثم بعثناكم من بعد موتكم قيل كانت هذه
الصاعقة صوتا يزيل العقل والفهم والحياة وقيل جاءت نار من
السما فاحرقتهم جميعا وقيل كانت رجفة قال الله تعالى فلما
اخذتهم الرجفة وقيل ارسل الله جنودا فلما سمعوا احسها
ماتوا وفيه ثلاث لغات الصاعقة والصعقة والصاقعة
قال ابو زيد الصاعقة ما تخرج من السما والصاقعة التي تصيب
الراس وانما اخذتهم الصاعقة لانهم اقترحوا معجزة بعدان راوا معجزات
واما موسى عليه السلام فلم يعاقب لما سال الرؤية لانه سال الايمانا
وتصديقا لا شكا وتعنتا وقيل علقوا ايمانهم على شي اعتقدوه
محالا وغرضهم لن نؤمن لك قط فلهذا عاقبهم ومال القفال الى انهم
عوقبوا لانهم سالوا ما يستحيل في حق الصانع واما موسى فانما طلب
الرؤية لقومه ولهذا عاقبهم قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال فالسفهاء هم الذين سالوا
الرؤية وعند اهل الحق فعل السفهاء عبادة العجل قوله
تعالى وانتم تنظرون يريد ينظر بعضكم الى بعض عند نزول
الصعقة وقيل يريد ينظر بعضكم احيا بعض وقيل ينظرون
العذاب كيف ينزل بكم وهذه الاية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة
الرسول عليه السلام مع قيام معجزته كما خالف اسلافهم موسى

جمرو

عليه السلام صح

وقيل هو خطاب لأهل عصر النبي عليه السلام والنظر الانتظار
أي أنتم تنظرون عقوبة الله إن لم تؤمنوا حكاه القشيري ه
قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم وذلك أنهم لما هلكوا
جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل
ولم يزل يناشده حتى أحياهم الله رجلا رجلا ينظر بعضهم إلى بعض
كيف يحيون وأصل البعث الإرسال وقيل بل أصله إثارة الشيء
عن مكانه ونشر الميت كبعث النائم قال ابن الأنباري كل موت
حصل البعث عنه في الدنيا فحكمه حكم النوم لأن الله تعالى أثبت
للخلق الإماتة في دار الدنيا مرة واحدة قال الله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيمة وقال قتادة بعثهم الله ليستوفوا
بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا ولكن ذلك الموت
كان عقوبة لهم على ما قالوا وقال السدي إنهم بعد الإحياء
سألوا أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء وهذه الآية حجة على مشركي
العرب الذين كفروا بالبعث فاحتج النبي عليه السلام بأخبار
من بعث بعد موته في الدنيا فيما يوافق عليه اليهود والنصارى
قوله تعالى لعلكم تشكرون أي نعمة البعث وقيل لكي تؤمنوا
لأن الشكر من صفات المؤمنين ه قوله تعالى وظللنا
عليكم الغمام أي جعلناه ظلة وسترا عن حر الشمس والظل
معناه في اللغة الستر يقال لا أزال الله عنا ظل فلان أي ستره
وقال تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل وليس كقولك ظللت
زيدا بظل لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الغمام مستورا بظل
آخر والغمام جمع غمامة وهي السحاب سمي غماما لأنه يغم السماء أي
يسترها وكل مغطى مغموم وقيل الغمام السحاب الأبيض ه
والصحيح أن يقال هو جنس فإذا أردت الواحد زدت عليه التاء
قال المفسرون وهذا كان حين امتنعوا من دخول بلقا مدينة

الجبارين

الجبارين وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا الآية فعاقبهم الله
فبقوا في التيه أربعين سنة وكانت المفازة اثني عشر فرسخا طولا يعني
التيه ثم ندموا على ذلك وشكوا إلى موسى عليه السلام حر الشمس
فأنزل الله عليهم غماما أبيض رقيقا وليس بغمام المطر بل أرق
وأطيب وأبرد منه فأظلهم وكان لهم عمود من نور يمد لهم من السماء
يسير معهم بالليل مكان القمر وقيل كان هذا في البرية قبل
أن يضرب عليهم التيه فلما أخافوا موسى ظلموا أنفسهم وقال مجاهد
الغمام الذي أظلهم هو الذي أتت الملائكة فيه يوم بدر مثل
قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام فقالوا
هذا الظل قد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى
كرامة لهم ومعجزة لنبيهم وفي المن ستة أقوال أحدها أنه شيء
كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد قاله مجاهد والثاني أنه
الخبز الرقاق قاله وهب والثالث أنه عسل كان يقع على الشجر
من الليل قاله السدي والرابع أنه شيء أنزله الله عليهم مثل
الرب الغليظ قاله عكرمة والخامس أنه الزنجبيل حكي عن السدي
والسادس أنه شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء
قاله الربيع بن أنس قال الزجاج جملة المن ما يمن الله به
مما لا تعب فيه ولا نصب وإنهم سيعين لنا ما وقعت به الكفاية
وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال الكمأة من المن وماؤها
شفاء للعين فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن حلاوته فادع لنا
ربك اللحم فدعا موسى عليه السلام فأنزل الله عليهم السلوى
واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو طائر
يشبه السماني وقيل هو السماني قال مقاتل كان الله
يبعث سحابة تمطرهم السماني وقال عكرمة هو طير يكون
بالهند أكبر من العصفور والواحد سلواه وقيل السلوى وصنعت

للواحد والجمع واشتقاقها من السلو كانه يسلي عن غيره قال
عامة المفسرين انهم كانوا ياخذونها وقيل نحو نها وقال بعضهم
كان ياتيهم مشويا وقال المورج هو العسل بلغة كنانة قال
شاعرهم

وقاسمها بالله حقا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها

وهذا قول من يقول المن الخبز قال ابن جريج كان الله يرسل
عليهم المن والسلوى فياخذ كل واحد منهم ما يكفيه يومه
وليلته فان اخذ زيادة على طعام يومه وليلته فسد عليه الا يوم
الجمعة فانهم كانوا ياخذون ليوم السبت لانه لم يكن ينزل
عليهم فيه شي ه قوله تعالى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من
طيبات من هاهنا للتبعيض او لبيان الجنس والمفعول محذوف
والتقدير كلوا شيا من طيبات وفيه قولان احدهما انه الحلال
والحرام يكون خبيثا واصل الطيب الطاهر سمي الحلال طيبا
لانه طاهر لم يتدنس بكونه حراما والثاني انها المشتهيات
اللذيذة ونهاهم الله عن الادخار فخالفوا فقطع الله ذلك عنهم
ودود وفسد ما ادخروا فذلك قوله تعالى وما ظلمونا اي ضرونا
بالمعصية ولكن كانوا انفسهم يظلمون يضرون باستحقاقهم عذابي
وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مونة ولا حساب
ولا تبعة في العقبى ه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية القرية نعت لهذه قال المفسرون ان بني اسرايل لما
خرجوا من التيه قال الله لهم ادخلوا هذه القرية قال ابن عباس
هي اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال
لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وقيل هي بلقا وقال
ابن كيسان هي الشام وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين
وتدمر وقال مجاهد بيت المقدس وقال مقاتل ايليا

والقرية

والقرية بفتح القاف والجمع قرى والقرية لغة مثل كسوة وكسا
واشتقاق القرية من قريت اي جمعت ومنه المقراة للحوض يجمع
فيه الماء ه قوله تعالى فكلوا منها حيث شيتم رغدا
الرغد الكثير بغير فوت ولا حساب والمعنى موسعا عليكم ه
قوله تعالى وادخلوا الباب يعني بابا من ابواب القرية
وكان لها سبعة ابواب وقال مجاهد والسدي هو باب
حطة وهو معروف وقيل عني بالباب وجها من وجوه القرية
كما يقال هذا باب الامير اي وجهه حكاه القشيري ه قوله
تعالى سجدا حال وهو جمع ساجد وهو ابلغ من السجود قال
ابن عباس ركعا وهو شدة الانحنا وقال وهب قيل لهم ادخلوا
الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى اذ ردهم اليها وقيل
معناه خاضعين متواضعين واصل السجود الخضوع ه قوله
تعالى وقولوا حطة خبر مبتدا محذوف اي سوالنا حطة قاله
الزجاج وقال ابو عبيدة هو رفع على الحكاية وقرى حطة
بالنصب على المصدر اي حط عنا حطا وهي فعلة من الحط وهو
وضع الشي من اعلى الى اسفل وفي حطة خمسة اقوال احدها انه
قول لا اله الا الله لانها تحط الذنوب قاله عكرمة وروي عن ابن
عباس والثاني ان حطة المغفرة فكانه امر بالاستغفار وهو
رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس والثالث هو قولهم هذا
الامر حق كما قيل لهم وهو رواية الضحاك عن ابن عباس والرابع
معناه حط عنا خطايانا وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وهذا
اشبه بظاهر اللفظ والخامس هو بسم الله فيكون المعنى قولوا
ما هو سبب لحط ذنوبكم ثم قيل تعبدوا بلفظة مخصوصة
فخالفوا وقيل لم يعين لهم لفظ بل امروا بالاعتذار على الجملة
قوله تعالى نغفر لكم جواب الامر وهو مجزوم

في الحقيقة بشرط محذوف تقديره ان تقولوا ذلك نغفر لكم واجمع
القرآء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو من ادغامه
الراء عند اللام قال الزجاج فهو خطا فاحش واحسب الذين رووا
ذلك عن ابي عمرو غالطين ولا يدغم الراء في اللام لان الراء حرف مكرر
فهو في تقدير حرفين ولا يدغم الزايد في الناقص ولو ادغمت الراء
في اللام لذهب التكرير من الراء واللام المشددة لا تكرير فيها وقرا
اهل المدينة يغفر بياء مضمومة على ما لم يسم فاعله وقرا اهل الشام
بتاء مضمومة كذلك لانه فصل بين الفعل والفاعل ولان تانيث
الخطا غير حقيقي واصل الغفر الستر والتغطية وغفر الله ذنوبه
اي سترها والمغفر يكون تحت بيضة الحديد قوله تعالى
خطاياكم هو جمع خطيه واصله عندي عند الخليل خطايي
بهمزتين الاولى منهما مكسورة وهو المنقلبة عن الياء الزايدة في خطيه
مثل صحيفه وصحايف واستثقل الجمع بين الهمزتين فنقلوا الهمزة
الاولى الى موضع الثانية فصار وزنه فعالى وانما فعلوا ذلك
لتصير المكسورة طرفا فتنقلب يا فتصير فعالى ثم ابدلوا من كسرة الهمزة
الاولى فتحة فانقلبت بعدها الفا كما قالوا في ياهفي وياسفي فصارت
الهمزة بين الفين فابدل منها يا لان الهمزة قريبة من الالف فاستكرهوا
اجتماع ثلث الفات وقال القرآء الواحدة خطية بتخفيف الهمزة
والادغام وهو مثل مطيه ومطايا والخطية الذنب على عمد قال
ابو الهيثم يقال خطي ما صنعه عمدا واخطي ما صنعه خطا
غير عمد قوله تعالى وسنزيد المحسنين اي الذين
لم يكونوا من اهل تلك الخطية احسانا وثوابا قوله تعالى
فبدل الذين ظلموا قولا في الكلام حذف التبديل تغيير الشي بجنسه
او عن حاله والابدال جعل الشي مكان الشي تقديره فبدل
الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل

يتعدى

يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى اخر بالبا والذي مع
البا يكون هو المتروك والذي بغير با هو الموجود ويجوز ان
يكون بدل محمولا على المعنى تقديره فقال الذين ظلموا قولا غير
الذي لان تبديل القول كان بقول والمعنى انهم بدلوا ما امروا
به من قول وفعل فالفعل السجود والقول حطة فاما تغيير
الفعل قال مجاهد طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فلم يفعلوا
ودخلوا يزحفون على استاههم وقيل دخلوا مقنعي روسهم قاله
ابن مسعود وقيل دخلوا مستلقين قاله مقاتل وقيل دخلوا
منحرفين على شق وجوههم واما تغيير القول فقيل انهم قالوا مكان
حطة حبة في شعيرة مستهزئين بذلك رواه ابو هريرة
عن النبي عليه السلام وقيل قالوا حنطة قاله ابن عباس وعكرمة
ومجاهد ووهب وابن زيد استخفافا بامر الله تعالى وقيل قالوا
هطا سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا بامر الله بلغة النبط
قوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما الرجز
العذاب قال الله تعالى لين كشفت عنا الرجز اي العذاب
وسمي كيد الشيطان رجزا لانه سبب العذاب قال الله تعالى
وليذهب عنكم رجز الشيطان وقال تعالى والرجز فاهجر
قيل اراد به عبادة الاوثان لانه سبب العذاب والرجز بكسر الرا
وضمها لغتان وفي ماهية هذا العذاب خمسة اقوال احدها
ان الله تعالى ارسل عليهم ظلمة وطاعونا فهلك منهم في ساعة
واحدة سبعون الفا قاله الضحاك والثاني ظلمة وموت
قاله ابن عباس والثالث ثلج قاله سعيد بن جبير والرابع انه الغضب
قاله ابو العاليه والخامس نزلت نار فاحرقتهم وقيل بقوا فيه
اربعين يوما واصل الكلمة تتابع الحركات وناقة رجزا اذا
كانت ترتعد قوايمها عند قيامها والرجز ضرب من الشعر لقصر

ابياته وسرعة الخروج من بيت الى بيت والرجز العذاب المقلقل
لشدته ٥ قوله تعالى بما كانوا يفسقون اى بخروجهم
عن الطاعة فالبا بمعنى السبب وفي تكرار الذين ظلموا زيادة في
تقبيح امرهم وايذان ان انزال الرجز عليهم من اجل ظلمهم ثم رجع
الى قصة موسى عليه السلام حين كانوا في التيه فقال تعالى واذ
استسقى موسى لقومه السين فيه سين السؤال اى سال السقي
لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى من اين الشراب
فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك الحجر
وكانت عصا من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى لها
شعبتان تتقدان في الظلمة وكان ادم عليه السلام حمله معه
في الجنة الى الارض فتوارثه الانبيا صاغرا عن كابر من لدن ادم
عليه السلام حتى وصل الى شعيب فاعطاه موسى عليه السلام
والف العصا من واو لان تثنيتها عصوان وتقول عصوت
بالعصا اى ضربت بها واختلفوا في الحجر فقال وهب بن
منبه هو غير معين والمامور به ضرب حجر اى حجر كان وقال
ابن عباس وابن جبير وقتادة وعطية انه حجر مخصوص معين
والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف
ثم اختلفوا ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا
مثل راس الرجل امر ان يحمله وكان يضعه في مخلاته فاذا
احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وفي بعض الكتب
انها كانت رخاما وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع
عليه موسى عليه السلام ثوبه ليغتسل فجاءه جبريل عليه السلم
فقال ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك
فيه معجزة فكان اذا احتاج الى الما ضربه وقيل رفعه
موسى عليه السلام من اسفل البحر حين مر فيه مع قومه

وقيل

وقيل ذلك الحجر كان من الجنة قوله تعالى فانفجرت
منه اي فضربه فانفجرت اى انشقت والانفجار الانشقاق
وسمي فجر النهار لشقه ظلمة الليل والانبجاس اضيق منه لانه
يكون انبجاسا ثم يصير انفجارا وقيل الانفجار والانبجاس بمعنى
قوله تعالى اثنتا عشرة عينا قراءة العامة بسكون الشين
على التخفيف وقرا العباس بن الفضل الانصاري بفتح الشين
على الاصل وقرا ابو جعفر المدني بكسر الشين ولما كان القوم اثني
عشر سبطا اخرج الله لهم اثنتي عشرة عينا والعين من الاسما المشتركة
قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اراد كل انسان
منهم يعني الاسباط والمشرب يجوز ان يكون مصدرا مثل المدخل
والمخرج ويجوز ان يكون موضعا اي موضع شربهم قال المفسرون
كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة وكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر
وجا كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلها فاذا ارتحلوا
انقطع الما والحكمة في ذلك ان الاسباط كان بينهم مباهاة
وكل سبط لا يتزوج من سبط اخر واراد كل سبط تكثير سبط
نفسه فجعل لكل سبط منهم نهر على حدته يسقي منه اهله ودوابه
لئلا يقع نزاع ٥ قوله تعالى كلوا واشربوا اي وقلنا لهم
ذلك ٥ قوله تعالى ولا تعثوا يقال عثى يعثي عثوا ويقال
ايضا عثا يعثوا وعاث يعيث وهو اشد الفساد ٥ وقوله
مفسدين حال مؤكد وقيل المعنى الخلط اى لا تخلطوا في
اموركم مفسدين ٥ قوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد بين نوعا اخر من عتوهم واعتراضهم على انبيائهم وهو انهم
قالوا لن نصبر على طعام واحد والطعام اسم جامع لما يوكل
وانما قالوا طعام واحد وهما اثنان المن والسلوى لان العرب
تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد وعن الواحد بلفظ الاثنين ٥

كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح منهما
دون الاخر العذب وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا
يعجنون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا فياكلونه قال
المفسرون انهم ملوا عيشهم وما كانوا ياكلونه وذكروا عيشا كان
لهم بمصر فقالوا لموسى ادع لنا ربك اي ادع لاجلنا ربك وسله
ان يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وهو كل نبات لا يبقى له
ادارعته الماشية يقال بقلت الارض وابقلت لغتان قوله
وقثايها فيه لغتان كسر القاف وهي قراة العامة وضمها وهي لغة
تميم وقد قرا بها ابن مسعود وابو رجا والكسر اجود وهي لغة الحجاز
والقثا معروف وقيل اراد بالقثا جميع ما يخرج من الفاكهة
نحو القثا والبطيخ وغيرهما ذكره ابو الليث قوله وفومها
فيه اربعة اقوال احدها انه الخبز يقول العرب فوموا لنا اي
اخبزوا قاله بن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد والثاني انه
الحنطة قاله قتادة وابو مالك وهي لغة قديمة قال الشاعر

قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم

والثالث انه الحبوب كلها ذكره ابن قتيبة والزجاج والرابع انه الثوم
قاله الكلبي والنضر بن شميل والكسائي والمورج
وانشد المورج لحسان

وانتم اناس لئام الاصول طعامكم الفول والحرقل

يعني الثوم والبصل والعرب تعاقب بين الثا والفا فتقول للصمغ
الغرفط مغاثير ومغافير ودليل هذه الاقاويل انها في مصحف
عبد الله وثومها قوله تعالى وعدسها وبصلها
روى الحسين عن ابيه عن علي عليهما السلام عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باكل العدس فانه مبارك
مقدس وانه يرق القلب ويكثر الدمعة وانه بارك فيه سبعون

سبعون نبيا اخرهم عيسى بن مريم فقال لهم موسى اتستبدلون
وفي مصحف ابي اتبدلون الذي هو ادنى اي اسهل واقرب
متناولا بالرفيع الجليل الذي خصكم الله به ويجوز ان يكون معنى
الدنو في معنى القرب من القيمة يقول اتاخذون ما هو اقل قيمة
بدلا بالذي هو خير في القيمة ويجوز ان يكون ادنى من الدناة وهي
الخسة والرداة والمعنى اتستبدلون ما هو اوضع واخس بالذي
هو خير وهذا اختيار الفرا وقرى ادنا بالهمز والعامة على ترك
الهمز وقال بعض النحاة هو ادون فقدمت النون وحولت الواو
ياه قوله تعالى اهبطوا مصرا قراة العامة بالتنوين والجيد
كسر البا من اهبطوا والضم لغة وقد قري به والمعنى فان ابيتم الا ذلك
فاهبطوا مصرا من الامصار ولو اراد مصر بعينها لقال مصر ولم يصرفه
كقوله تعالى ادخلوا مصر ان شا الله امنين وهذا معنى قول قتادة
وقرا طلحة والحسن مصر بغير تنوين جعلاها معرفة وهو البلد
المسمى بمصر وكذلك هو في مصحف عبد الله وابي بغير الف وانما
صرف على هذا القول لخفته وقلة حروفه مثل دعد وهند
ونحوهما واختلفوا في اشتقاق المصر فمنهم من قال انه مشتق
من القطع لانقطاعه بالعمارة ومنهم من قال هو مشتق من الفصل
بينه وبين غيره قال المفضل سميت مصر لانها اخر حدود
المشرق واول حدود المغرب فهي حد بينهما والمصر الحد واهل
هجر يكتبون في عهدهم فلان اشترى الدار بمصورها اي بحدودها
قال عدي بن زيد

وجاعل الشمس مصرا لا خفا به بين النهار وبين الليل قد فصلا

قوله تعالى فان لكم ما سالتم ما في موضع نصب اسم ان
وهي بمعنى الذي ويضعف ان يكون نكرة موصوفة والمعنى
فان لكم ما سالتم من نبات الارض قوله تعالى وضربت

عليهم الذلة اي الزموها الزاما لايبرح عنهم واصله من ضرب
الشي على الشي والذلة الذل والهوان وفرس ذلول من الذل وهو
ضد الصعوبة ورجل ذليل بين الذلة والذل والمعنى انهم الزموا
بالجزية والغيار قال الله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وقيل ضرب الذل حصل على من كان في عصر نبينا محمد عليه
السلام من بني اسرايل حكاه القشيري قوله تعالى
والمسكنة هي مفعلة من السكون ومنه يكنى الفقير مسكينا لسكونه
وقلة حركاته والمسكنة ذي الفقر فترى المثرى منهم يتباس
ويظهر الفقر مخافة ان تضاعف عليه الجزية وقيل المذلة فقر
القلب فلا يرى في اهل الملل اذل ولا احرص على جمع المال من
اليهود وقيل عني بالذل والمسكنة شره نفوسهم الى البقل والكراث
والبصل والشره ذل ناجز وقيل عني بالذل والمسكنة ان هذه
الاشيا انما يتوصل اليها بالزراعة وكد النفس فامتهنوا في الاعمال
الشاقة حكاهما القشيري قوله تعالى وباوا بغضب
الله فيه خمسة اقوال احدها وهو قول ابي العالية وابي العباس
المبرد ان اصل ذلك المنزلة ومعناه انهم نزلوا منزلة غضب من الله
والثاني وهو قول ابي اسحق الزجاج ان اصل ذلك التسوية يقال
هم في هذا الامر بوا اي سواء وبات دما القوم اي استوت وقوله
وباوا بغضب من الله اي استوى عليهم الغضب من الله ومنه ما روى
عن عبادة بن الصامت قال جعل الله الانفال الى نبيه عليه السلام
فقسمها بينهم على بواء اي على سواء والثالث وهو قول الكساي
معناه انهم رجعوا بغضب من الله قال وباوا الرجوع الا انه
لا يكون رجوعا الا بشي اما بخير واما بشر والرابع وهو قول ابي روق
استحقوا والبا صلة والخامس وهو قول ابي عبيدة احتملوا واقروا
به ومنه الدعا الماثور ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر

الذنوب

68

الذنوب الا انت وغضب الله عليهم ذمه لهم وتوعده اياهم في الدنيا
وانزال العقوبة بهم في العقبى ولذلك بغضه وسخطه اه
قوله تعالى ذلك اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة
والغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله قال ابن عباس
يريد الحكمة التي نزلت على محمد عليه السلام وقيل معجزات
محمد وصفته المذكورة في التورية واية الرجم في التورية والانجيل
والقران وقيل كذبوا عيسى وزكريا ويحيى ومحمد عليهم السلام
قوله تعالى ويقتلون القراة بالتخفيف من القتل وقرا
السلمي بالتشديد من التقتيل قوله تعالى النبيين القراة
المشهورة التشديد من غير همز وتفرد نافع بهمز النبيين وبابه
قال ابو عبيدة اجمعت العرب على حذف الهمزة من اربعة
احرف من النبي والذرية والخابية والبرية واصلها الهمز قال
الزجاج الاجود ترك الهمز من النبي والبرية لان الغالب استعمالهما
بتخفيف الهمزة ووجه من همز النبي ان يقول هو اصل الكلمة
لانه من النبا وهو الخبر لكنه خفف بان قلبت الهمزة يا ثم ادغمت
اليا الزايدة فيها ومنه قوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وقوله
تعالى من انباك هذا ومن حذف الهمزة فله وجهان احدهما ما ذكره
الزجاج والثاني ان يكون بمعنى النبوة وهي الارتفاع يقال نبا
الشي عن المكان اذا ارتفع ورتبة النبي عليه السلام ارتفعت
عن رتب ساير الخلق وفيه وجه اخر قال الكساي النبي بغير
همز الطريق فالمبلغ عن الله طريق الخلق الى الله تعالى وطريقه
الى الخلق قال ابن مسعود كانت بنو اسرايل تقتل في اليوم
ثلثماية نبي قوله تعالى بغير الحق اي بغير جرم قاله
ابن الانباري وقيل انه توكيد لقوله تعالى ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وقيل هو خارج مخرج الصفة لقتلهم انه ظلم

فهو كقوله تعالى رب احكم بالحق فوصف حكمه بالحق ولم يدل على انه يحكم بغير الحق وهولا الذين قتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم وانما جاز ان يخلي الله تعالى بين الكفار وقتل الانبيا لينالوا من رفيع المنازل ما لا ينالونه بغيره وليس ذلك بخذلان لهم كما يفعل بالمومنين من اهل طاعته قوله تعالى ذلك بما عصوا اي ذلك الكفر والقتل بعصيانهم والكفر والعصيان ههنا واحد وقيل اي ذلك الكفر والقتل بشوم عصيانهم في السبت واعتدايهم وغير ذلك وقيل اي ضربت عليهم الذلة والمسكنة لكفرهم وعصيانهم كما تقول انما ضربتك لانك كفرت بنعمتي لانك اعرضت عن امري والاعتدا التجاوز الحد واصل عصوا عصيوا فلما تحركت اليا وانفتح ما قبلها قلبت الفا ثم حذفت الالف لالتقا الساكنين وبقيت الفتحة تدل عليها والوا وهنا تدغم في الواو التي بعدها لانها مفتوح ما قبلها فلم يكن فيها مد يمنع من الادغام ٥ قوله تعالى ان الذين امنوا فيهم خمسة اقوال احدها انهم قوم كانوا مومنين بعيسى عليه السلام قبل ان يبعث محمد عليه السلام ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا والثاني انهم مومنوا الامم الماضية والثالث انهم المنافقون قاله سفين الثوري والرابع انهم الذين كانوا يطلبون الاسلام كقس بن ساعدة وبحيرا وورقة بن نوفل والخامس انهم المومنون من هذه الامة ٥ قوله تعالى والذين هادوا يعني اليهود الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا وماتوا على ذلك وقرا ابو السمال العدوي والذين هادوا بفتح الدال من المهاداة اي مال بعضهم الى بعض في دينهم ٥ قوله والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يبدلوا وهذان اسمان لزماهم زمن موسى وعيسى حيث كانوا على الحق فبقي الاسم عليهم كما بقي اسم الاسلام على امة محمد عليه السلام وقيل

الذين هادوا اعتقدوا اليهودية وهو الدين المبدل بعد موسى عليه السلام والنصارى هم الذين اعتقدوا النصرانية وهو الدين المبدل بعد عيسى عليه السلام واختلف العلما في سبب تسميتهم اليهود فقال بعضهم سموا بذلك لانهم هادوا اي تابوا من عبادة العجل كقوله تعالى اخبارا عنهم انا هدنا اليك اي تبنا ٥ وانشد ابو عبيدة

اني امرؤ من مدحه هايد

اي تايب وقال بعضهم لانهم هادوا الا انهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى عليه السلام يقال هاد يهود هودا اذا مال قال امرو القيس

قد علمت سلمى وجاراتها اني من الناس لها هايد

اي اليها مايل وقال ابو عمرو بن العلا انهم يتهودون اي يتحركون عند قراة التورية ويقولون ان السموات والارض تحركت حين اتى الله تعالى موسى عليه السلام التورية وقيل انهم نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب فقلبت الدال ذالا لان الاعجمية اذا عربت غيرت عن لفظها واختلفوا في تسمية النصارى بهذا الاسم فقال الزهري سموا نصارى بهذا الاسم لان الحواريين قالوا نحن انصار الله وقال مقاتل لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة فنسبوا اليها وقيل لتناصرهم والنصارى جمع واحدة نصراني وقيل نصران باسقاط اليا مثل ندمان وندامى فزيدت فيه يا النسبة وقال الزجاج واحدة نصري مثل بعير مهري وابل مهارى ٥ قوله والصابيين قرا اهل المدينة بترك الهمز في جميع القران وذلك على قلب الهمزة الفا في صبا وعلى قلبها يا في صابي ولما قلبها يا حذفها من اجل يا الجمع وقرا الباقون بالهمز على الاصل وهو من صبا يصبا اذا مال وخرج من دين الى دين قال الفرا

يقال لمن احدث دينا قد صبا واصبى بمعنى واحد واختلفوا
في الصابين من هم فقال عمر رضي الله عنه هم طايفة من
اهل الكتاب وهو قول السدي وقال ابن عباس لا دين لهم
وكان لا يراهم من اهل الكتاب ولا يحل ذبايحهم ولا مناكحتهم
وقال مجاهد قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس لا دين لهم
وكان لا يراهم من اهل الكتاب وقال قتادة ومقاتل هم قوم
يقرون بالله تعالى ويعبدون الملايكة ويقراون الزبور
ويصلون الى الكعبة واخذوا من كل دين شيا وقال الكلبي
هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط روسهم ويجبون مذاكرهم
وقال عبد العزيز بن يحيى درجوا وانقرضوا فلا عين لهم ولا
اثر وقيل هم يقولون لا اله الا الله فقط وليس لهم عمل ولا
كتاب ولا شي قاله بن زيد وقيل هم قوم كانوا يعبدون النجوم
ويعظمونها واستفتى القاهر ابا سعيد فيهم فافتى بقتلهم
وحكمهم عند ابي حنيفة انه تحل نكاح نسايهم واكل ذبايحهم
لانهم بين اليهود والنصارى وقال ابو يوسف ومحمد هم
بمنزلة المجوس لا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم قوله تعالى
من امن بالله اي من جملة هولا الاصناف المذكورة في هذه
الاية من امن ايمانا حقيقيا وهو ان يومن بالله ورسوله محمد
عليه السلام والدليل على انه اراد الايمان بمحمد عليه السلام
قوله وعمل صالحا وقد قام الدليل على ان من لا يومن
بالنبي عليه السلام لا يكون عمله صالحا وقيل انما اعاد
ذكر الايمان لان المعنى من اقام على دينه وايمانه ويجوز
ان تكون الواو فيه مضمرا اي ومن امن بعدك يا محمد الى
يوم القيمة وقيل الاية منسوخة لانها تقتضي ان من
مات على اليهود والنصر عاملا بجتهد افله الجنة وانما نسخت

بقوله

[illegible]

[illegible]

انواع

[illegible]

حالا من اضمير نفسه ... ان يكون ...

[illegible]

احكام المعارف فلزم ان يكون تعريفها باللام المقدرة واللام هنا

[illegible]

فاما صح

القصة

فيها فضل فقال للطابع ان الذي ... ومفتاح الصندوق تحت ...

[illegible]

عادو

[illegible]

ليه

يتمنون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... هذا الكتاب ... [illegible]

عليهم بالعراق ... [illegible]

... [illegible] ...

الذي ... [illegible] ... اخر الزمان ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... بما ... وجود معنى العلم بقول

العجل وإنما اقتاد ذكر العجل ... ذكر ... لان ...

[illegible]

الدليل

[redacted]

ارابع

جد

[redacted]

[illegible]

[illegible]

جماعة

[illegible]

[illegible]

فصل

فصل

فصل

ذلك صح

فصل

بدل

فصل

[illegible]

فصل

[illegible]

بالتدبير

[illegible]

فصل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ... [illegible]

بالامر ... [illegible] ... واقيموا الصلاة

واتوا الزكاة اي ... [illegible] ... واشتغلوا بما امرتم ... [illegible]

والزكاة ... قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من

خير اي طاعة وعمل صالح تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه ...

عند

عند ... [illegible]

[illegible]

... بالانجيل وعيسى وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وكفروا

بالتوراة وموسى ... قوله تعالى ... [illegible]

وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى

لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ... [illegible]

في اللفظ ... [illegible] ... قال الله تعالى وقالت

اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على

شيء ... جمع بين الفريقين لاجتماعهما في الايمان بالتوراة

١١١

[illegible]

ام كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب وقومهم [illegible] على شيء وانا الدين

[illegible]

[illegible] او جلالا اذا خضع الوجه لله خضع جميع البدن لانه

دينار له عطاء [illegible]

[illegible]

فقد

[illegible]

[illegible] قال تعالى ان ربك واسع [illegible]

[illegible]

[illegible] قوله تعالى [illegible]

[illegible]

نقالت الصحابة [illegible]

[illegible]

والمسح والملك [illegible]

[illegible]

[illegible] في حال يقول [illegible] في حال العدم [illegible]

فان كان في حال عدمها استحال ان [illegible]

الأمر

الامر الا بان [illegible] في حال وجوده [illegible] حال لا يجوز ان

[illegible]

والوجه الثاني ان حركات الامر [illegible] ان تخالف الامر [illegible]

او في الفاعل [illegible] فان [illegible] قوله اذهب [illegible]

والفاعل في اللفظ [illegible] الامر ويقول اذهب [illegible]

فالفاعلان [illegible] مختلفان ويقول اذهب [illegible]

فالفاعلان [illegible] مختلفان فاما ان [illegible] الفعلان

والفاعلان [illegible] اذهب [illegible] والعلة فيه ان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذلك الى ايام [illegible]
الحد بالاجماع وقيل [illegible]
بالاسود [illegible]
الحرم [illegible] والسنة
ويافع [illegible] على الحجر
اخبر عن [illegible] واخذ
مصلى [illegible]
عليه [illegible]
[illegible]

قدم

قدم ابراهيم عليه السلام من فضل بناء الكعبة فلما ضعف ابراهيم عليه السلام
على رفع الحجارة [illegible] اثر اصابعه وعقبه
واخمص قدمه [illegible] الناس بايديهم [illegible]
من مقام ابراهيم [illegible] المتخذ
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] خلف المقام ركعتين [illegible] من ماء زمزم
[illegible] عمرو بن العاص يقول
عند المقام [illegible] اشهد بالله [illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله
[illegible]

[illegible]

اليه

اليه تخصيصا وتفضيلا وسمع عمر صوت رجل في المسجد فقال ما هذا
اتدري اين انت وروى حذيفه بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اوحى الله الي يا اخا المرسلين يا اخا المنذرين انذر قومك
ان لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا بقلوب سليمه والسنه صادقه وايدي نقيه
وفروج طاهره ولا يدخلون بيتا من بيوتي ولاحد عندهم مظلمه فاني
العنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامه الى اهلها فاكون
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من اوليائي واصفيائي
ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وعن
معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جنبوا
مساجدكم غلمانكم يعني صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم ورفع اصواتكم
وحدودكم وخصومتكم وبيعكم وشراكم وبخروها يوم جمعكم واجعلوا على
ابوابها مطاهركم وقرا الحسن واهل المدينه بيتي بفتح اليا
قوله تعالى للطايفين يقال طاف يطوف ويطيف طوفا
وطوافا وطوفانا واطاف يطيف بمعنى واحد وفي الطايفين قولان
احدهما انهم الغربا الذين ياتون البيت من افاق الارض قاله سعيد بن
جبير والثاني انهم الذين يطوفون بالبيت قاله عطا قوله تعالى
والعاكفين فيهم اربعة اقوال احدها انهم اهل البيت الحرام
قاله سعيد وقتاده والثالث انهم المعتكفون قاله مجاهد وعكرمه
والثالث انهم المصلون قاله بن عباس والرابع انهم المجاورون البيت
الحرام بغير طواف ولا اعتكاف ولا صلاة قاله عطا روى بن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله في كل يوم وليله
عشرين ومايه رحمه ينزل على هذا البيت ستون للطايفين واربعون
للمصلين وعشرون للناظرين قوله تعالى والركع يريد
اهل الصلاة لانها تجمع ركوعا وسجودا والسجود جمع ساجد وقيل
هو مصدر وفيه حذف مضاف اي الركع ذوي السجود وقد روى بن عباس

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الطواف بالبيت صلاة
الا ان الله عز وجل قد احل فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق الا بخير
قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا اي
واذكروا دعوة ابراهيم عليه السلام حين لم يسكروا ان يجعل البيت قبله
والبلد جمع بلدة ويجوز ان يكون واحدا وجمعه بلدان وبلاد ويطلق
البلد على كل موضع من الارض عامرا وغامر مسكون او خال ومنه
يقال للموضع الخالي من الكواكب بين النعايم وسعد الذابح بلدة والذي
ليس بمقرون الحاجبين ابلد لخلو ذلك المكان عن الشعر والاصل
في الكلمة الاثر وفي الغالب يسمى الموضع المسكون البلد لان اثر الناس
قد بدا فيه بالاستيطان ومقصود ابراهيم عليه السلام بهذا الدعا ان يجعل
الله ذلك الموضع مسكونا ويقال رجل بلد اذا ظهر اثر الجهل فيه وقوله
تعالى اجعل اي صير وهذا المفعول الاول وبلدا المفعول الثاني وامنا
صفة المفعول الثاني والبلد مكة وامنا اي مامونا لا يصاد طيره ولا
يقطع شجره ولا يختلى خلاه ومن قتل صيد مكة تغلبه جزاؤه
واختلفوا في ان مكة هل صارت حرما بسؤال ابراهيم عليه السلام
ام كانت قبله كذلك على قولين احدهما انها لم تزل حرما امنا من الجبابرة
المسلطين ومن الخسوف والزلازل وانما سال ابراهيم عليه السلام ان
يجعلها امنا من الجدب والقحط وان يرزق اهلها من الثمرات روى ابو شريح
الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة قتلت خزاعة
رجلا من هذيل فقام رسول الله خطيبا فقال يا ايها الناس ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيمة
لا يحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر ان يسفك فيها دما او يعضد
بها شجرا وانها لا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة غضبا
على اهلها الا وهي قد رجعت على حالها بالامس الا ليبلغ الشاهد
الغايب فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها فقولوا
ان

ان الله قد احلها لرسوله ولم يحلها لك والقول الثاني ان مكة كانت
حلالا قبل دعوة ابراهيم عليه السلام كسائر البلاد وانما بدعوته صارت
حرما امنا كما صارت المدينة بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حراما بعد ان
كانت حلالا لقوله عليه السلام ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة واني
حرمت المدينة ٥ قوله تعالى وارزق اهله من الثمرات يعني انواع
حمل الاشجار فاستجاب الله دعا ابراهيم عليه السلام في المسلمين ٥
قال المفسرون ان الله تعالى بعث جبريل عليه السلام الى الشام
حتى قلع الطايف من موضع الاردن ثم طاف بها حول الكعبة فسميت
الطايف ثم انزلها تهامة ومنها تجبى الثمرات الى مكة قوله تعالى
من آمن منهم بالله واليوم الاخر من بدل من اهله وهو بدل البعض من
الكل كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
وهذا كما تقول اخذت المال ثلثيه ورايت القوم ناسا منهم وانما خص
ابراهيم عليه السلام بطلب الرزق للمومنين لان الله تعالى ادبه بقوله
لا ينال عهدي الظالمين فتوهم انه كما لا يعطيهم النبوة الا اذا كانوا
مومنين لذلك لا يرزق اهل مكة الا ان يكونوا مومنين فقال
ومن كفر فامتعه قليلا ساروزقه الى منتهى اجله وقال ابن عباس
كانت دعوة ابراهيم يوميذ واهلها مومنون فما زالوا على ايمان حتى
غير ذلك عمرو بن لحي الخزاعي وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايته في جهنم يجر قصبه يعني امعاه في النار وكان اول من غير دين ابراهيم
عليه السلام وعبد الاصنام وسيب السايبة وبحر البحيرة وبهر اهل مكة
قرا العامة فامتعه بالتشديد من التفعيل وعليه التنزيل كقوله
تعالى يمتعكم متاعا حسنا وقوله متعناه متاع الحيوة الدنيا وقوله ومتعناهم
الى حين وقرا ابن عامر بضم الالف وجزم الميم خفيفة من الامتاع وافعل
قد يكون بمعنى تفعل في كثير من المواضع نحو فرحته وافرحته وقرا
ابي بن كعب فنمتعه قليلا ثم نضطره بالنون فيهما وقرا ابن عباس فامتعه

بفتح الالف وكسر التا خفيفه ثم اضطره موصوله الالف مفتوحه الرا على
جهة الدعا من ابراهيم عليه السلام وقوله ومن كفر من بمعنى الذي او نكره
موصوفه وموضعها نصب والتقدير قال وارزق من كفر وحذف الفعل
لدلالة الكلام عليه فامتعه عطف على الفعل المحذوف وقيل ومن
شرطيه والفا جوابها وكفر بمعنى يكفر ومعنى قليلا اى زمانا قليلا وانما
وانما وصف بالقله من حيث كان الى نفاد وقيل قليلا اى الى خروج
محمد عليه السلام فاذا بعثته منع الكفار من مكة فالمتاع هو المقام
في الحرم فكان ابراهيم عليه السلام يسال ان لا اسكن مكة الا مومن
فقال الله يسكنها الكفار الى مبعث محمد عليه السلام حكاه القشيري
قولـــــه عز وجل ثم اضطره اى الجيه في الاخرة الى عذاب النار
وبيس المصير اى المرجع يصير اليه وقرا الجمهور اضطره على رفع الرا وقرى
بفتحها ووصل الهمزة على الامر كما تقدم ه قولـــــه عز وجل واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل اى واذكر ذلك والقعود الثبات
ومنه قوله تعالى تبوى المومنين مقاعد للقتال اى مثابت ومراكز وقعدت
المراة عن الحيض اى ثبتت على حالة الطهر فالقواعد اصول الاساس الواحدة
قاعده ويقال لخشبات اسفل الهودج القواعد لانها كالاساس له قال بن
عباس جا ابراهيم عليه السلام الى ابنه اسمعيل عليه السلام فقال يا اسمعيل
ان الله تعالى قد امرني بامر قال اطع ربك قال فتعينني قال اعينك قال
ان الله امرني ان ابني له بيتا هاهنا فعند ذلك رفع ابراهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا اى يقولان هذا كقوله تعالى والملايكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم المعنى يقولون اخرجوا انفسكم ومثله يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم اراد يقولون وقرا ابى وابن مسعود يقولان
ربنا تقبل منا وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم واسمعيل بسبعه املاك
يعينونهما على بنا البيت ه قولـــــه تعالى انك انت السميع العليم
يريد السميع لدعاينا العليم بما في قلوبنا قال الخطابي ويكون السماع بمعنى

القبول والاجابة كقوله عليه السلام اعوذ بك من دعا لا يسمع اى لا يستجاب
وقول المصلي سمع الله لمن حمده اى قبل الله حمد من حمده **فصل**
في بنا البيت روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الملايكة
تحج الى البيت قبل ادم عليه السلام قال بن عباس لما اهبط ادم قال
قال الله له يا ادم اذهب فابن لي بيتا وطف به واذكرني حوله كما رايت
ملايكتي تصنع حول العرش فكان ادم عليه السلام اول من اسس
البيت وطاف به وحج اربعين حجه من الهند الى مكة على رجليه ولم يزل
كذلك الى زمن الطوفان فرفعه الله الى السما الرابعه وهو البيت المعمور
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمه
وبعث الله جبريل عليه السلام حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس
صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلم
ثم ان الله تعالى امر ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ببنا البيت فلم يدر
ابراهيم اين يبني فسال الله ان يبين له موضع البنا فبعث الله سحابه
على قدر الكعبه فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وافت مكه
ووقفت على موضع البيت ونودي منها ابراهيم ان ابن على ظلها فبنى على
خيالها وقال بعضهم ارسل جبريل ليدله على موضع البيت
وقال علي كرم الله وجهه بعث الله اليه السكينه لتدله على
موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان شبه الحيه فتبعها ابراهيم
عليه السلام حتى اتيا مكه والخجوج هي التي تلتوي في هبوبها وقال
الاصمعي هي من الرياح الشديدة الممر وفي روايه عنه ان الله انزل عليه
كهيه السحابه فيها راس يتكلم ويقول يا ابراهيم علم على ظلي فلما علم ارتفعت
وبنا البيت من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي
وحرا وكانت القواعد من حرا فلما انتهى ابراهيم عليه السلام الى موضع
الحجر الاسود قال لاسمعيل جيني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر
فقال جيني بحجر يكون احسن من هذا فمضى اسمعيل عليه السلام يطلبه

فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها فاخذ الحجر
الاسود ووضعه مكانه ❁ قولـــه عز وجل ربنا واجعلنا
مسلمين لك اى مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك والمسلم المستسلم
لامر الله تعالى وقرا عوف بن ابى جميلة مسلمين بكسر الميم على الجمع ❁
قولـــه عز وجل ومن ذريتنا امة مسلمة لك كل قوم نسبوا
الى نبي فاضيفوا اليه فهم امته وكل جيل من الناس امة على حدة
قال ابن الانبارى الامة ايضا اتباع الانبيا قال ابن عباس يريد
امة محمد عليه الصلاة والسلام المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان
وانما خصا بالدعوة بعض الذرية لان الله تعالى علمهما ان في ذريتهما
من لا ينال العهد في قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين ويقال انه لم يدع
نبي الا لنفسه ولامته الا ابراهيم عليه السلام فانه دعا مع دعايه لنفسه
ولامته ولهذه الامة لقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله ومن ذريتنا
يجوز ان يكون من لابتدا غاية الجعل فيكون مفعولا ثانيا وامة مفعولا
اولا اول ومسلمة نعت للامة ❁ قولـــه عز وجل وارنا مناسكنا
قال الزجاج الاجود كسر الرا لان الاصل ارانا فالكسرة في الرا انما
هي كسرة همزة القيت وطرحت حركتها على الرا فالكسرة دليل الهمزة وحذفها
قبيح وهو جايز على بعد لان الكسرة والضمة تحذفان استثقالا كقولهم
في فخذ فخذ وقرا ابن مسعود وارهم ردا الى الذرية وقرا ابن كثير
وارنا بسكون الرا واختلس ابو عمرو كسرة الرا واشبعها الباقون والمعنى
عرفنا متعبداتنا والمواضع التي تتعلق بها النسك فنفعله نحو المواقيت
التي نحرم منها والموضع الذي يوقف فيه بعرفة وموضع الطواف
ورمي الجمار وقال مجاهد مذابحنا والنسك الذبيحة واصل
النسك العبادة ويقال للعابد ناسك وقيل سمي منسكا لانه معتاد
يتردد الناس اليه في الحج والعمرة من قولهم لفلان منسك اذا كان له
موضع معتاد لخير او شر ❁ قولـــه عز وجل وتب علينا اي

وتجاوز

وتجاوز عنا وارجع علينا بالرافة والرحمة وقيل ارادتا من الصغاير
وقيل المقصود ان يتادب بادبهما في الرغبة في التوبة وقيل رجع
الدعا اليهما والى الذرية اي ارهم مناسكهم ❁ قولـــه عز وجل انك
انت التواب اى المتجاوز الرجاع بالرحمة على عباده الرحيم قولـــه
تعالى وابعث فيهم قال ابن عباس يريد في ولدي والكناية تعود الى	دنا صح
الذريه او الى الامة في قوله امة مسلمة لك وكلاهما ولد ابراهيم عليه السلم
وهم العرب ❁ قولـــه عز وجل رسولا منهم قال ابن عباس
يريد محمدا عليه السلام وقد روى خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
قال نعم انا دعوة ابراهيم عليه السلام وبشرى عيسى وقوله منهم اي
من جملتهم يعرفون مولده ومنشاه ونسبه فيكون ذلك اقرب
الى علمهم بصدقه وليكون اشفق عليهم من اجنبي لو ارسل اليهم ❁
قولـــه عز وجل يتلوا عليهم اياتك اي القران جمع اية وهي
العلامة وقيل عني بالايات الداله على التوحيد وصدق الرسل
وعلى احكام الشرع قولـــه تعالى ويعلمهم الكتاب اي
الكتب المنزله على ساير الانبيا وذلك انه اذا علمهم القران ففيه
معاني ساير الكتب وقيل الايات والكتاب لمعنى واحد وافردهما
بالذكر لان التعليم انما يحصل بالتكرير عليه لا بالتلاوة
مرة وبالتعليم تخرج عن ان يكون اميا ❁ قولـــه عز وجل
والحكمة قيل الحكمة هاهنا الكتاب بجمع لاختلاف اللفظين
كقولـــه الحطيئة
الا حبذا هند وارض بها هند وهند اتا من دونها النأى والبعد
وقال الشافعي رحمه الله الحكمة سنة الرسول عليه السلام
لان الذي يقرن بالكتاب هو السنه قال الله تعالى واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من ايات الله والحكمه اى السنه وقال مقاتل مواعظ

القران وما فيه من الاحكام وبيان الحلال والحرام وقال مجاهد
فهم القران وقال بن منبه هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى
يجمع بينهما وقيل هي كل كلمة وعظتك او زجرتك او دعتك الى
مكرمة او نهتك عن قبيح عمل فهي حكمة وحكم ومنه قوله عليه السلم
ان من الشعر حكمة وجاء في بعض الالفاظ حكما وقال محمد بن يعقوب
هي كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا وحالا مستقيما وقال
يحيى بن معاذ الحكمة جند من جنود الله تعالى يرسلها الى قلوب
العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا وقيل هي وضع الاشيا مواضعها
وقيل الحكمة والحكم كلما وجب عليك فعله قال الشاعر
قد قلت نولا لم يعنف قايله الصمت حكم وقليل فاعله
اي واجب العمل بالصمت وقيل هي الفصل بين الحق والباطل
وهو الحكم والاصل فيه المنع وقد ذكرناه فيما تقدم وفيه مزيد
كلام نذكره عند قوله تعالى يوتى الحكمة من يشا قوله تعالى
ويزكيهم فيه اربعة اقوال احدها يرشدهم الى افضل عبادتك
قاله بن عباس والثاني يطهرهم من الشرك والذنوب قاله بن جريج
والثالث يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهد للانبيا بالبلاغ قاله
ابن كيسان والرابع ياخذ زكاة اموالهم قاله الفرا قوله
تعالى انك انت العزيز فيه خمسة اقوال احدها وهو قول
الزجاج ان العزيز في صفات الله هو الممتنع فلا يغلبه شي والعزيز
المنيع الذي لا يناله الايدي من عز يعز بفتح العين في المستقبل
اي اشتد تعززا لناقة اي صلب والعزاز الارض الصلبة والثاني بلغ صح
ان العزيز الذي لا يوجد مثله من عز يعز بكسر العين في المستقبل
اذا قل حتى لا يكاد يوجد قاله بن عباس والفرا والثالث ان
العزيز المنتقم ممن يشا بيانه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام
قاله الكلبي والرابع ان العزيز الغالب القوي من عز يعز بضم العين

اي

وهكذا ايضا هي حالة القوة العقلية المتوسطة بين الجربزة التي هي افراطها والغباوة التي والبلاهة التي هي تفريطها كما في التعريفات

اي غلبه ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب اي غلبني ويقال في المثل
من عز بز اي من غلب سلب قاله الكسائي والخامس العزيز المعز
كالسميع بمعنى المسمع بيانه قوله تعالى وتعز من تشا قوله تعالى
الحكيم سبق تفسيره قوله عز وجل ومن يرغب عن ملة
ابرهيم الا من سفه نفسه وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني
اخيه سلمه ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في
التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد
اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمه وابى مهاجر
ان يسلم فانزل الله هذه الاية قال الزجاج معنى من التوبيخ ولفظها
لفظ الاستفهام ولذلك جاءت الا بعدها لان المنكر معنى وهو
في موضع رفع بالابتدا ويرغب الخبر وفيه ضمير يعود الى من
والمعنى من يترك شريعته ودينه الا من سفه نفسه يقال
رغبت في الشي اذا اردته ورغبت عنه اذا تركته واصل الرغبة
رفع الهمة عن الشي واليه يقال رغبت في فلان واليه اذا سمت
نفسه اليه والاصل فيه الكبر بمعنى قوله ومن يرغب عن ملة
ابرهيم اي يرفع نفسه عنها الا من سفه نفسه فيه ثلثة اقوال
احدها سفه عن نفسه فحذف حرف الجر كما حذف في ساير المواضع
كقوله تعالى ان تسترضعوا اولادكم اي الى اولادكم ومثله قوله تعالى
ولا تعزموا عقدة النكاح اي عليها قاله الاخفش والثاني جهل
نفسه فوضع سفه موضع جهل لان من عبد حجرا او قمرا او شمسا
او صنما فقد جهل نفسه لانه لم يعلم خالقها والعرب تضع سفه
موضع جهل ومنه الحديث الكبر ان يسفه الحق ويغمص الناس اي
يجهل الحق قاله الزجاج وابن كيسان ويويد هذا القول ما روى
س في الحديث من عرف نفسه عرف ربه قيل في معناه وانما يقع الدا
في البدع والضلالات لجهلهم انفسهم وظنهم انهم يملكون الضر

والنفع دون الله تعالى وحكي عن ابي بكر الوراق انه قال في هذا الحديث
من عرف نفسه مخلوقا مرزوقا بلا حول ولا قوة عرف ربه خالقا ورازقا
بالحول والقوة وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام كيف عرفتني
وكيف عرفت نفسك فقال عرفتك بالقدرة والقوة والبقا وعرفت نفسي
بالضعف والعجز والفنا قال الان عرفتني والثالث معناه اهلك نفسك
واوبقها قاله ابو عبيدة وقال الفرا سفه نفسه نصب على التمييز وكان
الاصل سفهت نفسه فلما اضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم
موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا فمعناه ضاق ذرعي به وانكر الزجاج
هذا وقال معنى التمييز لا يحتمل التعريف لان التمييز انما هو واحد يدل
على جنسه فاذا عرفته صار مقصودا وقيل هو تمييز على تقدير
الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اي مثل له قال المبرد
وثعلب سفه بكسر الفا يتعدى وسفه بضم الفا لا يتعدى ه
قوله عز وجل ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه
للرسالة ولفظه مشتق من الصفوة قوله وانه في الاخرة
لمن الصالحين قال عطا يريد من نوح وادم وقال الحسن
حسن صح اي من الذين يستوجبون على الله الكرامة والثواب وقال الزجاج
يريد من الفايزين لان الصالح في الاخرة فايز ولما كان الثواب والفوز في
الاخرة خصهما بالذكر والا فهو في الدنيا من الصالحين ايضا وقال
الحسين بن الفضل والبجلي في الاية تقديم وتاخير وتقديره اصطفيناه
في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين ومثله في النحل واتيناه في الدنيا
حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ه قوله عز وجل اذ قال له
ربه اسلم اذ يتعلق بالاصطفا على معنى اصطفيناه اذ قال له ربه اسلم
اي في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من قوله في الدنيا ويجوز ان
يكون التقدير اذكر اذ قال روى الكلبي عن ابن عباس انه قال رفع ابرهيم
عليه السلام الصخرة عن باب السرب ثم خرج منه فنظر الى الكوكب والشمس
والقمر

والقمر كما اخبر الله عنه في قوله تعالى فلما جن عليه الليل الايات قال له ربه
اسلم اي اخلص دينك بالتوحيد وقال عطا اسلم نفسك الى الله
وفوض امرك اليه وقيل اخضع واخشع ثم قيل له اسلم بلا واسطة
اسماعا وقيل علم بكن ثم قول ظاهر بل كان دلالة كقوله تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم فجعل دلالة البرهان كلاما وقيل انما قال له
هذا بعدما وفا بالكتاب وبعد النبوة اي دم على الاسلام كقوله لنبينا عليه
السلام فاعلم انه لا اله الا الله وقوله يا ايها الذين امنوا امنوا قوله قال
اسلمت لرب العالمين مقتضى اللفظ ان يقول اسلمت لك لتقدم ذكر الرب
الا انه اوقع المظهر موقع المضمر تعظيما لان فيه ما ليس في اللفظ الاول
يتضمن انه ربه وفي اللفظ الثاني اعتراف بانه رب الجميع قال الكلبي
اخلصت بلا اله الا الله وقال ابن عباس يريد بقلبه ولسانه وجوارحه
ورضي ان يحرق بالنار في طاعة الله ورضاه ولم يستعن باحد من الملايكة ه
قوله عز وجل ووصى وفي مصحف ابي فوصى وقرا اهل المدينة
والشام واوصى بالالف وكذلك هي في مصاحفهم قال ابو عبيد
وكذلك رايت في مصحف عثمن رضي الله عنه وقرا الباقون ووصى
مشددا وهما لغتان يقال اوصيته بكذا ووصيته به ومثال التشديد
قوله تعالى فلا يستطيعون توصية ووصينا الانسان بوالديه ومثال
الايصا قوله يوصيكم الله وقوله من بعد وصية توصون بها قال الزجاج
وصى ابلغ من اوصى لان اوصى جايز ان يكون قال لهم مرة واحدة ووصى
لا يكون الا مرات كثيرة واصل الكلمة من الوصل وسميت الوصية
وصية لاتصالها بالميت واسم ه قوله بها قال مقاتل والكلبي
بكلمة الاخلاص لا اله الا الله وقال ابو عبيدة ان شيت رددت
الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابرهيم وهو اختيار الزجاج وان شيت دكر صح
رددتها الى الوصية لانه وصى والفعل يدل على المصدر وعلى الاسم منه
وقال المفضل ترجع الكناية الى غير مذكور والمعنى وصى بالطاعة

ومثل هذا جائز كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله ولا يلقاها الا
الصابرون اي الجنة ولم يسبق لها ذكر ويعقوب معطوف على ابراهيم
ومفعوله محذوف تقديره واوصى يعقوب بنيه لان يعقوب اوصى
بنيه ايضا كما اوصى ابراهيم بنيه والدليل على ذلك قوله اذ قال لبنيه ما تعبدون
والتقدير قال يا بني ويجوز ان يكون ابراهيم عليه السلام قال يا بني ويجوز
ان يكون يعقوب وكذا هو في مصحف ابي وابن مسعود قال يا بني وحكى
مجاهد عن بعضهم ويعقوب نصبا اسفا على بنيه كالداخل في جملة المومنين
وهو بعيد لان يعقوب لم يكن فيما بين اولاد ابراهيم عليه السلام لما وصاهم
ولم ينقل ان يعقوب ادرك جده ابراهيم وانما ولد بعد موت ابراهيم وبنو
ابراهيم ثمانية وبنو يعقوب اثنا عشر روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال بعثت على اثر ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل
قوله عز وجل ان الله اصطفى لكم الدين كسرت ان لان الوصية قول
والمعنى اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام فالالف
واللام للعهد قوله عز وجل فلا تموتن الا وانتم مسلمون فان قيل
كيف ينهون عن الموت وليس من فعلهم وانما ياتون قلت ان ابا بكر بن السراج
قال لم ينهوا عن الموت وان كان اللفظ على ذلك وانما نهوا في الحقيقة عن
ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه فانه لا بد منه وتقديره اثبتوا على الاسلام
لئلا يصادفكم الموت وانتم على غيره ومثله في كلام العرب لا ارينك هاهنا
فالنهي في اللفظ للمتكلم وهو في المعنى للمخاطب كانه قال لا تتعرض
للكون هاهنا فان من كان هاهنا اراه قال الفضيل في قوله تعالى فلا
تموتن الا وانتم مسلمون اي محسنون بربكم الظن وقال غيره موقنون
قوله عز وجل ام كنتم شهداء الآية نزلت في اليهود حيث قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية
فنزلت هذه الآية والمعنى بل كنتم كانه ترك الكلام الاول واستفهم
على جهة التوبيخ وقيل ام هاهنا بمعنى هل قوله عز وجل اذ حضر

يعقوب

يعقوب الموت اي وقت حضور الموت والشهود الحضور والجمهور على نصب يعقوب
ورفع الموت وقرئ بالعكس والمعنيان متقاربان قوله اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدي قال ابن عباس ان الله تعالى لم يقبض نبيا
حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب عليه السلام قال انظرني
حتى اسال ولدي واوصيهم فجمع ولده وهم اثنا عشر ولدا رجلا وهم الاسباط
وجمع اولادهم فقال لهم قد حضرت وفاتي وانا اريد ان اسالكم ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد الهك الذي لا اله غيره واله ابائك الآية فطابت نفسه
وما بمعنى من ولهذا جاء في الالهات ويجوز ان يكون ما على بابها ويكون ذلك
امتحانا لهم من يعقوب عليه السلام ومن بعدي اي من بعد موتي فحذف
المضاف قوله واله ابائك ذكر الاله ثانيا لئلا يعطف على الضمير المجرور من غير
اعادة الجار وقرا الجحدري واله ابيك على الواحد قال لان اسمعيل عليه السلام
عم يعقوب لا ابوه وقراءة العامة ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق على الجمع
قالوا عم الرجل صنو ابيه فان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس هذا
بقية ابائي والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما وقدم ذكر اسمعيل لانه
كان اسن من اسحق قوله عز وجل الها واحدا انتصب
على وجهين احدهما الحال كانهم قالوا نعبد الهك في حال وحدانيته والثاني
على البدل من قوله الهك قوله عز وجل ونحن له مسلمون ظاهر
قوله تعالى تلك امة قد خلت تلك من اسماء الاشارة للمونث
واللام عماد للتاء والكاف للخطاب وكسرت التاء من تلك علامة للتانيث
وخلت اي مضت ومنه قوله تعالى في الايام الخالية اي الماضية المتقدمة
قوله عز وجل لها ما كسبت من العمل ولكم ما كسبتم يا معشر
اليهود وانما تسالون عن اعمالكم لا عن اعمالهم وهو قوله تعالى ولا تسالون
عما كانوا يعملون قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى
قال ابن عباس نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران قال كل
واحد من الفريقين للمومنين كونوا على ديننا تهتدوا فلا دين الا ذلك

فقال تعالى قل يا محمد بل ملة ابراهيم اى بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا
وهو حال من ابراهيم والحال من المضاف اليه بعيد في القياس وقليل من
الاستعمال وسبب ذلك ان الحال لابد لها من عامل فيها والعامل فيها
هو العامل في صاحبها ولا يصلح بصح ان يعمل المضاف في مثل هذا الحال
ووجه قول من نصبه على الحال انه قدر العامل معنى اللام او معنى الاضافة
وهو المصاحبة والملاصقة وقيل حسن جعل حنيفا حالا لان المعنى
نتبع ابراهيم حنيفا وهذا جيد لان الملة هي الدين والمتبع ابراهيم وقيل
هو منصوب باضمار اعنى وفي الحنيف قولان احدهما انه المايل الى العبادة
قال الزجاج الحنيف في اللغة المايل الى الشى اخذ من قولهم رجل
احنف وهو الذى تميل قدماه كل واحدة منهما الى اختها باصابعها
والثانى انه المستقيم فسمى دين ابراهيم الحنيفة لاستقامته وقرا الاعرج
بل ملة ابراهيم رفعا على الخبر حنيفا نصبا على القطع اراد بل ملة ابراهيم
الحنيف فلما اسقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه
فنصب قاله النحاة الكوفة ۝ قوله عز وجل وما كان من المشركين
اى انهم معاشر اليهود والنصارى مشركون لان النصارى مثلثة واليهود
مشبهة وفيهم من يقول عزير ابن الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله ۝
قوله عز وجل قولوا امنا بالله الاية روى عن ابى هريرة رضى الله
عنه انه قال كان اهل الكتاب يقرون التورية بالعبرانية ويفسرونها
لاهل الاسلام بالعربية فقال عليه السلام لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية وقال الضحاك
علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبيا الذين ذكرهم الله في كتابه
حتى يومنوا بهم وتصدقوا بما جاوا به فان الله يقول قولوا امنا بالله الاية
قوله تعالى والاسباط قال الزجاج الاسباط في ولد
اسحق بمنزلة القبايل وفي ولد اسمعيل قبيلة تولد كل واحد من ولد
يعقوب سبط وولد كل واحد من ولد اسمعيل قبيلة وانما سموا هولا

الاسباط

الاسباط وهولا بالقبايل ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق
قال ابن الاعرابى السبط في كلام العرب خاصة الاولاد وكان
في الاسباط انبيا لذلك قال وما انزل اليهم قال ابو سعيد الضرير
اصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الاغصان فسمى الاسباط
بها لكثرتهم ۝ قوله عز وجل وما اوتى موسى وعيسى اى
من الايات وقوله وما اوتى النبيون من ربهم اى من المعجزات
والكتب ثم قيل الها والميم في ربهم تعود الى النبيين خاصة
وقيل تعود الى موسى وعيسى ايضا ويكون وما اوتى الثانية
تكريرا ۝ قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم اى لا نقول
انهم متفرقون في اصول الديانات بل هم مجتمعون على الاصول والاحد
يقع على الاثنين والجمع يقول ما عندى احد يتكلمون فلهذا جاز
دخول بين عليه كما تقول لا نفرق بين قوم منهم ۝ قوله تعالى
ونحن له مسلمون اى مخلصون دينا عن الشرك بالله تعالى قال
العلما لا يكون الرجل مومنا حتى يومن بسائر الانبيا السابقين
وجميع الكتب التى انزلها الله تعالى على الرسل ۝ قوله تعالى
فان امنوا بمثل ما امنتم به فيه ثلثة اقوال احدها معناه مثل
ايمانكم فزيدت البا للتوكيد كما زيدت في قوله تعالى وهزى اليك
بجذع النخلة قاله ابن الانبارى والثانى ان المراد بالمثل هاهنا
الكتاب تقديره فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم قاله ابو معاذ
النحوى والثالث ان المثل هاهنا صلة والمعنى فان امنوا بما
امنتم به وهكذا كان يقراها ابن عباس ومثله قوله تعالى ليس كمثله
شى اى ليس كهو شى وانشدوا

يا عاذلى دعنى من عذلكا مثلى لا يقبل من مثلكا

اى انا لا اقبل منك والها في به ترجع الى الله تعالى والى القران او الى
محمد عليه السلام وما يصدر به ۝ قوله عز وجل فقد اهتدوا

اى فقد صاروا مسلمين ٭ قوله عز وجل وان تولوا اى اعرضوا
عن الايمان بكتابكم ونبيكم فانما هم فى شقاق اى فى خلاف وعداوة والشقاق
والمشاقة المخالفة ومنه قوله تعالى ومن يشاقق الرسول ومن يشاق الله
واصل الشقاق البعد من قولهم فلان فى شق وفلان فى شق اخر
اذا تباعدوا ولذلك قيل للخارج عن الجماعة قد شق عصا المسلمين لبعدهم
عنهم ٭ قوله عز وجل فسيكفيكهم الله هذا وعد من الله لرسوله
بكفايته امر من عاداه قال المفسرون كفاه الله امر اليهود بالقتل والسبى
فى بنى قريظة والنفى فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران ٭
قوله عز وجل وهو السميع لاقوالكم العليم باحوالكم قوله
تعالى صبغة الله الصبغة هنا الدين على قول وانتصابه بفعل محذوف
اى اتبعوا دين الله وقيل هو على الاغراء اى عليكم دين الله قاله ابو عبيدة
وقيل هو بدل من ملة ابرهيم والصبغ فى اللغة ما يكون به الثياب
والصبغ المصدر قال الحسن وقتادة ومجاهد والسدى دين الله وانما
سمى الدين صبغة لان المتدين يلزمه ولا يفارقه كما يلزم الصبغ الثوب
وقال ابن كيسان يعنى وجهة الله اى القبلة قال ويقال حجة الله التى
احتج بها على عباده وقال ابو عبيدة والزجاج خلقة الله المعنى ان الله تعالى
ابتدا الخلقة على الاسلام دليله قول مقاتل فى هذه الاية فطرة الله التى فطر
الناس عليها اى دين الله وقال ابن قتيبة هى الختان لان النصارى كانوا اذا
ولد لاحدهم ولد فاتى عليه سبعة ايام صبغوه فى ماء لهم ليطهروه بذلك الماء
ويقولون هذا طهور مكان الختان وذلك حين جعلوه نصرانيا وهم صنف
من النصارى فجعل الله تعالى الختان للمسلمين تنظيفا وتطهيرا وامر به
معارضة للنصارى وسمى الختان صبغة لانه يصبغ صاحبه بالدم وقيل سمى
به من حيث كان بدل ما فعلوه من صبغهم اولادهم لقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فسمى الثانى سيئة لما كانت فى معارضة الاولى وفى الخبر الختان
سنة للرجال ومكرمة للنساء ٭ قوله عز وجل ومن احسن من الله

صبغة ومن احسن ابتدا وخبر ومن الله فى موضع نصب وصبغة تمييز
وهذا يرجع الى ما ذكرنا من فطرة الله او دين الله او التطهر بالختان ٭
قوله عز وجل ونحن له عابدون ظاهر التفسير وهو عطف
على امنا بالله قوله عز وجل قل اتحاجوننا فى الله ذكر نوعا اخر
من محاجتهم وهو انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم نبينا ودينا
وكتابنا اسبق ونحن ابناء الله واحباؤه فلو كنت نبيا كنت منا فانزل الله هذه
الاية وقرا الاعمش بنون واحدة مشددة وقرا الباقون بنونين خفيفين
اتباعا للخط والمعنى اتخاصموننا فى الله وهذا استفهام معناه التوبيخ ٭
وقوله فى الله اى فى دين الله وهو ربنا وربكم اى نحن وانتم عبيد الله وهو
غنى عنا وعنكم فاى مزية لكم علينا واما من حيث العمل فلنا اعمالنا ولكم
اعمالكم اى نجازى بحسنها وسيئها لا يوخذ بعضنا بذنب بعض ٭
وهذا منسوخ باية السيف ٭ قوله عز وجل ونحن له مخلصون
الاخلاص التنقية من الشوائب اى لم نشب عبادتك بالشرك قال حذيفة
ابن اليمان سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص فقال
عليه السلام سالت جبريل عن الاخلاص قال جبريل سالت رب العزة
عن الاخلاص ما هو فقال هو سر من اسرارى استودعته قلب من
احببت من عبادى وعن ابى ادريس الخولانى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص
حتى لا يحب ان يحمد على شى من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص
ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به فى دينه ولا يرائى بعمله
احدا وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل
الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقال رويم الراعى هو ارتفاع
رويتك من الفعل وقيل الاخلاص ان يستوى افعال العبد فى الظاهر
والباطن وقيل ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال احمد بن ابى الحوارى
سمعت ابا سليمن يقول للمرائى ثلث علامات يكسل اذا كان وحده

وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه قال ابن الانباري في
الاية اضمار اي وانتم غير مخلصين فحذف اكتفا بقوله ونحن له مخلصون
لقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قوله تعالى ام يقولون قرا ابن عامر
وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالتاء فلان ما قبله من قوله قل اتحاجوننا
وما بعده من قوله قل انتم اعلم ام الله بالتاء ومن قرا بالياء فلان المعنى لليهود
والنصارى وهم غيب قوله عز وجل ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى اي قالت اليهود هولاء الانبيا
هودا وقالت النصارى كانوا نصارى قل لهم يا محمد انتم اعلم بدينهم
ام الله وقد اخبرني الله انهم لم يكونوا هودا ولا نصارى وام الله مبتدا والخبر
محذوف اي ام الله اعلم قوله عز وجل ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله قال ابن عباس ان الله اشهدهم في التورية والانجيل انه باعث
فيهم محمدا عليه السلام من ذرية ابراهيم واخذ مواثيقهم على ذلك ان يبينوه
للناس فكتموا الشهادة وقيل اخذ عليهم ان يبينوا للناس ان هولاء الانبياء
كانوا حنفا مسلمين فكتموا وقالوا كانوا هودا او نصارى وقيل هذا قول
المسلمين اي من اظلم منا ان اتبعناكم على قولكم بعد ان عرفنا باعلام الله ايانا
كذبكم قال القفال ولا احد اظلم من الله ان كتم الشهادة على هولاء الانبيا
ومحمد لكونهم من اليهود والنصارى ان كان الامر كما يزعمون قوله
تعالى وما الله بغافل عما يعملون هذا تهديد للكفار وتسلية للمومنين
قوله عز وجل تلك امة قد خلت مضت هذه الاية اي دعوا
الاحتجاج بهم وانظروا لانفسكم وكرر هذا لان الاحتجاج اذا اختلف مواطنه
حسن تكريره للتذكير به ويجوز ان يكون الاول خطابا لاهل الكتاب
والثانية خطابا للمسلمين قوله عز وجل سيقول السفها من الناس
اي الجهال نزلت في اليهود ومشركي مكة ومنافقي المدينة طعنوا في تحويل
القبلة فقال المنافقون قد اشتاق محمد الى مولده وعن قريب يرجع الى
دينكم وقالت اليهود قد التبس عليه امره قوله عز وجل ما ولاهم

اي عدلهم وصرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس والقبلة
الوجهة وهي الفعلة من المقابلة والعرب تقول ما له قبلة ولا دبرة اذا
لم يهتد لجهة امره والضمير في قبلتهم للنبي عليه السلام واصحابه وقيل
اي من قبله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فان قبلتهم بزعم
اليهود كانت بيت المقدس قوله قل لله المشرق والمغرب
اي له ان يامر بالتوجه الى اي جهة شا وقيل اراد بالمشرق الكعبة
لان المصلي بالمدينة اذا توجه الى الكعبة فهو متوجه الى المشرق واراد
بالمغرب المقدس لان من كان بالمدينة اذا توجه الى المقدس فقد
توجه الى المغرب قوله عز وجل يهدي من يشا الى صراط
مستقيم قال ابن عباس الى دين مستقيم وسمي دين الله الصراط المستقيم
لانه يودي الى الجنة كما يودي الطريق المستقيم الى المطلوب

فصل اختلف العلما في هذه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت
المقدس بعد قدومه المدينة على ستة اقوال احدها ستة عشر شهرا
او سبعة عشر قاله البرا بن عازب والثاني سبعة عشر شهرا قاله ابن عباس
والثالث ثلثة عشر شهرا قاله معاذ بن جبل والرابع تسعة اشهر او عشرة
اشهر قاله انس بن مالك والخامس ستة عشر شهرا والسادس ثمنية عشر
شهرا روى القولان عن قتادة ثم نسخت قبلة بيت المقدس والنبي صلى الله
عليه وسلم في صلوة الظهر بالمدينة وقد صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس
فانصرف بوجهه الى الكعبة وهذا قول انس بن مالك وقال البرا بن
عازب كنا في صلوة العصر يقينا فمر رجل على اهل المسجد وهم ركوع في الثانية
فقال اشهد لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا
كما هم قبل البيت واختلف العلما في استقبال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيت المقدس هل كان برايه واجتهاده او كان عن امر من الله على
قولين احدهما انه كان بامر الله ووحيه لقوله تعالى وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها الاية قاله ابن عباس وابن جريج والثاني انه كان برايه

وهذا قول الحسن وعكرمة وابي العالية والربيع ق واختلفوا في سبب
اختيار بيت المقدس على قولين احدهما انه اختار بيت المقدس ليتألف
اهل الكتاب وهذا قول ابي جعفر الطبري والثاني لامتحان العرب بغير ما
الفوه لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قاله الزجاج قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي وكما اخترنا ابراهيم واولاده انعمنا
عليهم بالحنيفية وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط اذا اريد به الاسم ن
حركت السين تقول ضربت وسطه وان اريد به الظرف فهو ساكن
السين تقول صليت وسط القوم وقيل وسط ووسط بمعنى واحد
قال اهل المعاني لما صار بين الغلو والتقصير خيرا منهما صار
الوسط والاوسط عبارة عن كل ما هو خير قال تعالى قال
اوسطهم اي خيرهم واعدلهم وقال عليه السلام خير هذا الدين
النمط الاوسط وامة محمد وسط لانهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا
تقصير اليهود في حقوق انبيائهم بالقتل والصلب قال ابو سليمن
الدمشقي في هذا الكلام محذوف ومعناه جعلت قبلتكم وسطا
بين القبلتين فان اليهود يصلون المغرب والنصارى نحو المشرق
وانتم بينهما قوله عز وجل لتكونوا شهداء على الناس
قال ابن عباس في رواية عطا يريد على جميع الامم يوم القيمة
ان الرسل قد بلغتهم وهذا مروي عن النبي عليه السلام ان الامم
السالفة يقول لهم كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا فيقولون
اعلمنا نبي الله بما انزل عليه من كتاب الله وقال مجاهد لتكونوا
شهداء لمحمد على الامم اليهود والنصارى والمجوس وشهداء لا ينصرف
لان فيه الف التانيث والف التانيث يبنى معها الاسم وقيل هذه
اشارة الى اجماع المسلمين اي يشهد كل فريق منهم على من حدث
بعده بالشرايع فاجماع اهل كل عصر حجة ذكره القفال ومن
مذهبه ان الاجماع من خصايص هذه الامة ومعنى الاية كما

فضلناكم

فضلناكم بهذه القبلة فضلناكم بان جعلنا قولكم حجة قوله ويكون
الرسول عليكم شهيدا يعني محمدا عليه السلام وبماذا يشهد فيه اربعة
اقوال احدها باعمالكم قاله ابن عباس والثاني بتبليغكم الرسالة
قاله مقاتل والثالث بايمانكم قاله ابو العالية فيكون عليكم بمعنى لكم والرابع
يؤدي اليكم ما امر الله به حكاه القشيري ن قوله عز وجل وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها يعني قبلة وهي بيت المقدس لما كانت
بمكة وقيل اراد بالقبلة الكعبة اي ما جعلنا القبلة التي انت
عليها كقوله كنتم خير امة اي انتم خير امة ن قوله عز وجل
الا لنعلم من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد
ويرجع الى قبلته الاولى ومن ههنا بمعنى الذي والانقلاب الانصراف
الى حيث اقبل منه فان قيل فالله عالم بالاشيا قبل كونها فكيف جعل
تحويل القبلة طريقا الى علمه قلنا عنه سبعة اجوبة احدها لنعلم
اي لنرى والعرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم
كما قال تعالى الم تر كيف فعل ربك بمعنى الم تعلم قاله ابن عباس والثاني
معناه الا ليعلم رسولي وحزبي واوليائي لان من شان العرب اضافة
فعل اتباع الرئيس اليه كما قالوا فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى
خراجها ويقال رجم رسول الله ماعزا وضرب الامير فلانا ومثله
فلما اسفونا وان الذين يوذون الله والثالث الا لنعلم اي الا لنميز
اهل اليقين من اهل الشك وسمي التمييز علما لانه من فوايد العلم
كما ان الكتاب يسمى علما فيقال هذا علم فلان اي الكتاب الذي فيه
بيان علمه روي عن ابن عباس ايضا وقد كان في علم الله تمييز بين
فالمعنى لتمييز لكم فتعلمون المؤمن من الكافر والرابع الا لنعلم
اي لنعلم المتبع متبعا والمخالف مخالفا وقيل ذلك كان يعلم انه
سيكون من قوم اتباع ومن قوم مخالفة خلاف فلما وقع ذلك
علم الوجود وهذا كما انه قبل خلق العالم علم انه سيكون والان

هو عالم بانه كان والخامس الا لنعلم رفق في الخطاب واستمالة كقوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى والسادس ان العلم يذكر بمعنى الثواب والعقاب
تقول لاعلمن لك ما صنعت ولاعرفن ما فعلت وقال تعالى والله عليم بالظالمين
اي مجازيهم وهذا المستحسن في هذه الاية ان لو قال الا لنعلم من يتبع الرسول
او ينقلب على عقبيه والسابع الا لنعلم اي لنعاملكم معاملة المختبر حكى هذا
والذي قبله القشيري قوله عز وجل وان كانت لكبيرة
ان بمعنى لقد واللام في قوله لكبيرة تاكيدا اي ولقد كانت لكبيرة وقيل ان
بمعنى الجحد واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة قاله الكوفيون وهو ضعيف
من جهة ان وقوع اللام بمعنى الا لا يشهد له سماع ولا قياس واسم كان مضمر
دل عليه الكلام تقديره وان كانت التولية او الصلاة او القبلة لكبيرة
اي شاقة الا على الذين هدى الله للحق قوله وما كان الله ليضيع
خبر كان محذوف واللام متعلقة بذلك المحذوف تقديره وما كان الله
مريدا لان يضيع ايمانكم وهذا متكرر في القرآن ومثله لم يكن الله ليغفر لهم
وقال الكوفيون ليضيع هو الخبر واللام داخلة للتوكيد وهو بعيد لان
اللام لام الجحد وان بعدها مرادة فيصير المقدر على قولهم ما كان الله اضاعة
ايمانكم نزلت على سبب وهو ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا
للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى او ضلالة فان
كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها وان من
مات منكم عليها لقد مات على الضلالة فقال المسلمون انما الهدى ما امر الله
به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا
وكان مات قبل ان تحول القبلة اسعد بن زرارة النجاري والبراء بن معرور من بني صح
من بني سلمة وكانا من النقباء ومات رجال فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لقد صرفك الله الى قبلة ابراهيم عليه السلام
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم في قول الجمهور وانما سميت الصلاة ايمانا

لاشتمالها

لاشتمالها على قول وعمل ونية وان قيل فهم سالوا عن صلاة غيرهم
فاجابهم بحال صلاتهم قلنا لان القوم اشفقوا ان تكون صلاتهم الى بيت المقدس
محبطة لمن مات ونفي فاجابهم بما دل على الامرين وقال الفراء انما اسند
الايمان الى الاحياء والمعنى فيمن مات لانهم داخلون معهم في الملة على انه قد
روى قوم انهم قالوا كيف نصنع بصلاتنا الى بيت المقدس فانزل الله ذلك
وقيل يحمل الايمان هاهنا على ما هو عليه من معنى التصديق فيكون معنى
الاية وما كان الله ليضيع ايمانكم اي تصديقكم بامر تلك القبلة في الابتدا
بل يثيبكم عليه قوله ان الله بالناس لرءوف رحيم قرا شيبة ونافع
وابن كثير وابن عامر وحفص رءوف مهموز مثقل واختاره ابو حاتم
لان اكثر اسماء الله على فعول وفعيل وقرا ابو جعفر رووف مثقل
غير مهموز وقرا الباقون مهموز مخفف قال جرير

ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤوف الرحيم

والرافة اشد من الرحمة وابلغ ويقال الرافة اخص والرحمة اعم حكاه
الخطابي قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء
اعلم ان اول ما نسخ من امور الشرع امر القبلة قال المفسرون كانت
الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت قبلة
ابراهيم عليه السلام ولانه كره موافقة اليهود وقال مجاهد كره قبلة
بيت المقدس من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويصلي الى قبلتنا
وقال مقاتل لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي نحو بيت المقدس
قالت اليهود يزعم محمد انه نبي وما نراه احدث في نبوته شيئا اليس يصلي الى قبلتنا
ويستن بسنتنا فان كانت هذه نبوة فنحن اقدم منه واوفر نصيبا فبلغ
ذلك رسول الله وشق عليه وازداد شوقا الى الكعبة وقال ابن زيد لما استقبل
رسول الله بيت المقدس بلغه ان اليهود تقول والله ما درى محمد واصحابه اين
قبلتهم حتى هديناهم قالوا جميعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال

له جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع عليه
السلام ورسول الله يديم النظر الى السما رجا ان ياتيه جبريل بالذي سال
ربه فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما اى في النظر الى السما فلنولينك
قبلة ترضاها اى لنصيرنك تستقبل بوجهك قبلة تحبها اذ لا يجوز ان
يكون رسول الله غير راض ببيت المقدس لان الانبيا يجب عليهم الرضا
باوامر الله ويحتمل ان يكون قوله ترضاها محمولا على الحقيقة بمعنى ترضى
ما يحدث منها من التالف وسرعة الاجابة ثم قال مجيبا لرغبته قوله
وجهك شطر المسجد الحرام اى حول وجهك في الصلوة شطر المسجد الحرام
اى نحوه وقصده والشطر من الاضداد يقال شطر الى كذا اذا اقبل
نحوه وشطر عن كذا اذا بعد عنه واعرض عنه وشطر الشي نصفه
فاما الشاطر من الرجال فلانه قد اخذ في نحو غير الاستوا والمسجد الحرام
المحرم واصله المنع في تلك البقعة من اشيا لم يمنع في غيرها وحولت
القبلة في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على راس سبعة
عشر شهرا من مقدم رسول الله المدينة قاله البرا بن عازب ومعقل بن يسار
وقيل حولت يوم الثلثا النصف من شعبان على راس ثمانية عشر شهرا
من مقدمه المدينة قاله قتادة وقيل حولت في جمادى الاخرة حكاه
ابن سلامة المفسر عن ابراهيم الحربي ثم قيل المسجد الحرام عين القبلة
لا تنافيه فعبر عنها به وقيل جميع المسجد لان نفس البيت يصعب
ادراكه لصغره وقيل هو الحرم كله ولهذا اختلف الفقها في ان
الواجب استقبال عين الكعبة ام جهة الكعبة وقال عبد بن عمرو بن
العاص فلنولينك قبلة ترضاها قال حيال ميزاب الكعبة وقال مجاهد
وغيره نزلت ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى بالناس ركعتين من
صلاة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان
النسا والنسا مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقال ابن
العباس البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد

والمسجد

والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها قوله قد نرى
لفظه مستقبل والمراد به المضي وفي السما يتعلق بالمصدر ولو جعل حالا
من الوجه لجاز وقوله فول يتعدى الى مفعولين فالاول وجهك
والثاني شطر المسجد وقد يتعدى الى الثاني بالى كقولك ولا وجهه الى القبلة
وقال النحاس شطر هنا ظرف لانه بمعنى الناحية ولما حولت القبلة
قالت اليهود يا محمد ما امرت بهذا وانما هو شي تبتدعه من تلقا نفسك فانزل الله تعالى
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اى ان اليهود يعلمون ان
المسجد الحرام قبلة ابراهيم عليه السلام وان التحويل الى الكعبة حق لان عندهم
مكتوب في صفة محمد عليه السلام انه يصلي الى القبلتين وقيل ليعلمون لو
نظروا قوله عز وجل وما الله بغافل عما يعملون هذا تهديد لهم
اى ليس هو غافل عن ثوابكم وعن خزي اليهود في الدنيا والاخرة قوله
ولئن اتيت اللام توطية للقسم وليست بلازمة بدليل قوله وان لم ينتهوا
عما يقولون قال المفسرون ان اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايات فانزل الله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية ما تبعوا قبلتك اى لا يتبعوا قبلتك فهو ماض في معنى
المستقبل ودخلت ما حملا على لفظ الماضي وحذفت الفا في الجواب
لان فعل الشرط ماض وقال الفرا لئن بمعنى لو فلذلك كانت
ما في الجواب وهو بعيد لان ان للمستقبل ولو للماضي ثم قيل اراد به
المعاندين اي ان اتيتهم بكل اية سالوها او اعطيت الانبيا قبلك لم يومنوا
وقيل اراد انهم اجمعهم لا يومنون بلى قد يومن الاحاد منهم فلا يشتغل
بهم قوله عز وجل وما انت بتابع قبلتهم حسم بهذا اطماع
اليهود في رجوعه عليه السلام الى قبلتهم وانه لا ينسخ التوجه الى الكعبة
وقيل لا يتصور منك الجمع بين قبلة اليهود وقبلة النصارى
قوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض اى انهم وان تظاهروا
عليك يختلفون في انفسهم فالنصارى تستقبل المشرق واليهود بيت

هاهنا مع

بيت المقدس قوله عز وجل ولئن اتبعت اهواءهم اي صليت الى
قبلتهم مداراة وحرصا على ايمانهم فانهم لم يسلموا منه عليه السلام الصلاة
الى بيت المقدس عشر بن شهرا اراد انه يخالفه حكم التورية ليحاجوه
قوله من بعد ما جاءك من العلم ان قبلة الله الكعبة انك اذا لمن
الظالمين بعد ما عرفناك انهم لا يتبعونك واذا حرف والنون فيه اصل
ولا تستعمل الا في الجواب ولا تعمل هنا شيئا لان عملها في الفعل
ولا فعل وليس يجوز ان يفعل النبي عليه السلام ما يصير به ظالما
وفي هذا الخطاب قولان احدهما ان هذه صفة تنتفي عن النبي عليه السلام
وانما اراد الله بذلك بيان حكمها لو كانت والثاني ان هذا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من امته فان قيل كيف قال وما انت
بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلنا ان القبلتين معا
مخالفتان لقبلة الاسلام فكانتا في حكم الواحد من طريق المخالفة
والبطلان قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الاية قال الكلبي
يعني عبد الله بن سلام واصحابه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعته وصفته ومبعثه واسمه في كتابهم كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع
الغلمان قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام لقد انزل الله على نبيه الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله هذه المعرفة
قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني اذا
رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة لمحمد عليه السلام مني لابني
فقال عمر رضي الله عنه فكيف ذلك فقال اشهد انه رسول حق
وصدق من الله وقد نعته الله في كتابنا وانا لا اشهد بذلك على ابني
لاني لا ادري ما احدث النسا فقال عمر رضي الله عنه وفقك الله يا ابن
سلام لقد صدقت واصبت وقيل الهاء في يعرفونه تعود الى الكعبة
قاله ابو العالية وقتادة والسدي ومقاتل روي عن ابن عباس ايضا

ايضا قوله عز وجل وان فريقا منهم يعني من علمائهم ليكتمون الحق
يعني صفة محمد عليه السلام وقيل استقبال الكعبة قوله تعالى
وهم يعلمون فيه قولان احدهما يعلمون انه حق متبوع والثاني يعلمون
ما على مخالفه من العقاب قوله عز وجل الحق من ربك ابتدا
وخبر وقيل الحق خبر ابتدا محذوف تقديره ما كتموه الحق او ما
عرفوه وقيل هو مبتدا والخبر محذوف تقديره يعرفونه او يتلونه
وقيل هذا الحق من ربك وقيل رفع باضمار فعل اي جاءك
الحق كما قال وجاءك في هذه الحق وقرا علي كرم الله وجهه الحق نصبا
على الاغرا او يعلمون قوله عز وجل فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين مفتعل من المرية يقال امترى فلان كذا اذا اعترضه اليقين
مرة والشك اخرى فدافع احدهما بالاخر فان قيل هذا كان شاكا
حتى نهي عنه قلنا هذا وان كان خطابا للنبي عليه السلام فالمراد به غيره
من امته او خاطب البري ليتنبه الغوي وكلما ورد عليك من هذا النحو
فهذا سبيله ويجوز ان يكون عاما فان معارف الانبيا اليوم نظر به
ايضا وقيل اولا تشكن ان هولا معاندون حكاهما القشيري
قوله عز وجل ولكل وجهة وجهة مبتدا ولكل خبره
والتقدير لكل فريق وجهة جا على الاصل والقياس جهة مثل عدة
وزنة والوجهة مصدر في معنى المتوجه اليه كالخلق بمعنى المخلوق وفيها
قولان احدهما قبلة يستقبلونها وهو قول ابن عباس وعطا والسدي
والجمهور والثاني يعني صلوة يصلونها وهو قول قتادة وفي حرف ابي
ولكل قبلة هو موليها وفي حرف عبد الله ولكل جعلنا قبلة
وفي هو ثلثة اقوال احدها انها ترجع الى الله تعالى والمعنى الله موليها
اياهم بالتوجه اليها والثاني ترجع الى المتولي والمعنى هو موليها نفسه
فيكون هو ضمير كل والثالث ترجع الى البيت والجمهور يقرؤون
موليها وقرا ابن عامر هو مولاها بالالف بعد اللام اي مصروف اليها

وقرى في الشاذ ولكل وجهة باضافة كل الى وجهة فعلى هذا تكون اللام
زائدة والمقدر كل وجهة الله موليها اهلها ✱ قوله عز وجل
فاستبقوا الخيرات اي فتوجهوا الى الكعبة واعرضوا عن قول الكفار
فان الله يجازيهم يوم القيمة وقيل ليس هذا في امر القبلة بل هو عام يريد
تنافسوا فيما رغبتكم من الخير فلكل عندي ثوابه قاله عبد الرحمن بن
زيد والاول قول قتادة وقيل اراد الى الخيرات فحذف حرف الجر وقيل
لا حاجة الى الحذف فانه يقال استبقنا موضع كذا اي قصدناه متسابقين
قال الله تعالى واستبقا الباب ✱ قوله اينما ظرف لتكونوا يأت
بكم الله هذا جزاء ولهذا جزم الفعلين فقال تكونوا يأت بكم الله جميعا
اي من سبق في علم الله انه يصلي الى الكعبة فان ما كانوا في شرق الارض وغربها
وفي اصلاب الاباء وارحام الامهات يجمعهم الله على التوجه الى هذه القبلة
ذكره القشيري وقيل يأت بكم الله جميعا اي يحشركم للجزاء يوم القيمة
وفي تذكيرهم هذا منع من العناد ✱ قوله ان الله على كل شيء قدير
من البعث والجزاء ✱ قوله عز وجل ومن حيث خرجت حيث هنا
لا تكون شرطا لانه ليس معها ما وانما يشترط بها مع ما فعلى هذا تتعلق من
بقوله فول وفيها ثلث لغات حيث بالياء ورفع الثاء وهي لغة قريش وقراءة
العامة واختلفوا في وجه رفعها فقيل هو مبني على الضم مثل منذ وقط
وقيل رفع على الغاية لقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وحيث بالياء
ونصب الثاء وهي قراءة عبيد بن عمير قال الكسائي انما نصبت بسبب
الياء لانها ساكنة فاذا اجتمع ساكنان في حرف حركوا الثاني الى الفتح
لانه اخف الحركات مثل ليت وكيف وحوث بالواو والضم وهي لغة وهذا
تاكيد لامر الاستقبال وحسم طمع اهل الكتاب في رجوع المسلمين ابدا الى
قبلتهم فلهذا اعاده فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
حيث ما كنت من البلاد الا فيما استثناه الشارع من النافلة في السفر
وصلاة الخوف ✱ قوله عز وجل وانه للحق من ربك تثبيتا

تثبيتا للنبي عليه السلام وصرفا له عن الاغترار بقول اليهود انهم يتبعونه
ان عاده قوله عز وجل وما الله بغافل عما يعملون فيه قولان
احدهما ان يقول ذلك لهم ترغيبا في الجزاء والثاني تحذيرا من المخالفة
اعاده الله تعالى تاكيدا لامره ليخرج من قلوبهم ما استعظموه من تحويلهم الى
غير ما الفوه فقال تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فافاد كل واحد من الاوامر الثلثة
مع استوائهما في التزام الحكم فائدة مستجدة اما الامر الاول فمقيد
لنسخ غيره واما الامر الثاني فمقيد لاجل قوله وانه للحق من ربك ان
لا يعقبه نسخ لغيره واما الامر الثالث فمقيد ان لا حجة عليهم فيه
بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقيل اراد بالاول ول وجهك شطر
الكعبة اذا صليت في مسجدك ثم قال وحيث ما كنتم معاشر المسلمين في سائر
المساجد بالمدينة فولوا وجوهكم شطره ولذلك ان كنتم خارجي المسجد
ثم قال ومن حيث خرجت يعني وجوب الاستقبال في الاسفار ثم قال
ومن حيث خرجت الى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة فكان امرا بالتوجه
الى الكعبة في جميع المواضع من جميع نواحي الارض قال القفال
يحتمل انه كرر لمعان فقال فول وجهك شطر الكعبة لاني اكرمتك بقبلة
ابراهيم قال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لاني
اكرمت صاحب كل قبلة بقبلته وخصصتك باشرف الجهات
ثم قال ومن حيث خرجت فاستقبل القبلة فقد قطعت شبهة خصومك
وهذا كما يقول الحكيم لجليسه الزم العلماء فانك تكتسب بهم جاها والزم مجالستهم
فانك تستفيد بهم نفعا في دينك والزم مجالستهم فانك تستجلب
بهم مودات الناس وهذا كالتكرار في قوله تعالى فباي الاء ربكما
تكذبان لانه ذكر نعما وقررهم عند كل نوع منها قوله تعالى
لئلا يكون للناس عليكم حجة اللام متعلقة بمحذوف تقديره فعلنا
ذلك لئلا وحجة اسم كان والخبر للناس والحجة فعلة من الحج وهو

القصد لانها مقصودة للمخاصم ومنه المحجة وهي الطريق الواضح المسلوك
لانه مقصود ويقال المخاصمة محاجة لقصد كل واحد من الخصمين
الى اقام بينته وابطال ما في يد صاحبه واختلف العلما في تاويل هذه
الاية فمنهم من قال حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة
اذا صليتم اليها فيحتجون عليكم ويقولون تركتم التوجه الى الكعبة وتوجهتم
الى غيرها ولولا انه ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم قريش واليهود اما
قريش فيقول انما رجع الى الكعبة لانه علم انها قبلة اباية وهي الحق وكذا
يرجع الى ديننا ويعلم انه الحق واما اليهود فانهم يقولون لم ينصرف عن
بيت المقدس مع علمه بانه حق الا انه انما يفعل برايه ويزعم انه امر به
وهذا القول اختيار المفضل وهو قول صحيح مرضي قاله الثعلبي
وقال قوم معنى الاية لئلا يكون للناس يعني اهل مكة عليكم حجة
وكان حجتهم على رسول الله واصحابه في صلوا تهم نحو بيت المقدس
انهم قالوا يقولون ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن
وقولهم يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فهذه الحجة التي كانوا يحتجون
بها على المومنين على وجه الخصومة منهم والتمويه بها على الجهال
من المشركين ثم قال الا الذين ظلموا منهم وهم مشركوا مكة وحجتهم انهم
قالوا لما صرفت القبلة الى الكعبة ان محمدا قد تحير في دينه فتوجه الى
قبلتنا وعلم انا اهدى سبيلا منه وانه لا يستغني عنا ويوشك ان يرجع
الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وهذا قول مجاهد وعطا وقتادة والربيع
والسدي واختاره محمد بن جرير الطبري وعلى هذين القولين الاستثنا
صحيح نحو قولك ما سار احد من الناس الا اخوك ومعنى الحجة على هذين
القولين الخصومة والجدال والدعوى الباطل كقوله تعالى لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله وانما
قال منهم ردا الى لفظ الناس لانه عام وان كل واحد منهما غير الاخر
وقال بعضهم هذا استثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لئلا

يكون للناس عليكم حجة البتة الا الذين ظلموا فانهم يجادلونكم بالباطل
ويحاجونكم بالظلم وهذا كما تقول في الكلام للرجل الناس كلهم لك
حامدون الا الظالم لك يعني ذلك لا يعتد بتركه حمدك بعد وانه لك
وكقول الرجل ما لك عندي حق الا ان تظلم وما لك حجة الا الباطل
والباطل لا يكون حجة وهذا استثنا من غير الجنس قال النابغه
وقفت فيها اصيلالا اسايلها اعيت جوابا وما بالربع من احد
الا اواري لايا ما ابينها والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد
اي ما بالربع من احد الا اواري البيت وهذا قول المورج والفرا وقال
ابو روق لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك انهم كانوا قد
عرفوا ان الكعبة قبلة ابرهيم وقد كانوا وجدوا في التورية ان محمدا
سيحول اليها فحوله الله اليها لئلا يكون لهم حجة فيحتجوا بان هذا النبي الذي
نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحول انت فلما حول النبي عليه السلام ذهبت
حجتهم ثم قال الا الذين ظلموا منهم يعني الا ان يظلموكم فيكتموا ما عرفوا
وقال الاخفش معناه لكن الذين ظلموا كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع
الظن لكن يتبعون الظن فيكون منفردا عن الكلام الاول وروي عن
ابي عبيدة انه قال ليس موضع الا ها هنا موضع الاستثنا لانه لا يكون
للظالم حجة انما هو في موضع واو العطف كانه قال ولا الذين ظلموا لا يكون
لهم حجة ايضا وانشد المفضل
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا
يعني ودار مروان وانشد ايضا
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
يعني والفرقدان ايضا سيفترقان ويويد هذا القول قراة بعضهم الى الذين
ظلموا مخففا يعني مع الذين ظلموا وقال قطرب معناه الا على الذين
ظلموا فيكون رده على الكاف والميم الا على الذين ظلموا فان عليهم الحجة
فحذف حرف الجر وهو اختيار ابي منصور الازهري قوله تعالى

فلا تخشوهم اى فى انصرافكم عن الكعبه وفى تظاهرهم عليكم فى المحاجه
والمحاربه فانى وليكم اظهركم عليهم بالحجه والنصرة واخشونى فى تركها
ومخالفتها ولاتم نعمتى عليكم عطف على قوله لئلا يكون والمعنى اتم نعمتى
عليكم بهدايتى اياكم الى قبله ابراهيم عليه السلام فتتم لكم المله الحنيفيه
وقال عطا عن بن عباس ولاتم نعمتى عليكم فى الدنيا والاخرة اما
فى الدنيا فانصركم على عدوكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما الاخرة
ففى رحمتى وجنتى وقال على كرم الله وجهه تمام النعمة الموت
على الاسلام وروى عنه ايضا انه قال النعم سته الاسلام والقران
ومحمد عليه السلام والستر والعافيه والغنى عما فى ايدى الناس وقيل
فيه اضمار اى هديتكم لاتم نعمتى عليكم قوله عز وجل ولعلكم
تهتدون اعلم ان لعل من الله واجب ومن الناس على معان قد يكون بمعنى
الاستفهام كقول القايل لعلك فعلت كذا مستفهما وتكون بمعنى
الظن كقول القايل قدم فلان فيرد عليه الراد لعل ذلك بمعنى اظن
ذلك وتكون بمعنى التمنى والترجى كقولك لعل الله ان يرزقنى مالا
وتكون بمعنى عسى كقوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اى عسى وتكون
بمعنى كى كقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون اى
لكى يفقهوا والمعنى لكى تهتدوا من الضلاله قوله عز وجل
كما ارسلنا فيكم الكاف للتشبيه وتحتاج الى شى يرجع اليه واختلفوا فيه
فقال بعضهم هو راجع الى ما قبلها والكاف صله لما قبلها تقديره
فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
فيكون ارسال الرسول شرطا للخشيه وموذنا باتمام النعمة وقيل
ولعلكم تهتدون كما ارسلنا وقال محمد بن جرير ان ابراهيم
عليه السلام دعا بدعوتين الدعوة الاولى قوله ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امه مسلمه لك فهذه الدعوة الاولى والدعوة
الثانيه قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الايه فبعث الله الرسول

وهو

وهو محمد عليه السلام ووعد فى هذه الايه ان يجيب الدعوة الثانيه
بان يجعل من ذريته امه مسلمه فمعنى الايه ولاتم نعمتى عليكم ببيان
شرايع ملتكم واهديكم لدين خليلى ابراهيم كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم يعنى فكما اجبت دعوته بابعاث الرسول لذلك اجبت دعوته
بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين فهذا على قول من جعله متصلا
بما قبلها وجوابا للايه الاولى وهو اختيار الفرا وقال بعضهم
انها متعلقه بما بعدها وهو قوله فاذكرونى اذكركم تقديره فكما
ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى فيكون جزاله جوابان مقدم
ومؤخر كما تقول اذا جاءك زيد فانه ترضه جوابان لقوله اذا جاءك
فهذا قول مجاهد وعطا والكلبى ومقاتل وابن كيسان واختيار
الزجاج وهذه الايه خطاب للعرب واهل مكة يعنى كما ارسلنا
فيكم يا معشر العرب رسولا منكم محمدا عليه السلام وقد عرفتم صدقه
وامانته وباقى الايه مضى تفسيره قوله عز وجل فاذكرونى
اذكركم قال بن عباس اذكرونى بطاعتى اذكركم بمغفرتى بيانه
قوله تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى
انا لا نضيع اجر من احسن عملا وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته
وصيامه وتلاوته القران ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت
صلاته وصيامه وتلاوته القران وروى ابو هريره عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى
بى وانا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى
وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب منى شبرا
تقربت منه ذراعا وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا
وان اتانى يمشى اتيته هروله رواه مسلم والبخارى وقال بن
كيسان اذكرونى بالشكر اذكركم بالزيادة بيانه قوله تعالى

لين شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم
بالجنات والدرجات بيانه قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنه ثوابا وقيل اذكروني على ظهر
الارض اذكركم في بطنها قال الاصمعي رايت اعرابيا
واقفا يوم عرفة بعرفه وهو يقول الهي عجت وضجت اليك
الاصوات بضروب اللغات يسالونك الحاجات وحاجتي
اليك ان تذكرني عند البلا اذا نسيني اهل الدنيا وقيل
اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى وقيل اذكروني بالطاعات
اذكركم بالمعافاه دليله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر
او انثى فلنحيينه حياة طيبه وقيل اذكروني في النعمة والرخا
اذكركم في الشدة والبلا دليله قوله تعالى فلولا انه كان من
المسبحين الاية وقيل اذكروني بالسوال اذكركم بالنوال
وقيل اذكروني ذكرا فانيا اذكركم ذكرا باقيا وقال السدي
ليس من عبد يذكر الله الا ذكره الله لا يذكره مومن الا ذكره
بالرحمة ولا يذكره كافر الا ذكره بالعذاب وقيل اذكروني
بالتوبه اذكركم بغفران الحوبه اذكروني بلا غفله اذكركم
بلا مهله اذكروني بالندم اذكركم بالكرم اذكروني بالتنصل
اذكركم بالتفضل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني
بالقلوب اذكركم بكشف الكروب اذكروني بالتمجيد اذكركم بالمزيد
وقال سفين بن عيينه بلغنا ان الله تعالى قال اعطيت عبادي
ما لو اعطيته جبريل وميكايل كنت اجزلت لهما قلت اذكروني اذكركم
وقلت لموسى قل للظلمه لا يذكروني فاني اذكر من ذكرني وان ذكري
اياهم ان العنهم وقال ابو عثمن النهدي اني لاعلم حين يذكرني ربي
قيل وكيف ذاك قال ان الله تعالى قال فاذكروني اذكركم فاذا

ذكرتنا

ذكرتما الله ذكرني ه والذكر حضور المعنى في النفس ثم يكون الذكر
بالقلب ويكون بالقول وقد يستعمل من غير سبق نسيان فالذكر
باللسان ان يسبح الله ويحمده ويقرا كتابه وبالقلب ان يعرف اوامره
ونواهيه حتى لا يخالفه ويكون ذكره له بالقلب رقيبا عليه
واما ذكر الله للعبد فمدحه وثناوه قوله تعالى واشكروا لي
يقول العرب شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له اي واشكروا
نعمتي قال موسى عليه السلام لربه يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك
قال يا موسى لا يزال لسانك رطبا من ذكري قوله تعالى
ولا تكفرون اي لا تكفروا نعمتي والكفر ستر النعمة لا ستر المنعم
وانما حذف اليا ولم يقل تكفروني لراس الاي ويجوز حذف اليا من
النون اذا كان ما قبل اليا مكسورا ه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلاة سبب نزولها ان المشركين
قالوا سيرجع محمد الى ديننا كما رجع الى قبلتنا فانزل الله هذه الاية
قال المفسرون لما تمم النعمة باكمال الشرايع امر بالصبر على ادا الفرايض
والصبر على المخالفة وقال قتادة استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على ادا
الفرايض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب وقيل بالصبر
على اذى المخالفين وبالصلوة التي هي مفزع العباد فيما ينوبهم الى ربهم يسلونه كشف
ما نابهم وقيل بالصلوة اي الدعا وقيل المراد الصبر في الجهاد والاستعانه
فيه بالصلاة وكان عليه السلام يفزع في الجهاد الى الصلوة ولهذا عقب
هذه الاية ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات وقيل المراد بالصبر الصيام
حكاه الماوردي ه قوله تعالى ان الله مع الصابرين قال ابن عباس
اني معكم انصركم ولا اخذلكم وقال الزجاج اي اظهر دينكم على ساير الاديان
لان من كان الله معه كان الغالب ه قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات جمع على معنى من وافرد يقتل على اللفظين ولو جاميت
كان فصيحا وهو مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هم اموات ه قوله

بل احيا فقولوا هم احيا نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا
ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وذلك ان الناس كانوا يقولون
للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها
فانزل الله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات الاية فان قيل فنحن نراهم موتى
فما وجه النهي قلنا المعنى لا تقولوا هم اموات لا تصل ارواحهم الى الجنان
ولا تنال من تحف الله ما لا ينال الا الاحيا بل احيا على ما ورد في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهدا في اجواف طير خضر تسرح في ثمار الجنة
وتشرب من انهارها تاوي بالليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش
فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الارواح وقال
الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم السرور والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم
والوجع وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة
كارواح الاحيا من المومنين الذين باتوا على الوضو وقيل لان الشهيد لا يبلى
في قبره ويقال اربعة لا تبلى اجسادهم الانبيا والعلما والشهدا وحملة القران
وذكر الماوردي وغيره ثلاث تاويلات لهذه الاية احدها انهم ليسوا امواتا
وان كانت اجسامهم اجسام الموتى بل هم عند الله احيا النفوس منعموا الاجسام
واختاره القشيري لقوله تعالى ولكن لا تشعرون انهم احيا بالحس وان
اعتقدتموه باخبار الرب والمخلوق المتصف بالحيوة لا بد من ان يكون جسما
فان كان لطيفا يجوز عليه التلذذ بالماكل والمشرب والثاني انهم ليسوا
بالضلال امواتا بل هم بالطاعة والهدى احيا كما قال تعالى اومن كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
منها فجعل الضال ميتا والمهتدي حيا والثالث انهم ليسوا امواتا بانقطاع
الذكر عن الله تعالى وثبوت الاجر بل احيا وذكر القشيري تاويلا رابعا
اي لا تقولوا هم اموات بل يسحبون في الحشر فيثابون وهذا كقوله تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اي يسلوبون فيها فان قيل ليس جميع
المومنين منعمين بعد موتهم فلم خص الشهدا قلنا الشهدا فضلوا على غيرهم

بانهم

١٣٨

بانهم يرزقون من مطاعم الجنة ويأكلها وغيرهم منعمون بما دون ذلك
ذكره ابن جرير الطبري قوله تعالى ولكن لا تشعرون اي ما هم فيه
من النعيم والكرامة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعطى الشهيد
ست خصال عند اول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده
من الجنة ويزوج من الحور العين ويومن الفزع الاكبر ومن عذاب القبر
ويحلى حلية الايمان قوله تعالى ولنبلونكم النون فيه للتاكيد واللام
جواب قسم محذوف على تقدير والله لنبلونكم والمعنى لنعاملنكم معاملة المبتلي
لان الله يعلم عواقب الامور فمن صبر اثابه ومن لم يصبر لم يثبه وقد سبق ذكر
هذا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول وفيمن اريد بهذه الاية قيل اصحاب النبي
عليه السلام خاصة قاله عطا وقيل اهل مكة وقيل عامة قوله
بشي من الخوف ولم يقل باشيا لمكان من اي بشي من الخوف وشي من الجوع
وهو كقولك اعطى شيا من الدراهم ومن الطعام ولو قال باشيا لجاز قال
ابن عباس يعني خوف العدو والجوع يعني المجاعة والقحط ونقص من الاموال
يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي والانفس يعني الموت والقتل
والمرض والشيب والثمرات يعني الجوائح وان لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج
قال الشافعي رحمه الله ولنبلونكم بشي من الخوف يعني خوف الله
تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني ادا الزكاة
والصدقات والانفس بالمرض والثمرات موت الاولاد لان ولد
الرجل ثمرة قلبه يدل عليه قوله عليه السلام اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول
اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول ما ذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد ثم ختم الاية بتبشير الصابرين ليدل على ان من صبر على
المصايب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال وبشر الصابرين اي
على البلايا والرزايا ثم نعتهم فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة اي بلية نكبة

تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا بذلك لما انه عليه بمقام القرب ومزيد البهجة والكرامة [illegible] م ابو السعود

بما ذكر ولا تقال فيما يصيب بخير مصيبة قالوا انا لله اي نحن واموالنا واهلونا
لله تعالى لا يظلمنا فيما يصنعه بنا وانا اليه راجعون الجمهور على تفخيم الالف
في انا وامالها بعضهم لكثرة ما ينطق بهذا الكلام وليس بقياس لان الالف
من الضمير الذي هو نا وليست منقلبة ولا في حكم المنقلبة ومعنى الرجوع الى الله
تعالى الرجوع الى انفراده بالحكم اذ قد ملك في الدنيا الاحكام قوم فاذا زال
حكم العباد رجع الامر الى الله تعالى وقيل وانا اليه راجعون في الحال اي
نرجع الى حكمه ونصبر لانا نعلم انه منه واليه نرغب في ازالة البلا روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصيب بمصيبة فليذكر
مصيبته بي فانها اعظم المصايب وروى ثوبان عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما اصاب عبدا مصيبة الا باحدى خلتين اما بذنب
لم يكن الله ليغفره له الا بتلك المصيبة او بدرجة لم يكن الله ليبلغه اياها الا بتلك
المصيبة وقال عليه السلام من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان
تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب وقال سعيد بن جبير
لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعطه الانبيا قبلهم انا لله وانا اليه
راجعون ولو اعطيت الانبيا لاعطيه داود عليه السلام اذ يقول يا اسفى
على يوسف وروى عن ام سلمة انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قال عند مصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي
واخلف لي خيرا منها اجره الله واخلف له خيرا منها قالت ام سلمة فلما هلك
ابو سلمة قلت من خير من ابي سلمة ثم عزم الله لي فقلتها فاخلفني رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وقال شريح اني لاصاب بالمصيبة
فاحمد الله عليها اربع مرات احمده اذ لم يكن اعظم منها واحمده اذ رزقني الله
الصبر عليها واحمده اذ وفقني للاسترجاع لما ارجو فيه من الثواب
واحمده اذ لم يجعلها في ديني قال عكرمة طفي سراج النبي صلى الله عليه
وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون قيل يا رسول الله امصيبة هي
قال نعم كل شي يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وفي الخبر الصبر عند

الصدمة الاولى قوله تعالى اولئك مبتدا وصلوات مبتدا
ثاني وعليهم خبر المبتدا الثاني والجملة خبر اولئك ويجوز ان ترتفع
صلوات بالجار لانه قد قوي بوقوعه خبرا ومثله اولئك عليهم لعنة الله
والصلوة اسم مشترك فهو من الله الرحمة ومن الملايكة الاستغفار
ومن الناس الدعا قال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه انشد الازهري

صلى على يحيى واشياعه رب كريم وشفيع مطاع

قال معناه ترحم وفسر ابن عباس الصلوات هاهنا بالمغفرة فقال مغفرة
من ربهم وقيل الصلوة من الله ثلثة اشيا توفيق الطاعة والعصمة
عن المعصية ومغفرة الذنوب والصلوة الواحدة يكون احد هذه
الاشيا الثلثة وقال ابن السكيت جمع الصلوات لانه عنى بها
رحمة بعد رحمة وذكر الرحمة بعد الصلوات لاتباع المعنى والاتسا ع
في اللفظ ومثله قوله تعالى سرهم ونجواهم قوله تعالى واولئك
واولئك هم المهتدون هم مبتدا او توكيدا او فصل وفيه ثلثة اقوال
احدها هم المهتدون الى الاسترجاع والثاني الى الجنة والثواب والثالث
الى الحق والصواب وكان عمر رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية قال نعم
العدلان ونعم العلاوة اولئك عليهم صلوات ورحمة نعم العدلان
واولئك هم المهتدون نعم العلاوة قوله تعالى ان الصفا
والمروة من شعاير الله اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم ان رجالا
من الانصار ممن كان يهل لمناة في الجاهلية ومناة صنم كان بين
مكة والمدينة قالوا يا رسول الله انا كنا لا نطوف بين الصفا
والمروة تعظيما لمناة فهل علينا من حرج ان نطوف بهما فانزل الله
هذه الاية رواه عروة عن عايشة رضي الله عنها وقيل ان المسلمين
كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة لانه كان على الصفا تماثيل
واصنام فنزلت هذه الاية رواه عكرمة عن ابن عباس وقال

الشعبي كان وثن على الصفا يدعى يساف ووثن على المروة يدعى نايله
وكان الجاهليه يسعون بينهما او يمسحونهما فلما جا الاسلام كفوا عن
السعي بينهما فنزلت هذه الاية وقيل ان الصحابة قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم انا كنا نطوف في الجاهليه بين الصفا والمروة وان الله تعالى ذكر
الطواف بالبيت ولم يذكر بين الصفا والمروه فهل علينا من حرج ان نطوف
بينهما بهما فنزلت هذه الاية روى ذلك عن جماعة من اهل العلم قال
بعضهم هذا متصل بما سبق من ذكر البيت وتعظيمه واشاره الى المناسك
وقيل لما قال لنبلونكم وصل بهذا بانه قد ابتلى اسمعيل وهاجر ايضا
حتى سعت هاجر بين الجبلين في طلب الما لاسمعيل اي لا تجبوا من الابتلا
فعاقبته الثواب والذكر الجميل فاما الصفا والمروة فهما مبتدا السعي
ومنتهاه وفيه قولان احدهما ان الصفا الحجارة البيض والمروة الحجارة
السود واشتقاق الصفا من قولهم صفا يصفو وهو جمع والثاني وهو
الاظهر في اللغة ان الصفا الحجارة الصلبه التي لا تنبت شيا واحدة صفاه
وصفا مثل حصاه وحصا وقطاه وقطا وقيل ان الصفا واحد وتثنيته
صفوان مثل عصا وعصوان وجمعه اصفا مثل رحا وارحا والمروة من
الحجارة ما لان وصغر وجمع المروة مروات وجمعها الكثير مرو ومثل تمر
وتمرات وجمرة وجمرات والمعني بهما الجبلين المعروفين بمكة
دون ساير الصفا والمروة فلذلك ادخل فيهما الالف واللام وانما
ذكر الصفا لتذكير اسم اساف وهو صنم كان عليه مذكر الاسم
وانث المروة لتانيث اسم نايله وهو صنم كان عليه مونث الاسم وحكى
عن جعفر بن محمد قال نزل ادم عليه السلام على الصفا وحوا على المروة فسمي
الصفا باسم ادم وسمي المروة باسم حوا وفي الكلام حذف مضاف تقديره
ان طواف الصفا والمروة او سعي الصفا وترك ذكر الطواف اكتفا بذكرهما
اذ كان معلوما عند المخاطبين والشعاير جمع شعيره مثل صحيفه
وصحايف والجيد همزها لان اليا زايدة ومن في موضع رفع بالابتدا وهي

شرطيه والجواب فلا جناح والشعاير كلما كان من موقف او مسعى او ذبح
واداً فرض واصلها من الاشعار وهو الاعلام على الشي ومنه اشعار الهدي
اي اعلمه بغرز حديده في سنامه وقال مجاهد يعني من الخبر الذي اخبركم
عنه واصل الكلمة في هذا القول من شعرت اي علمت كانه اعلام الله
عباده امر الصفا والمروة ٥ قوله عز وجل فمن حج البيت او
اعتمر اصل الحج في اللغة القصد سمي به النسك لان البيت مقصود فيه
وقيل انه العود مرة بعد اخرى فسمي الحج حجا لان الحاج ياتي البيت قبل
التعريف ثم يعود اليه لطواف الافاضه ثم ينصرف الى منا ثم يعود اليه
لطواف الصدر فلتكرار العود اليه مرة بعد اخرى قيل له حج فاما
العمرة ففيها قولان احدهما انها القصد ايضا قاله الزجاج والثاني انها
الزيارة ٥ قوله تعالى فلا جناح عليه الجناح الاثم واصله من
جنح اذا مال عن القصد يقال جنح الليل اذا مال بظلمه وجنحت السفينه
اذا مالت الى الارض قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها ومنه جناح
الطاير ٥ قوله تعالى ان يطوف بهما اي يدور واصله يتطوف
فادغمت التا في الطا وقرا ابو حيوه يطوف بتخفيفه ٥ فصل
اختلف الفقها في حكم هذه الاية فقال مالك والشافعي الطواف
بين الصفا والمروة فرض واجب ومن تركه لزمه القضا والاعادة ولا
يجزيه فدية الا العود الى مكه والطواف بينهما وقال الثوري
وابو حنيفه وابو يوسف ومحمد ان عاد تاركا الطواف بينهما فالقضا به يحسن
وان لم يعد فعليه دم وراوا ان حكم الطواف بهما حكم رمي الجمرات
وقال انس بن مالك وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعطا الطواف
بينهما تطوع لا يلزمه بتركه شي واختلفت الرواية عن احمد فنقل عنه
ان من ترك السعي لم يجزه حجه ونقل عنه انه لا شي عليه في تركه عمدا
ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل عنه انه تطوع واحتج من لم يوجب
ذلك بقوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الجناح من احكام

المباحات دون الواجبات يدل عليه قراءة ابن عباس وانس وشهر بن
حوشب وابن سيرين فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما باثبات لا وكذا في
مصحف عبد الله والجواب ان قوله فلا جناح عليه ليس فيه دليل
اباحته دون وجوبه لخروجه على سبب وهو ما ذكرناه من كراهة
المسلمين لان يوافقوا الجاهلية في الطواف حول الصفا والمروة بمجانبة
لما كانوا عليه من تعظيم اساف ونايلة فاما قراءة عبد الله بن عباس
فلا حجة فيها لان لا صلة زائدة في الكلام كقوله تعالى ما منعك
ان لا تسجد وقوله تعالى انهم الينا لا يرجعون وقوله فلا اقسم ثم الدليل
على ان السعي بهما واجب وعلى تاركه الاعادة ناسيا تركه او عامدا انه
عليه السلام فعل ذلك وامر به وقال عليه السلام ابدا وبما بدا الله به
فبدا بالصفا وقال عليه السلام يا ايها الناس كتب عليكم السعي
فاسعوا واول من سعى بين الصفا والمروة هاجر ام اسمعيل عليه
السلام وراى ابن عباس قوما يطوفون بين الصفا والمروة فقال
هذا ما اورثتكم امكم ام اسمعيل انطلقت حين عطش ابنها وجاع
فوجدت الصفا اقرب جبل الى الارض فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترى احدا فهبطت من الصفا حتى
بلغت الوادي فرفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة وقامت عليها تنظر هل ترى احدا
فلم ترا احدا ففعلت ذلك سبع مرات وقال مجاهد حج موسى على
جمل احمر وعليه عباتان وطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا وهبط
الى السعي وهو يلبي فقال لبيك اللهم لبيك فقال الله لبيك عبدي
وانا معك فخر موسى ساجدا قوله تعالى ومن تطوع خيرا
قرا حمزة والكسائي يطوع بالياء وتشديد الطاء وسكون العين وقرا
الباقون بالتاء ونصب العين على الماضي وفيه اربعة اقوال
احدها ومن تطوع بالزيادة في الطواف بعد اداء الواجب قاله مقاتل

والكلبي

والكلبي والثاني قاله ابن زيد ومن تطوع خيرا اعتمر فالحج فريضة والعمرة
تطوع والثالث ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضا حجته الواجبة عليه
والرابع ومن تطوع خيرا يعني به الدين كله اي فعل غير المفترض عليه
من طواف وصلوة وزكاة او نوع من انواع الطاعات كلها قاله الحسن
وغيره قوله تعالى فان الله شاكر عليم فيه قولان احدهما
شاكر للعمل عليم بالقصد والثاني شاكر للقليل يجازي عليه يشكر
القليل ويعطي الكثير ويغفر الكبير واصل الشكر من قول العرب
دابة شكور اذا كان يظهر عليها من السمن فوق ما تعلف عليم بالثواب
قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات يعني آية
الرجم والحدود والاحكام والحلال والحرام قوله والهدى
يعني امر محمد عليه السلام ونعته وقيل البيان والهدى واحد والجمع
بينهما تاكيد وذلك ما ابان عن نبوته وهدى الى اتباعه قال ابو هريرة
رضي الله عنه ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة والله لولا آيتان من
كتاب الله ما حدثت حديثا ان الذين يكتمون ما انزلنا الى قوله وانا
التواب الرحيم والبينة اسم لما ابان عن الشيء واوضحه ومنه قيل
للشهود بينة لانهم يبينون صحة الدعوى والبيان هو الهدى الذي
من تمسك به اهتدى قوله تعالى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اي من بعد البيان المثاني في كتبهم والكناية في بيناه ترجع
الى ما انزل من البينات والهدى وقوله في الكتاب يعني التورية
وقيل القران وقيل جميع الكتب المنزلة والكتب اسم جنس نزلت
في علماء اليهود ورؤسائهم كتموا صفة محمد عليه السلام وآية الرجم
قوله اولئك يعني الذين يكتمون يلعنهم الله اصل اللعن في
اللغة الطرد ولعنة الله ابليس طرده اياه حين قال اخرج منها
لون قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون اي يسألون الله ان يلعنهم ويقو
اللهم العنهم واختلف المفسرون في قوله اللاعنون فقال فقال

هم الملائكة وقال الحسن عباد الله اجمعين وقال عطا الجن
والانس وقال الضحاك ان الكافر اذا وضع في حفرته قيل له
من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادري فيقال لا دريت
ثم يضرب ضربة بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل شي الا الثقلين
الجن والانس فلا يسمع صوته شي الا لعنه بذلك قوله تعالى ويلعنهم
اللاعنون وقال ابن مسعود الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة
في السما ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي قيلت له اهلا لذلك فترجع
الى الذي تكلم بها فلا تجده اهلا فتنطلق فتقع على اليهود فهو قوله
تعالى ويلعنهم اللاعنون فمن مات منهم ارتفعت اللعنة عنه
فكانت فيمن بقي من اليهود وقال مجاهد اللاعنون البهايم يلعن
عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وقالت هذا بشوم ذنوب
بني ادم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب
يقولون منعنا المطر بذنوب بني ادم وانما قال لهذه الاشيا اللاعنون
ولم يقل اللاعنات لان من شان العرب اذا وصفت شيا من البهايم
والجمادات وغيرها سوى الناس بما هو صفة الناس من قول او فعل
ان يخرجوه على مذهب بني ادم وجمعهم كقوله تعالى والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين ولم يقل ساجدات وقوله للاصنام بل فعله
كبيرهم هذا وقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله تعالى وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا الاية ثم استثنى التائبين من اللعنة فقال
الا الذين تابوا من الكفر واصلحوا الاعمال فيما بينهم وبين ربهم وبينوا
يعني صفة محمد عليه السلام وانه الرحم وقيل اصلحوا قومهم بارشادهم
الى الاسلام قوله تعالى فاولئك اتوب عليهم التوبة من العباد
الرجوع عن الذنب والتوبة من الله قبولها من عباده قوله تعالى
وانا التواب اي الراجع بقلوب عبادي المنصرفة عني الرحيم بهم
بعد اقبالهم علي قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم

كفار

كفار الواو واو الحال وانما شرط الموت على الموت لان حكمه يستقر
بالموت عليه ويرتفع بالتوبة منه قوله تعالى اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة اي ولعنة الملائكة اجمعين وقرا الحسن
اجمعون بالرفع وهو معطوف على موضع اسم الله لانه في موضع رفع
لان التقدير اولئك عليهم ان يلعنهم الله لانه مصدر اضيف الى الفاعل
فان قيل كيف قال والناس اجمعين واهل دينهم لا يلعنونهم قلنا عنه
اجوبة ثلثة احدها ان المراد به يوم القيمة يلعنهم قومهم مع جميع
الناس كما قال تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا وقال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها والثاني ان المراد
بالناس هاهنا المومنون قاله ابن مسعود وقتادة ومقاتل فيكون على
هذا من العام الذي اريد به الخاص والثالث ان اللعنة من الاكثر
يطلق عليها لعنة جميع الناس تغليبا للحكم الاكثر على الاقل قال
السدي لا يتلاعن اثنان مومنان ولا كافران فيقول احدهما لعن الله
الظالم الا وجبت تلك اللعنة على الكافر لانه ظالم فكل احد من الخلق
يلعنه قوله تعالى خالدين فيها باقين في تلك اللعنة او ما
توجبه اللعنة وهو النار وان لم يجر لها ذكر لقوله تعالى ما ترك على
ظهرها من دابة اي على ظهر الارض قوله تعالى لا يخفف عنهم
العذاب يعني لا يهون عليهم طرفة عين ولا هم ينظرون قال ابن عباس لا
يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة قوله تعالى والهكم
اله واحد قال ابن عباس نزلت هذه الاية في كفار قريش قالوا
يا محمد صف لنا ربك فانزل الله سورة الاخلاص وهذه الاية قال
الضحاك عن ابن عباس كان للمشركين في الكعبة ثلثمائة وستون صنما
يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص لعبادته
والاله خبر المبتدا وواحد صفة له والغرض هاهنا هو الصفة اذ قال والهكم
واحد لكان هو المقصود الا ان في ذكره زيادة توكيد قال الازهري

لو صح

الواحد في صفة الله تعالى له معنيان احدهما انه واحد لا نظير له وليس كمثله
شيء والعرب تقول فلان واحد قومه وواحد الناس اذا لم يكن له نظير والمعنى
الثاني انه اله واحد ورب واحد ليس له في الاهيته وربوبيته شريك لان
المشركين اشركوا معه الهة فكذبهم الله تعالى فقال والهكم اله واحد ثم اكد
ذلك بقوله تعالى لا اله الا هو ثم وصفه فقال الرحمن الرحيم ترغيبا في عبادته
وحثا على طاعته ثم دل على ما ذكره من وحدانيته وقدرته بالاية التي
بعدها واحسن ما قيل في قوله تعالى لا اله الا هو ان قوله لا اله نفي معبود
الكفار وقوله الا هو اثبات معبود المومنين روي عن اسما بنت
يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هاتين الايتين اسم الله الاعظم
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وقيل في الاية تقديم وتاخير اي والهكم الرحمن الرحيم اله واحد
قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الاية قال المفسرون
لما نزل قوله تعالى والهكم اله واحد قالت كفار قريش كيف يسع الناس اله واحد
وتعجبوا وقالوا لو ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان من
الصادقين فانزل الله هذه الاية وعلمهم كيف الاستدلال على الصانع
وعلى توحيده وردهم الى التفكر في اياته والنظر في مصنوعاته وان هذا
العالم والبنا العجيب لا بد له من بان وصانع العلم يقتضي ان ينفرد اذ لو تعدد
لما جرى امر العالم على النظام ولادى الى التمانع وهذا اصل كل دليل في
اصول العقايد وهو التوصل بالنظر في افعاله الى معرفة جلاله وجمع السموات
لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير الاخرى ووحد الارض لانها
كلها تراب فاية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علايق من فوقها
ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم واية الارض بحارها وانهارها ومعادنها
وسهلها وجبلها واية الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجي ومنه
قولهم يخلف الى فلان اذا كان يذهب اليه ويجي من عنده فذهابه يخلف
مجيه ومجيه يخلف ذهابه وهذا في قوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة

قال الفرا يذهب هذا ويجي هذا وقال عطا وابن كيسان اراد اختلاف
الليل والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة والزيادة
والنقصان والليل جمع ليلة مثل تمرة وتمر ونخلة ونخل والليالي
جمع الجمع والنهار واحد لا يكاد يجمع لانه بمعنى الضو وقد سمع في
جمعه نهر ولو قيل انهرة في جمعه القليل لجاز لكان قياسا
وقدم الليل على النهار في الذكر لانه الاصل والاقدم قال تعالى
واية لهم الليل نسلخ منه النهار قوله تعالى والفلك التي تجري
في البحر يعني السفن واحده وجمعه واحد قال تعالى في الواحد
واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقال تعالى اذ ابق الى
الفلك المشحون وقال تعالى في الجمع حتى اذا كنتم في الفلك ويذكر
ويونث قال تعالى والتذكير في الفلك المشحون وقال تعالى في التانيث
والفلك التي تجري في البحر فالتذكير على لفظ الواحد والتانيث على معنى
الجمع واصله من الدوران فكل مستدير فلك ومنه فلكة المغزل
وسميت السفينة فلكا لانها تدور بالما اسهل دور الاية في الفلك
تسخير الله اياها حتى تجري على وجه الما ووقوفها فوق الما مع ثقلها
ووصفها بالجري وهي مجراة لانها اذا اجريت جرت قوله تعالى
بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب
فهي تنفع الحامل لانه يربح والمحمول اليه لانه ينتفع بما حمل اليه قوله
تعالى وما انزل الله من السما من ما من الاولى لابتدا الغاية والثانية
لبيان الجنس اذ كان ينزل من السما ما وغيره فالما ينزل عند الحاجة
وينقطع عند الاستغنا وذلك من اياته ثم قال فاحيا به الارض بعد
موتها وذلك ان الارض اذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم ينم نباتها فكانت
من هذا الوجه كالميت قوله تعالى وبث فيها من كل دابة
مفعول بث محذوف تقديره وبث فيها دواب من كل دابة
ويجوز على مذهب الاخفش ان يكون من زايدة والبث النشر والتفريق

ومنه قوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونسآ وقوله تعالى كالفراش المبثوث
قال ابن عباس يريد كلما دب على الارض من جميع الخلق من الناس
وغيرهم والاية فيها مع ظهور القدرة على انشائها من بليته اوجه احدها
تباين خلقها والثاني اختلاف منافعها والثالث الهامها وجوه مصالحها ثم
قال تعالى وتصريف الرياح اي وتصريف الرياح فحذف الفاعل واضاف
الى المفعول والاية فيها تقلبها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا وتصريفها
مرة بالرحمة ومرة بالعذاب ومرة حارة ومرة باردة ولينة وعاصفة
قال عبيد بن عمير يبعث الله المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله
المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المولفة فتولفه ثم يبعث اللواقح فتلقح
الشجر قال ابو هريرة اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر بن الخطاب
رضي الله عنه حاج فاشتد عليهم ريح فقال عمر لمن حوله من يحدثنا
عن الريح فلم يرجعوا اليه شيا قال فبلغني الذي سال عنه عمر رضي الله
عنه من ذلك فاستحثثت راحلتي حتى ادركته فقلت يا امير المومنين
اخبرت انك سالت عن الريح واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها
فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا به من شرها واختلف
القرا في الرياح فقرا بعضهم بالجمع في مواضع وبالتوحيد في مواضع
والاظهر في هذه الاية الجمع لان كل واحد من الرياح مثل الاخرى
في دلالتها على الوحدانية واما من وحد فانه يريد الجنس كما قالوا اهلك
الناس الدينار والدرهم واذا اريد بالريح الجنس كانت قراءة من وحد
كقراءة من جمع قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب
وكان عليه السلام يقول اذا هاجت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا وياء الريح مبدلة من واو لانه من راح يروح وروحته
والجمع ارواح واما الرياح فالياء فيه مبدلة من واو لانه جمع اوله مكسور
وبعد حرف العلة فيه الف زايدة والواحد عينه ساكنة وهو مثل سوط

وسياط الان واو الريح قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفي الخبر
من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها
ليوجد من مسيرة مائة عام روي لم يرح من اراح يريح وروي لم يرح
بفتح الرآ وروي لم يرح من راح يريح والريح يذكر ويونث قال
ابن عباس سميت الريح لانها تريح ساعة بعد ساعة قوله تعالى
والسحاب اي الغيم المذلل المطيع لله تعالى في الهوا والاية فيه
ابتدا نشوه وانتهآ تمامه شبه وتسخيره الى حيث يشا الله وثبوته بين
السمآ والارض بلا عمود ولا علاقة وسمي سحابا لانه ينسحب اي يسير في
سرعة كانه يسحب اي يجر قوله تعالى لايات اي لدلالات
وعلامات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا وصانعا
قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر
فيها ولم يعتبر بها وهذه الاية قد جمعت من اياته الدالة على وحدانيته
وقدرته ما صار لذوي العقول مرشدا والى الحق قايدا فلم يقتصر
تعالى في اثبات وحدانيته على مجرد الاخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار
ثم اخبر الله تعالى ان مع هذه الايات القاهرة لذوي العقول من يتخذ
من دون الله اندادا يعني اصناما قاله اكثر المفسرين وقال السدي
يعني سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى وقيل
عنى بالانداد الشياطين والجن قوله تعالى يحبونهم كحب الله
اي كحب المومنين لله هذا كما يقال اعلامي كبيع غلامك يعني كبيعك
غلامك وانشد الفرا

ولست مسلما ما دمت حيا على زيد كتسليم الامير

اي كتسليمي على الامير هذا قول اكثر العلماء قال ابن كيسان والزجاج
تقدير الاية يسوون بين هذه الاوثان وبين الله في المحبة وهذا في
حق من كان يعترف منهم بالصانع ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله ووجه التعجب انهم احبوا ما لا يضر ولا ينفع والاحباب البروك

فالمحب يلزم محبوبه ومعنى حب المؤمنين لله حب طاعته والانقياد
لامره ليس معنى يتعلق بذات القديم قال الشاعر

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

قوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله قال ابن عباس اثبت وادوم
وذلك ان المشركين كانوا يعبدون صنما فاذا راوا اشيا احسن منه تركوا ذلك
الوثن واقبلوا على عبادة الاحسن وقال عكرمة اشد حبا لله في الآخرة
قال قتادة ان الكافر يعرض عن محبوبه ومعبوده في وقت البلا ويقبل
على الله نحو قوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه والمؤمن لا يعرض
عن الله تعالى في السرا والضرا والشدة والرخا ولا يختار عليه سواه وقال
الحسن ان الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم للاصنام هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمؤمنون
يعبدونه بلا واسطة لذلك قال والذين آمنوا اشد حبا لله وقال سعيد
ابن جبير ان الله تعالى يامر يوم القيمة من احرق نفسه في الدنيا على
رؤية الاصنام ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فيمتنعون لعلمهم ان عذاب
جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين يدي الكافرين ان كنتم احبائي
فادخلوا جهنم فيقتحم المؤمنون النار فينادي مناد من تحت العرش
والذين آمنوا اشد حبا لله وقيل لان حب المشركين لاوثانهم مشترك
لانهم يحبون الانداد الكثيرة وحب المؤمنين لربهم غير مشترك لانهم يحبون
ربا واحدا وقيل لان حبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي وقيل لان
حبهم للاصنام بالتقليد وحب المؤمنين لله بالدليل والتمييز وقيل
لان الكافرين يرون معبودهم مصنوعهم والمؤمنون يرون صانعهم
وقيل لان المشركين احبوا الاصنام وعاينوها والمؤمنون يحبون الله ولم
يعاينوه بل آمنوا بالغيب وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الله
احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم واصح

قال

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقرا ابو رجا يحبونهم بفتح اليا وهي لغة
يقال حببت الرجل فهو محبوب وانشد الفرا

احب لحبها السودان حتى حببت لحبها سود الكلاب

قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا قرا ابو عبد الرحمن وابو رجا
والحسن وابو جعفر وشيبة ونافع وقتادة والاعرج وعمرو بن ميمون
ويعقوب وايوب وعبد الله بن عامر ترى بالتا وقرا الباقون باليا
فمن قرا بالتا فهو خطاب للنبي عليه السلام والجواب محذوف ولو ترى او
تبصر يا محمد الذين ظلموا اذ يرون العذاب لرايت عظيما ولعلمت ما يصيرون
اليه او لتعجبت منه ومن قرا باليا فمعناه ولو يرى الظالمون انفسهم عند
رؤية العذاب ان القوة لله جميعا ولاستوا ولعلموا مضرة الكفر ونظير
هذه الآية من المحذوف الجواب قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الآية
يعني لكان هذا القران وهذا كما تقول لو رايت فلانا والسياط تاخذه
مستغني عن الجواب لان المعنى مفهوم قوله تعالى اذ يرون
العذاب قرا ابن عامر بضم اليا على التعدي وقرا الآخرون بفتحه على
اللزوم وانما قال اذ ولم يقل اذا وان كانت اذ لما مضى لارادة تقريب
الامر قوله ان القوة لله جميعا قرا الحسن وقتادة وابو جعفر وشيبة
وسلام ويعقوب ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما على الاستيناف
والكلام تام عند قوله يرون العذاب مع اضمار الجواب كما ذكرنا وقرا
الباقون بفتحهما على معنى بان القوة وبان الله وقيل معناه لراوا ان القوة
اي لايقنوا وعاينوا وقال عطا ولو يرى الذين ظلموا يوم القيمة اذ يرون
العذاب حين يخرج اليهم جهنم من مسيرة خمسمائة عام فتلتقطهم كما يلتقط
الحمام الحبة لعلموا ان القوة اي القدرة لله جميعا وجميعا نصب على الحال
وان الله شديد العذاب ظاهر قوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا اي من هذه بدل من اذ الاولى او ظرف لقوله شديد
العذاب او مفعول اذكر وتبرا بمعنى تبرا قرا مجاهد بتقديم الفاعل

على المفعول وقرأ الباقون بالضد والمتبوعون هم الجبابرة والقادة في
الشرك والشر والتابعون هم الاتباع والضعفا والسفلة قاله اكثر
المفسرين وقال السدي هم الشياطين يتبرأون من الانس وقيل
تبرأ الاصنام من عبدتها ويكون ذلك بعد ان يخلق الحيوة فيها وقيل يحمل
على المجاز اي لو كانت الاصنام تنطق لتبرأت ويقال تبرأها انها لا تنفع
عبدتها قوله تعالى ورأوا العذاب معطوف على تبرأ
ويجوز ان يكون حالا المعنى اذ تبرؤا في تلك الحال وفي رويتهم العذاب
وجهان يحتملان ذكرهما الماوردي احدهما تيقنهما عند المعاينة في الدنيا
والثاني الامر بعذابهم عند العرض والمسايلة في الاخرة قوله تعالى
وتقطعت بهم الاسباب البا ها هنا بمعنى عن كقوله تعالى فسل به خبيرا
اي عنه وقيل البا للتعدية والتقدير قطعتهم الاسباب كما تقول تفرقت
بهم الطرق اي فرقتهم ومنه قوله تعالى فتفرق بكم عن سبيله وقيل البا
هنا للسببية والتقدير تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التي كانوا
يرجون بها النجاة والاسباب معناها في اللغة الحبال ثم قيل لكل شي
وصلت به الى موضع او حاجة تريدها سبب ويقال للطريق سبب
لانك بسلوكه تصل الى الموضع الذي تريده قال الله تعالى فاتبع سببا
اي طريقا واسباب السموات ابوابها لان الوصول اليها يكون بدخولها
فالمودة بين القوم تسمى سببا لانهم بها يتواصلون قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة يعني اسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا
وروي عن ابن عباس ايضا وقال ابن جريج والكلبي يعني بالاسباب
الارحام كقوله تعالى فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتسالون وقال
السدي يعني الاعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا بيانه قوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وقال ابو روق
العهود التي كانت بينهم في الدنيا قوله تعالى وقال الذين
اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة مصدر كر يكر اي رجع الى الدنيا

قوله

قوله فنتبرا منصوب باضمار ان تقديره لو ان لنا ان نرجع فان نتبرا
جواب لو على هذا محذوف تقديره لتبرانا او نحو ذلك وقيل لو هنا للتمني
فنتبرا منصوب على جواز التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرا والمعنى
لو ان لنا رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم فيها كما تبراوا منا في الاخرة
قوله كذلك الكاف في موضع رفع اي الامر كذلك ويجوز ان يكون
نصبا صفة لمصدر محذوف اي يريهم روية كذلك او يحشرهم كذلك او يجزيهم
ونحو ذلك وقيل كتبري بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم الخبيثة
حسرات عليهم في الاخرة لانهم اذا راوا حسن مجازاة الله المومنين باعمالهم
الحسنة تحسروا على اعمالهم حيث لم تكن حسنة يستحقوا بها ثوابا الله
وقال ابن كيسان يعني باعمالهم عبادتهم الاوثان رجا ان يقربهم الله فلما
عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا وقال السدي ترفع
لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك
مساكنكم لو اطعتم الله ثم يقسم بين المومنين فيرثونهم فذلك حين يندمون
قال ابن فارس الحسرة التلهف على الشي الفايت وقال غيره الحسرة
اشد الندامة والحسرات جمع الحسرة وكذلك كل اسم كان واحده على
فعلة مفتوح الاول ساكن الثاني فان جمعه على فعلات مثل تمرة وتمرات
وشهوة وشهوات فاما اذا كان نعتا فانك تسكن ثانيه مثل ضخمة
فجمعها ضخمات ويريهم من روية العين فهو متعد الى مفعولين هنا بهمزة
النقل وحسرات على هذا حال وقيل يريهم اي يعلمهم فيكون حسرات
مفعولا ثالثا وعليهم صفة لحسرات اي كاينة عليهم واصل الحسر الكشف
فالحسرة انكشاف حال الندامة والحسر المعنى لانه انكشف حاله بطول التعب
قوله تعالى وما هم بخارجين من النار يريد به امرين احدهما فوات
الرجعة والثاني خلودهم في النار قوله تعالى يا ايها الناس كلوا
مما في الارض لما اخبر عنهم بانهم يتخذون الاندادا ويتبرا بعضهم من بعض
ذكر من افعالهم ايضا انهم يحرمون بعض الاشيا ويحللون البعض على حسب

انفسهم نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج حرموا
على انفسهم اشيا من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والوصيلة والحام
وقيل نزلت في المومنين ومن للتبعيض لانه ليس كل ما في الارض يمكن
اكله ويحل اكله قوله حلالا طيبا منصوبان على الحال
وقيل على المفعول تقديره كلوا حلالا طيبا مما في الارض ومعنى الحلال
المباح الذي انحلت عنه عقدة الحظر والاصل في الطيب ما يستلذ
ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لان النجس
تكرهه الانفس فلا يستلذ والحرام ايضا غير مستلذ لان الشرع زجر
عنه ولما وصف الحلال بالطيب وصف الحرام بالخبيث قال الله تعالى
قل لا يستوي الخبيث والطيب واراد بالحلال الطيب ما احل الله اكله
مما حرمه المشركون على انفسهم وقال ابن عباس في رواية عطا يريد
قد غنمتم مال اعدايكم وعلى هذا القول عنى بالحلال الطيب الغنيمة
قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان قرا ابن كثير ونافع
وعاصم وابو عمرو والاعمش وحمزة خطوات بسكون الطا في جميع
القران وقرا ابو جعفر وابو مجلز والزهري وعبد الله بن عامر والكسائي
بضم الخا والطا وقرا علي كرم الله وجهه وعمرو بن ميمون بضم الخا والطا
وبهمزة بعد الطا وقرا ابو السماك العدوي وعبيد بن عمير بفتح الخا
والطا فمن خفف فانه ابقاه على الاصل وطلب الخفة لانها جمع خطوة
ساكنة الطا ومن ضم الطا فانه اتبعها ضم الخا وكل ما كان من الاسما
على وزن فعلة فجمع على التا فان الاغلب والاكثر في جمعه التثقيل
وتحريك عين الفعل بالحركة التي في فا الفعل الواحد مثل ظلمة
وظلمات وحجرة وحجرات وقد تخفف ايضا ومن ضم الخا والطا مع الهمزة
قال الاخفش اراه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال
فعيلة من الخطا وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الضمة في الواو فانقلبت
همزة ومن نصب الخا والطا فانه اراد جمع خطوة مثل ثمرة وثمرات

واختلف

واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى خطوات الشيطان فروى علي
كرم الله وجهه عن ابن عباس قال خطوات الشيطان عمله وقال
مجاهد وقتادة والضحاك خطاياه وقال الكلبي والسدي طاعته
وقال عطا عن ابن عباس زلاته وشهواته وقال ابو مجلز هي النذور
في المعاصي وقال المورج اثاره وقال ابو عبيد هي المحقرات من
الذنوب وقال القتيبي والزجاج طرقه وكل ما لم يرد به الشرع
فهو منسوب الى الشيطان على لسان الشرع والخطوة بالضم ما بين القدمين
والخطوة بالفتح الفعلة الواحدة من قول القايل خطوت اخطو خطوة
والشيطان هاهنا جنس وليس المراد به واحدا قوله تعالى
انه لكم عدو مبين انما كسر الهمزة لانه اراد الاعلام بحاله وهو ابلغ من الفتح
لانه اذا فتح الهمزة صار التقدير لا تتبعوه لانه لكم واتباعه ممنوع وان لم
يكن عدوا لنا ومثله لبيك ان الحمد لك كسر الهمزة اجود لدلالة الكسر على
استحقاق الحمد في كل حال وكذلك التلبية والمعنى انه ظاهر العداوة
لكم وقد ابان عداوته لكم باباية السجود لادم وغروره اياه حين اخرجه
من الجنة وابان يكون لازما ومتعديا ثم بين عداوته فقال تعالى انما
يامركم بالسو يعني بالاثم واصل السو كل ما يسو صاحبه وهو مصدر
ساه يسوه سوا ومساة اذا احزنه قال الله تعالى فلما راوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا وقال الشاعر

ان يك هذا الدهر قد ساني فطال ما قد سرني الدهر
الامر عندي فيهما واحد لذاك صبر ولذا شكر

قوله تعالى والفحشا يعني المعاصي وما قبح من القول والفعل
وهو مصدر كالباسا والضرا ويجوز ان يكون نعتا لا فعل له كالعذرا
والحسنا واختلف المفسرون في معنى الفحشا المذكور في هذه الاية فروي
عن ابن عباس انه قال الفحشا من المعاصي كل ما فيه حد في الدنيا
والسو من الذنوب ما لا حد فيه وقال طاوس عنه ما لا يعرف

في شهوة ولا سنة وقال عطاء عنه انه البخل وقال السدي هو
الزنا وزعم مقاتل ان كل ما في القران من ذكر الفحشاء فانه الزنا الا قوله
قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه منع الزكاة
وسمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه قوله تعالى وان تقولوا
في موضع جر عطفا على بالسوء وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون
من تحريم الحرث والانعام وان تجعلوا له شركاء قوله تعالى
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله اختلف العلماء في وجه هذه الاية
فقال بعضهم انها قضية مستانفة وانها نزلت في اليهود وعلى هذا
القول يكون الهاء والميم في قوله لهم كناية عن غير مذكور روى عكرمة
عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى
الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عقاب الله تعالى ونقمته فقال له
رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا انهم كانوا
خيرا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقال قوم بل الاية متصلة بما
قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش واختلفوا فيه فقال
الضحاك عن ابن عباس واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني كفار
قريش من بني عبد الدار قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا من عبادة الاصنام
فعلى هذا يكون الهاء والميم عائدة على من في قوله ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا وقال قوم واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في تحليل
ما حرموه على انفسهم من الحرث والانعام قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا من التحليل والتحريم والدين وعلى هذا القول يكون الهاء والميم
راجعة الى الناس في قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
ويكون رجوعا من الخطاب الى الخبر كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وهذا اولى الاقوال لان هذه القضية عقيب قوله يا ايها
الناس فهي اولى ان يكون خبرا عنهم وان يكون خبرا عن المتخذين بعدما
بينهما من الايات وطول الكلام وادغم الكسائي وهشام لام هل

وبل

وبل في ثمانية احرف التاء كقوله بل تؤثرون وهل تعلم والثاء كقوله تعالى
هل ثوب والسين كقوله تعالى بل سولت والزاي كقوله بل زين
والضاد كقوله تعالى بل ضلوا والظاء كقوله تعالى بل ظننتم والطاء
كقوله تعالى بل طبع الله والنون كقوله تعالى بل نحن بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا وانما خص لام هل وبل دون سائر الادوات لانها ساكنة بناء
وسائر اللامات ساكنة لعلل متى زالت تلك العلل زال سكونها
قوله تعالى ولو كان اباؤهم الواو للعطف ويقال لها ايضا
واو التعجب دخلت عليها الف الاستفهام للتوبيخ والتقرير فلذلك
نصبت وجواب لو محذوف تقديره افكانوا يتبعونهم وان كانوا جهالا
فترك جوابه لانه معروف وقوله لا يعقلون لفظه عام ومعناه
الخصوص لانهم كانوا يعقلون من الدنيا ومعناه لا يعقلون شيئا من امر
الدين ولا هم يهتدون وقيل لم يستعملوا عقولهم فيما تحدى عليهم
خيرا وهو كقوله صم بكم عمي ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين
كفروا الاية مثل مبتدا وكمثل الذي ينعق خبره قال الاخفش
والزجاج وابن قتيبة تقدير الاية ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا
في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم ويكلمها
ويقول كلي واشربي وارعي وهي لا تفهم شيئا مما يقول لها كذلك هؤلاء
الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيئا وعلى هذا حذف احد
المثلين اكتفاء بالثاني وقال ابن عباس في رواية الكلبي ومثل الكفار
في قلة فهمهم وعقلهم كمثل الرعاة يكلمون البهم والبهم لا تعقل عنهم
شيئا غير انها تسمع الصوت ولا تفهم وعلى هذا شبه الكفار بالرعاة الذين
يكلمون ما لا يسمع الا دعاء ونداء وهي البهائم وهذا قول مجاهد قال هذا
مثل ضربه الله للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل فمثله كمثل البهيمة
تسمع النعيق ولا تفهم وقال بعضهم معناها ومثل الذين كفروا في دعائهم
الاصنام التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه لا ينتفع من نعيقه

بشي غير انه في عنا من دعا وبدا فكذلك الكافر ليس له من دعا الالهه وعبادة
الاوثان الا العنا ولا ينتفع منها بشي وهذا قول ابن زيد والنعيق الصوت
ثم قال تعالى صم اي هم صم والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه
كانه اصم قوله بكم اي عن الخير فلا يقولونه قوله عمي اي عن
الهدى فلا يبصرونه فهم لا يعقلون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم هذا تاكيد للامر الاول وخص المومنين بالذكر
تفضيلا وهذا امر اباحه اي لا تاخذوا بتحكمات الكفار فان الحلال ما
احل الله والحرام ما حرمه والمراد بالاكل الانتفاع من جميع الوجوه
كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقيل هو الاكل المعتاد
روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله طيب
لا يقبل الا الطيب وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يده
الى السما يقول يا رب يا رب اشعث اغبر مطعمه حرام وملبسه حرام
ومشربه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب له رواه مسلم قوله تعالى
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون قيل ان بمعنى اذ وقيل هي شرط
اي شرط العابد لله ان يشكر نعمته قوله تعالى انما حرم عليكم
الميتة قال الزجاج انما اذا جعلته كلمة واحدة كانت اثباتا لما يذكر
بعدها ونفيا لما سواه فقوله انما حرم معناه ما حرم عليكم الا ما ذكر وذلك
ان كلمة ان للتوكيد في الاثبات وما يكون نفيا فاذا قال القايل انا بشر فالمعنى
انا بشر على الحقيقة واذا قال انما انا بشر كان المعنى وما انا الا بشر روى
ابو عبد الرحمن السلمي انما حرم خفيفة الرا مضمومة الميتة والدم ولحم الخنزير
كلها رفعا على ان الفعل لها وروى عن ابي جعفر انه قرا حرم بضم الحا
وكسر الرا وتشديدها ورفع ما بعده وله وجهان احدهما ان الفاعل غير
مسمى والثاني الذي حرم عليكم الميتة على خبر ان وقرا ابرهيم بن ابي عبلة
حرم بفتح الحا والرا مشددة ورفع ما بعده وجعل ما بمعنى الذي منفصله

عن

عن قوله ان وحينيذ يكون ما ناصبا باسم ان وما بعدها رفعا على
خبرها قال تعالى انما صنعوا كيد ساحر وقرا الباقون حرم عليكم الميتة
نصبا على ايقاع الفعل وجعلوا انما كلمة واحدة تاكيدا وتحقيقا وقرا
ابو جعفر الميتة وبابها بالتشديد في كل القران واما الاخرون فشددوا
بعضا وخففوا بعضا فمن شدد قال اصله ميوت فيعل من الموت
فادغمت اليا في الواو وجعلت الواو مشددة للكسرة كما فعلوا سيد
وصيب وجيد ومن لم يشدد فعلى طلب الخفة وهما لغتان مثل هين
وهين ولين ولين قال الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا

فجمع بين اللغتين وحكى ابو معاذ عن النحويين الاولين ان الميت
بالتخفيف الذي فارقه الروح والميت بالتشديد الذي لم يمت بعد
وهو يموت قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون لم يختلفوا في تشديده
والميتة ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح وقيل الحكمة في تحريم
الميتة ان جمود الدم فيها بالموت يحدث اذى للاكل وقد يسمى المذبوح
في بعض الاحوال ميتة حكما لان حكمه حكم الميتة كذبيحة المرتد
قوله والدم ارادوا الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى او دما
مسفوحا فقيده وكانت العرب تجعل الدم في المباعر وتشويها
ثم تاكلها فحرم الله الدم وقد خصت السنة من هذين الجنسين وهو
قوله عليه السلام احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالسمك
والجراد واما الدمان فالكبد والطحال وقال ابو حنيفة دم القمل
والبراغيث والبق طاهر وهي احدى الروايتين عن احمد وقال القاضي
ابو يعلى الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح وما يبقى في العروق
مباح قوله تعالى ولحم الخنزير اراد جميع اجزايه وخص
اللحم بالذكر لانه هو المقصود بالاكل وقال داود التحريم
مقصور على لحمه دون غيره قوله تعالى وما اهل به لغير الله

اصل صح

اى ما ذبح للاصنام والطواغيت كلها وما ذكر عليه غير اسم الله والاهلال رفع الصوت ومنه اهلال الحج ومنه اهلال الصبي واستهلاله صياحه عند خروجه من بطن امه وفي الحديث كيف ادى من لا نطق ولا استهل ولا شرب ولا اكل فمثل ذلك يطل ومنه اهلال المطر واستهلاله وهو صوت وقوعه على الارض وانما سمي الذبح اهلالا لانهم كانوا اذا ارادوا ذبح ما قربوه لالهتهم ذكروا عنده اسم الهتهم وجهروا به فسمى كل ذابح جهر بالتسمية او لم يجهر بها مهلا كما سمي الاحرام اهلالا لرفع اصواتهم بالتلبية حتى صار اسما له وان لم يرفع عنده صوت روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله سبعة من خلقه ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من اتى شيا من البهايم ملعون من جمع بين امراة وابنتها ملعون من عق والديه ملعون من انتمى الى غير مواليه ملعون من غير حدود الارض والتحريم لا ينحصر فيما ذكر في هذه الاية اذ ليس المقصود عد الكل من المحرمات بل سيقت الاية لبيان احلال ما كانوا يحرمونه من الانعام وتحريم ما كانوا يستحلونه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للنصب ويدل على هذا اجماع الامة على تحريم اشيا ليست في هذه الاية ولا في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية من القاذورات والخبايث قوله تعالى فمن اضطر قرا عاصم وحمزة ويعقوب وابو عمرو فمن اضطر بكسر النون فيه وفي اخواته مثل ان اقتلوا او اخرجوا ونحوهما لان الجزم يحرك الى الكسر وقرا الاخرون بضم النون لما سكنوا اول الفعل الذي يليه لاجل الوصل نقلوا ضمته الى النون وقرا ابن محيصن فمن اطر بادغام الضاد في الطا خالصة وقرا ابو جعفر اضطر بكسر الطا رد الى الطا كسرة الرا المدغمة لان اصله اضطرر على وزن افتعل من الضرورة وقرا الباقون اضطر بضم الطا على الاصل ومن في موضع رفع وهي استفهام واضطر في موضع جزم والجواب فلا اثم

عليه

عليه ويجوز ان يكون من بمعنى الذي وفيه اضمار اى فمن اضطر الى شي مما ذكرنا انه حرام والمعنى من احوج والجى الى ذلك وقال مجاهد يعني اكره عليه قوله تعالى غير نصب على الحال وقيل على الاستثنا قوله تعالى باغ ولا عاد واصل البغي في اللغة قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ترامى الى الفساد ومنه قيل للزاني بغيا قال تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا وللزانية بغي وقوله تعالى وما كانت امك بغيا واصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ اى غير قاطع للطريق ولا عاد مفارق للايمة مشاقق للامة خارج عليهم بسيفه فمن خرج يقطع الطريق او الرحم او الخيف السبيل ويفسد في الارض او ابق من سيده او فر من غريمه او خرج عاصيا باي وجه كان فاضطر الى الميتة لم تحل له اكلها او اضطر الى الخمر عند العطش لم تحل له شربها لا رخصة ولا كرامة فاما اذا خرج مطيعا او مباحا له ذلك فانه يرخص له فيه وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والكلبي ومذهب الشافعي لانا اذا احللنا له ذلك فقد اعناه على فساده وظلمه وقال الاخرون هذا البغي والعدوان راجعان الى الاكل واليه ذهب ابو حنيفة واباح تناول الميتة للمضطر وان كان عاصيا ثم اختلف اهل التاويل في تفصيل هذا التفسير فقال الحسن وقتادة والربيع بن انس وابن زيد غير باغ باكله من غير اضطرار ولا عاد متعد يتعدى الحلال الى الحرام فياكلها وهو غني عنها وقال مقاتل بن حيان غير باغ اى غير مستحل لها ولا عاد متزود منها وقال السدي غير باغ في اكله بشهوة فياكلها تلذذا ولا عاد ياكل حتى يشبع منه ولكن ياكل منه قوتا يسد به الرمق وقد اختلف العلما في مقدار ما يحل للمضطر من اكل الميتة فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه وهو احد قولي الشافعي واختيار المزني والقول الثاني انه ياكل حتى يشبع وقال مقاتل بن حيان لا يزيد على ثلث لقم واختلفوا في اكله فقال بعضهم اكله

حرام الا انه لا اثم عليه لقوله تعالى فان الله غفور رحيم وقال بعضهم هو حلال ولا يسعه تركه لانه قال في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه فلما استثنى منه ثبت انه حلال قال مسروق بلغني انه من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكلها حتى مات دخل النار واختلفوا ايضا في حد الاضطرار فقال بعضهم اذا كان بحال يخاف على نفسه التلف وهو قول الشافعي وروي عن ابن المبارك انه قال اذا كان بحال اذا دخل السوق لا ينظر الى شي سوى الخبز وقال بعضهم اذا كان بحال يضعف به عن اداء الفرايض ه قوله تعالى فلا اثم عليه اي لا حرج عليه في اكله ان الله غفور لما اكل من الحرام في حال الاضطرار رحيم به حيث رخص له في ذلك ه قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب الاية قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس سالت الملوك اليهود قبل مبعث محمد عليه السلام ما الذي تجدون في التورية قالت اليهود انا نجد في التورية ان الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد يحرم الزنا والخمر والملاهي وسفك الدما فلما بعث الله محمدا عليه السلام ونزل المدينة قالت الملوك لليهود اهذا الذي تجدون في كتابكم قالت اليهود طمعا في اموال الملوك ليس هذا بذاك النبي فاعطاهم الملوك الاموال فانزل الله هذه الاية اكذابا لليهود وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في روسا اليهود وعلمايهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد عليه السلام خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد عليه السلام فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد عليه السلام فلا يتبعونه فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب يعني صفة محمد ونبوته فالكتاب هاهنا هو الموضع الذي جرى فيه ذكر محمد عليه السلام قوله

قوله تعالى ويشترون به ثمنا قليلا يعني الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم وكل ذلك قليل لانه لا بقا له والثمن في اللغة العوض ه قوله تعالى اوليك ما ياكلون في بطونهم الا النار ذكر البطن هاهنا للتوكيد لان الانسان قد يقول اكل فلان مالي اذا افسده وبدده ويقال كلمه من فيه لانه قد يكلمه مراسلة ومكاتبة وقوله الا النار اي ما يؤول عاقبته الى النار وهو الرشا والحرام ثمن الدين والاسلام لما كانت عاقبته النار سماه في الحال نارا كقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا وقال عليه السلام الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في جوفه نار جهنم اي عاقبته النار ه قوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيمة فيه اربعة اقوال احدها لا يكلمهم كلاما يسرهم وينفعهم لانه يكلمهم بكلام العذاب حيث قال تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون هذا قول اهل التفسير والثاني وهو قول اهل المعاني ان نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم من قولهم فلان لا يكلم فلانا اي هو عليه غضبان والثالث معناه انه لا يرسل الملايكة اليهم بالتحية حكاه القشيري والماوردي والرابع لا يسمعهم كلامه حكاه الماوردي ه قوله تعالى ولا يزكيهم فيه قولان احدهما لا يطهرهم من دنس ذنوبهم والثاني لا يثني عليهم ومن لا يثني الله عليه فهو معذب ه قوله تعالى ولهم عذاب اليم اي مولم موجع ه قوله تعالى اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي حصلوا على الضلالة بدل الهدى والعذاب بالمغفرة يعني النار بالجنة قوله تعالى فما اصبرهم على النار اختلف العلما في ما فقال قوم هي ما التعجب واختلفوا في معناها فقال الحسن وقتادة والربيع والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم على اعمال اهل النار قالوا وهذه لغة يمانية يقول الرجل ما اصبرك على كذا اي ما اجراك عليه قال الفرا اخبرني الكسايي قال اخبرني قاضي اليمن ان خصمين اختصما اليه

فوجب اليمين على واحد منهما ان يحلف فقال له خصمه ما اصبرك على الله
اي ما اجراك عليه ومعنى التعجب من الله انه يعجب المخاطبين ويدلهم
على انهم قد حلوا محل من يتعجب منه وقال المورج فما اصبرهم على عمل
يوردهم النار لانهم ما كانوا علماء لان من عاند محمدا صار من اهل
النار وقال مجاهد ما اعملهم باعمال اهل النار وقيل ما ابقاهم في
النار كما يقال ما اصبر فلانا على الضرب والحبس وقال عطا والسدي
وابن زيد وابو بكر بن عياش هو ما الاستفهام معناه ما الذي صبرهم
واي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وقيل هذا على
وجه الاستهانة والاستخفاف كما تقول لمن تعرف ضعفه وتستخف
منه ما اقواك على هذا الامر ه قوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق ذلك اشارة الى قوله ولهم عذاب اليم او الى الوعيد في قوله فما
اصبرهم على النار وتقديره ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا
به واختلفوا فيه وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع بالابتدا والخبر
مضمر والتقدير ذلك العذاب مستحق بما انزل الله في القرآن من استحقاق
عقوبة الكافر فالبا متعلقة بمحذوف وقال بعضهم ذلك محله
نصب معناه فعلنا ذلك بهم بان الله او لان الله نزل الكتاب بالحق وقيل
ذلك اي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترا على الله
من اجل ان الله نزل الكتاب بالحق وتنزيله الكتاب بالحق هو اخباره عنهم
ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم
الاية وفي الكتاب ثلثة اقوال احدها انه التورية والثاني انه القرآن
والثالث جميع الكتب قوله بالحق اي بالعدل قوله
وان الذين اختلفوا في الكتاب فمن قال هو التورية ففي اختلافهم فيه ثلثة
اقوال احدها ان اليهود والنصارى اختلفوا فيها فادعى النصارى فيها
صفة عيسى عليه السلام وانكر اليهود ذلك والثاني خالفوا ما في التورية
من صفة محمد عليه السلام والثالث خالفوا سلفهم في التمسك بها ومن قال

هو

هو القرآن اختلافهم فيه قول بعضهم هو سحر وقول بعضهم هو شعر وقول
بعضهم اساطير الاولين ومن قال هو جميع الكتب فاختلافهم ايمانهم بالبعض
دون البعض ه قوله تعالى لفي شقاق بعيد اي خلاف طويل وقيل
بعيد عن الحق ه قوله تعالى ليس البر قرأ حمزة بنصب الرا على انه
خبر ليس وان تولوا اسمها وقرأ الباقون بالرفع على اسم ليس والخبر في قراءة ان تولوا
وفي حرف عبد الله واي ليس البر بان تولوا قال قتادة ذكر لنا ان رجلا سال
عن البر فانزل الله هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها
عليه وفيمن خوطب بها قولان احدهما انهم المسلمون والثاني اهل الكتابين فعلى
القول الاول معناه ليس البر كله في الصلوة ولكن البر ما في هذه الاية وكان
الرجل في ابتدا الاسلام اذا اتى بشهادة الحق وصلى اي الى ناحية كانت
ثم مات على ذلك قضي له بالجنة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الفرايض
بين الله انه ليس البر ان يصلي المرء فقط وعلى القول الثاني ليس البر صلاة اليهود
الى المغرب والنصارى الى المشرق ولكن البر ما في هذه الاية وفي المراد بالبر
ثلثة اقوال احدها الايمان والثاني التقوى والثالث العمل الذي يقرب
الى الله تعالى قوله تعالى ولكن البر من امن بالله الاية جعل من وهي
اسم خبرا للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجه الاية فقال
بعضهم لما وقع من في موضع المصدر جعله خبرا للبر كانه قال ولكن البر
الايمان بالله والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل كقولهم انما البر الصادق الذي
يصل رحمه ويخفي صدقته يريدون صلة الرحم واخفا الصدقة وعلى هذا القول
الفرا والمفضل بن سلمة وقيل معناه ولكن البر بر من امن بالله فاستغني
بذكر الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم والشجاعة عنترة والشعر زهير اي
جود حاتم وشجاعة عنترة وشعر زهير تقول العرب بنو فلان يطاهم الطريق
اي اهل الطريق قال تعالى وسل القرية اي اهل القرية وقال تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي كخلق نفس واحدة وهذا قول قطرب
واعتمده الفرا والزجاج ايضا وقال ابو عبيدة ولكن البر من امن بالله

كقوله تعالى والعاقبة للتقوى اى للمتقين وقيل معناه ولكن ذا البر من امن
بالله حكاه الزجاج كقوله تعالى هم درجات عند الله اى ذو درجات وقال
المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء تقول العرب رجل بر
وبار والجمع ابرار وبررة وقرا نافع ولكن البر بتخفيف نون لكن ورفع البر على الابتدا
قوله تعالى واليوم الاخر يعنى بالبعث والجزا وانما ذكره لان عبدة
الاوثان تنكره قوله تعالى والملايكة يعنى فيما امروا به من كتب
الاعمال وتولى الجزا قوله والكتاب يعنى الكتب والكتب اسم جنس فجوز
وقوعه على الجمع قوله والنبيين يعنى التصديق لجميع الانبيا قوله
واتى المال اى اعطى المال على حبه اكثر المفسرين ان الها فى حبه راجعة الى
المال يعنى اعطى المال فى حال صحته ومحبته اياه وقال بعضهم هى راجعة
الى الله تعالى اى على حب الله تعالى وقال الحسين بن الفضل على حب الايتا
وعلى بمعنى مع وذهب الجمهور الى ان ليس فى المال حق سوى الزكاة وذهب
الشعبى والسدى الى خلافه قوله تعالى ذوى القربى يريد قرابة
الرجل من طرفيه ومن قبل ابويه فان كان ذلك محمولا على الزكاة روعى فيه
شرطان احدهما الفقر والثانى سقوط النفقة وان كان محمولا على التطوع لم
تعتبر واحد منهما وجاز مع الغنى والفقر ووجوب النفقة وسقوطها قال
صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم اثنتين لانها
صدقة وصلة وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح
وقد شرحنا معنى اليتامى والمساكين فى قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرايل
قوله تعالى وابن السبيل يعنى المجتاز واختلفوا فيه فقال
ابو جعفر الباقر ومجاهد يعنى المسافر المنقطع من اهله يمر عليك وقال
قتادة هو الضيف ينزل بالرجل قال وذكر لنا انه عليه السلام كان يقول
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وكان يقول حق
الضيافة ثلث ليال فما فوق ذلك فهو صدقة وانما قيل للمسافر والضيف
الذى يحل ويرتحل ابن السبيل لملازمته الطريق كما يقال للرجل الذى

انت عليه الايام ابن الايام والليالى ولطير الما ابن الما لملازمته اياه قوله
تعالى والسايلين يعنى المحتاجين الذى يسالون ومن حمل الاية على غير
الزكاة دخل فيه المسلم والكافر عن فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جا على ظهر فرسه
وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية
الله الى المومن السايل على بابه قوله تعالى وفى الرقاب
اى فى تخليص الرقاب او عتق الرقاب وفيهم ثلثة اقوال احدها
انهم المكاتبون يعانون فى كتابتهم بما يعتقون به قاله اكثر المفسرين
وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى والثانى انهم عبيد يعتقون وهو قول
مالك والثالث فك الاسارى والرقاب جمع رقبة وهى موخر اصل
العنق وهى من المراقبة لان مكانها من البدن مكان الرقيب الذى
المشرف على القوم قوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
فيما بينهم وبين الله وبينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا اوفوا روا
اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ايتمنوا ادوا قال الربيع بن انس فى هذه
الاية فمن اعطى الله عهدا ثم نقضه فالله ينتقم منه ومن اعطى ذمة النبى
عليه السلام ثم غدر فالنبى خصمه يوم القيمة وارتفع الموفون بالعطف
على محل من فى قوله ولكن البر من امن فهو رفع لانه خبر لكن كانه قال
ولكن البر من امن بالله والموفون وقيل ارتفع لانه خبر مبتدا محذوف
تقديره هم الموفون وقرى الموفين قوله تعالى والصابرين قال
ابو عبيدة نصبه على تطاول الكلام ومن شان العرب ان تغير الاعراب
اذا طال الكلام والنسق وقال الكسايى نصبه نسقا على قوله
ذوى القربى وقال بعضهم انتصب باضمار اعنى الصابرين وقال
الخليل والفرا على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الذم يريدون
بذلك افراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه اول الكلام وينصبونه
فاما المدح فقوله تعالى والمقيمين الصلوة وانشد ابو عبيدة

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

فنصب النازلين والطيبين على المدح وان كان صفة الاسم مرفوع واما الذم فقوله تعالى ملعونين الاية قوله تعالى في الباساء يعني الفقر وهو من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وهما اسمان بنيا على فعلاء ولا افعل لهما لانهما اسمان وليسا بنعت قوله تعالى وحين الباس اي وقت القتال والباس اسم للحرب لما فيه من الشدة قوله تعالى اولئك الذين صدقوا يعني اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم فمن شرايط البر وتمام شروط البار ان تجتمع فيه هذه الاوصاف جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن الايمان فقرا هذه الاية قوله تعالى واولئك هم المتقون اي اتقوا عقاب الله فتركوا مخالفته وفي هذا كله قولان احدهما انه مخصوص بالانبيا عليهم السلام لانه لا يقدر على القيام بهذا كله على شروطه غيرهم حكاه الماوردي والثاني انه عام في الناس كلهم لارسال الكلام وعموم الخطاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قال الشعبي والكلبي وقتادة ومقاتل ابن حيان وابو الجوزا وسعيد بن جبير نزلت هذه الاية في حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكانت بينهم قتلى وجراحات لم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام والحيان من الاوس والخزرج في قول سعيد بن جبير وقال ابن حيان قريظة والنضير وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساهم من غير مهور فاقسم الاشراف ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك وهكذا كانوا يعاملونهم في الجاهلية فرفعوا امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامرهم بالمساواة فرضوا وسلموا ومعنى كتب فرض لقوله كتب عليكم الصيام فان قيل

الفرض

البس وصح

الفرض على من يكون على الولي او على غيره قلنا الفرض على القاضي اذا اجتمعوا عليه ان يقضي على القاتل بالقصاص اذا طلب الولي ويجب على القاتل اذا طلب الولي منه تمكينه من قتله فالقصاص المساواة والمماثلة في النفوس والجروح واصله من قص الاثر اذا اتبعه فكان المفعول به يتبع ما عمل به فيعمل مثله اذا تكافا الدمان وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الحر لا يقتل بالعبد بل يجب قيمته بالغة ما بلغت وقال ابو حنيفة رحمه الله يقتل الحر بالعبد ولا يزاد قيمة العبد على دية الحر وقال الشافعي لا يقتل المسلم بالذمي وقال ابو حنيفة يقتل به والحر مشتق من الحر الذي هو نقيض البرد لان الحران من حرارة الحمية ومن الانفة ما يبعثه على المكرمة بخلاف العبد وقيل هو الخالص ومنه طين حر اي غير مشوب والانثى الضعيف من كل شي وحسام موثث اي ضعيف الاثر وقال جماعة من المفسرين ان دليل خطاب هذه الاية منسوخ لانه لما قال الحر بالحر اقتضى ان لا يقتل العبد بالحر والذكر بالانثى من جهة دليل الخطاب وذلك منسوخ بقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقال بعضهم هي غير منسوخة لان الفقها يقولون دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل وقد وجد الدليل وهو قوله تعالى ان النفس بالنفس قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شي اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد فرضي بالدية وهذا قول اكثر المفسرين وقال السدي هو ان يعفى له بقية من دية اخيه او من ارش جراحته بعد ان تقاصا فمن بقيت له بقية فليتبعها بمعروف وليود من عليه القصاص باحسان وفي هذا دليل على ان اخوة الاسلام بينهما لم ينقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله ولان الله خاطبهم بقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ولا خلاف ان القصاص واقع بالعمد فلم يسقط عنه اسم الايمان بارتكاب هذه الكبيرة وقال في اخر الاية ذلك تخفيف من ربكم ص

ورحمه وهما يلحقان المومنين دون الكافرين وروى ان مسروقا سيل
هل للقاتل من توبة فقال لا اغلق بابا فتحه الله تعالى وقيل اراد بالشي
بعض القصاص فلهذا نكره اي ولي الدم اذا عفا عن بعض القصاص
سقط القصاص بالكليه ونبه بهذا على انه لو عفا عن جميع الدم
فاولى ان يسقط القصاص ولو نص على القصاص لتخيل متخيل ان العفو
عن البعض لا يسقط القصاص وقيل فمن عفي له يرجع الى الولي اي اذا
تيسر للولي من جهة القاتل عوض وهو الدية فليقبل فهو تحريض على
العفو على القصاص وقيل اراد من عفي له عن دم القتيل شي اي عفي
بعض الاوليا فهذا الذي لم يعف ينبغي ان يتبع بالمعروف ولا يطلب
الا الدية ذكرهما القشيري ه قوله تعالى فاتباع بالمعروف
اي فعلى ولي الدم اتباع بالمعروف في المطالبه بالدية وهو ترك
التشديد على القاتل والمعروف ما يعرفه الشرع ويرد به قوله
تعالى واداء اليه باحسان اي وعلى القاتل تادية المال الى العافي
باحسان بان لا يبخس ولا يماطل وقيل هما جميعا عايدان الى القاتل
ان يودي الدية بمعروف وباحسان قوله تعالى ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة قال ابن عباس حيث جعل الدية لامه محمد عليه
السلام قال المفسرون ان الله تعالى كتب على اهل التورية ان يقيدوا
ولا ياخذوا الدية ولا يعفوا وعلى اهل الانجيل ان يعفوا ولا يقيدوا ولا
ياخذوا الديه وخير هذه الامة بين القصاص والدية والعفو فقال
ذلك تخفيف من ربكم ورحمه اي التخيير بين هذه الاشيا قوله
تعالى فمن اعتدى بعد ذلك يعني قتل بعد اخذ الدية والعفو فله
عذاب اليم فيه ثلثة اقوال احدها ان العذاب الاليم هو ان يقتل
قصاصا وهو قول عكرمة والثاني ان يقتله الامام حتما لا عفو
فيه وهو قول ابن جريج قال عليه السلام لا اعافي رجلا قتل بعد
اخذ الدية والثالث ان العذاب الاليم استرجاع الدية منه ولا قود عليه

وهو

وهو قول الحسن البصري ه **فصل** انواع القتل ثلثه العمد وشبه
العمد والخطا فالعمد بان يقصد بما الاغلب ان يموت منه مثل الحديدة
والخشبه العظيمه والحجر الكبير ونحوها ففي هذا القصاص او الدية وقال
ابو حنيفه رحمه الله القتل بالمثقل لا يوجب القصاص عندنا وموجب
العمد القصاص عينا وليس للولي اخذ الدية الا برضا القاتل ودليل
التخيير بين القصاص والدية قوله عليه السلام ثم انتم يا خزاعه قد قتلتم
هذا القتيل من هذيل وانا والله عاقله فمن قتل قتيلا بعده فاهله بين
خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل واما شبه العمد فهو
ان يقصد ضربه بما الاغلب منه انه لا يموت منه كالعصا الصغير
واللطمه وما اشبه ذلك فهذا يجب به دية مغلظه على العاقله مايه
من الابل اربعون خلفه في بطونها اولادها وثلثون حقه وثلثون جذعه
ومن الذهب الف دينار ومن الورق اثنا عشر الف درهم هذا دية الحر
المسلم ودية المراة على النصف من ذلك واما الخطا فهو ان يقصد شيا
فيخطي فيصيب غيره كالرجل يرمي الهدف او الصيد فيخطي السهم فيقع
بانسان فيقتله ففيه دية مخففه على العاقله في ثلث سنين اخماسا
عشرون بنت مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
حقاقا وعشرون جذاعا ه قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
اي بقا لانه اذا علم انه اذا قتل اقتص منه امسك عن القتل وانزجر
عنه ففيه حياة للذي هم بقتله وحياة للهام ايضا قال قتادة جعل الله
القصاص حياة وعبرة لاهل السفه والجهل من الناس وكم رجل
قد هم بداهيه لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص
عباده بعضهم عن بعض هذا قول اكثر اهل التفسير ونظيره من
قول العرب القتل انفى للقتل الا ان ما في القران اوجز وافصح واكثر
معاني وابعد عن الكلفه بتكرير الجملة وقال السدي كانوا
يقتلون بالواحد اثنين والعشرة والمايه فلما قصروا على الواحد بالواحد

كان في ذلك حياة وقيل اراد به في الاخرة لان من اقيد منه في الدنيا
حيي في الاخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة فمعنى
الحيوة سلامته من قصاص الاخرة وقيل ولكم في القصاص حياة
اى فرح فان ولى الدم اذا اقتص يشفي وطابت نفسه من الحزن الذى
نزل به وفي امتناع القصاص عليه فاذا اقتص وزال سبب التمنى
للموت كان فيه حياة حكى عن ابن عباس وقرى ولكم في القصص
حياة اى في القران حياة القلوب قولــــه تعالى يا اولي الالباب
يعني يا ذوي العقول لان الحياة بالقصاص معقول بالاعتبار
والالباب جمع لب وهو خالص الشي ومنه سمي العقل لبا لانه
اشرف خالص البشر واصل الكلمة من اللزوم يقال الب بالمكان
اي لزمه لزوم لب الشي اليه قولــــه تعالى لعلكم تتقون
اي تتقون القتل مخافة القود او لتتقوا الله باجتناب معاصيه
قولــــه تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى كتب عليه
القصاص وكتب عليكم الوصيه فلما طال الكلام اسقط الواو
وقيل لما ذكر ان لولى الدم ان يقتص فهذا الذى اشرف على
ان يقتص منه راى اسباب الموت فكان الموت حضره وهذا
اوان الوصيه والجوز ان لا يتعلق اية باية بعد ان كان كل شي
من القران مقيدا احكمه ولا يبعد انه كان في كل حكم من هذه
الاحكام شرع لليهود فبين الله الاحكام للمسلمين منبها على ان
ما خالف هذا الذى ذكر صار منسوخا وكان من تحريف اليهود
ومعنى كتب فرض او وجب اذا حضر احدكم الموت يريد اسباب
الموت ومقدماته من العلل والامراض وكانت الوصيه اذ ذاك
واجبه وانما قال كتب ولم يقل كتبت لانه اراد بالوصية الايصا
كقوله فمن جاءه موعظة من ربه اى وعظ وقــال المفضل لان
الوصية قول والقول مذكر فذهب الى المعنى وترك اللفظ

وقيل

وقيل لانه تخلل فاصل فكان الفاصل كالعوض من التانيث
يقول العرب حضر القاضي اليوم امراه وقيل اي كتب عليكم
الوصية حتى يقول كل انسان اذا حضرني الموت فمالي في وجه
كذا وكذا ففيه تقديم وتاخير يعني كتب عليكم الوصيه ان ترك
احدكم خيرا للوالدين والاقربين اذا حضره الموت وقوله حضر
محمول على حقيقه الحضور ولا يحضر الموت الا وهو ميت قولــــه
تعالى ان ترك خيرا اى مالا والخير اسم جامع للمال في كثير من القران
كقوله تعالى وما تنفقوا من خير وقوله وانه لحب الخير لشديد وقوله
من خير فقير وقال شعيب اني اراكم بخير يعني الغنى والمال وقد سمى الله
الايمان خيرا قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا يعني ايمانا وقولــه
ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ويطلق الخير بمعنى
افضل قال تعالى وانت خير الراحمين وانت خير الحاكمين ويطلق
بمعنى العافيه كقوله تعالى وان يمسسك بخير وان يردك بخير
ويطلق بمعنى الاجر قال تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
لكم فيها خير اى اجر وقوله ان ترك خيرا جوابه عند الاخفش الوصيه
وحذف الفا اى فالوصية للوالدين واحتج بقولــــه الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان
فالوصيه على هذا مبتدا وللوالدين خبره قولــــه تعالى للوالدين
والاقربين وقيل هم الاولاد وقيل من عدا الوالدين من الاقارب
فاما الاولاد فانهم لم يدخلوا في الاية فكان المال للولد والوصية
للوالدين والاقربين ثم قيل الاقربون جميع القرابات من يرث
ومن لا يرث وقيل هم من لا يرث دون من يرث قولــــه تعالى
بالمعروف اي بالعدل لا يزيد على الثلث ولا يوصي للغنى ويدع الفقير
قولــــه حقا اى واجبا وهو نصب على المصدر اى حق ذلك
حقا وقيل على المفعول اي جعل الوصيه حقا قولــــه على

المتقين اى الذين يتقون الشرك **فصل** اختلف اهل العلم في ثبوت
حكم هذه الاية فذهب الجمهور من التابعين والفقها الى ان العمل
بها كان واجبا قبل فرض المواريث لئلا يضع الرجل ماله في البعدا
طلبا للسمعة والريا فان اهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك وهذا
كان سبب نزول هذه الاية فلما نزلت اية المواريث في سورة النسا
نسخ بها وجوب الوصيه ومنعت السنه من جوازها للورثة فانه
قال عليه السلام الا ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث فبين ان الوصية والميراث لا يجتمعان فاية الميراث هي
الناسخة وقول رسول الله هو المبين وقال اخرون نفي فرض الوصية
للاقربا الذين لا يرثون وللوالدين الذين لا يرثان برق او كفر على من
كان له مال وهذا قول الحسن وطاوس وقتادة وجابر بن زيد فان
وصى بثلثه لغير قرابته فقد اختلف قايلوا هذا القول في حكم وصيته
على ثلثة مذاهب احدها انه يرد ثلث الثلث على قرابته ويكون ثلث
الثلث لمن اوصى له قاله قتادة والثاني انه يرد ثلثا الثلث على قرابته
ويكون ثلث الثلث لمن اوصى له به قاله جابر بن زيد والثالث انه يرد
الثلث كله على قرابته قاله الضحاك من مات ولم يوص لذي
قرابة فقد ختم الله على عمله بمعصية وقال طاوس من اوصى
لقوم وسماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت
الى ذوي قرابته واختلفوا في قدر المال الذي يجب عليه ان يوصي
منه فمنهم من قال الف درهم لقوله تعالى ان ترك خيرا والخير الف
درهم وهذا قول علي كرم الله وجهه ومنهم من قال الف درهم
الى خمس مائة درهم وهذا قول النخعي ومنهم من قال هو غير مقدر
وان الوصية تجب في قليل المال وكثيره وهذا قول الزهري
روى نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما حق امرى يبيت ليلتين وله مال يريد ان يوصي فيه الا ووصيته

مكتوبة عنده رواه مسلم اى ما حقه من جهة الحزم والاحتياط وقيل
اراد ما المروة في حقه والمعروف في الاخلاق الا هذا واصل الوصية
من وصى يصي اذا وصل فسميت وصيه لان الانسان اذا وصى يصل
بالوصيه خير دنياه وخير عقباه قوله تعالى فمن بدله بعد
اى فمن غير الوصية من الاوصيا او الاوليا او الشهود بعد ما سمعه
من الميت او بعد ما سمعه من تغليظ الاثم في التبديل قوله
تعالى فانما اثمه على الذين يبدلونه اى على من بدل الوصية وللميت
اجر قصده وثواب وصيته وان غيرت بعده قوله تعالى
ان الله سميع لقول الموصي عليم بنيته وما اراد او بما يفعله الوصي
قوله فمن خاف اى خشي وقيل علم اى لا جود لان الخوف وموضع
يستعمل بمعنى العلم وذلك ان القايل اذا قال اخاف ان يقول امر
ان يقع امر كذا كانه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه فاستعمل الخوف
في العلم ومنه قوله وانذر به الذين يخافون وقوله الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله وقوله فان خفتم شقاق بينهما قوله تعالى من موص
قرا مجاهد وعطا وحميد وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو جعفر
وشيبة ونافع بالتخفيف واختاره ابو حاتم قال قراتها بمكة بالتشديد
اول ليلة امست تعابوها على وقرا الباقون موص بالتشديد واختاره
ابو عبيد لقوله تعالى وما وصى به نوحا وما وصينا به ابراهيم قوله
تعالى جنفا اى ميلا يقال جنف واجنف وتجانف اذا مال وقرا
علي كرم الله وجهه حيفا بالحا واليا اى ظلما قال الفرا الفرق
بين الجنف والحيف ان الجنف العدول عن الشي والحيف حمل الشي على
من ينقصه وعلى الرجل حتى ينتقص حقه يقال فلان يتحيف
مالي اى ينتقصه من حافاته قال المفسرون الجنف الخطا والاثم
العمد واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال قوم تاويلها من حضر
مريضا فقال يخاف ان يخطي في وصيته فيفعل ما ليس له او يتعمد

جورا فيهما امر بما ليس له فلا حرج على من حضره ان يامره بالعدل في
وصيته وينهاه عن الحيف وهذا قول مجاهد قال هذا حين يحضر الرجل
وهو يموت فاذا اسرف امره بالعدل فاذا قصر عن حق قالوا افعل كذا
اعط فلانا كذا وقال آخرون هو انه اذا اخطأ الميت في وصيته
او حاف فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك من ولي او وصي او والي
من ولي امر المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم
ويرد الوصية الى العدل والحق وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة
وابراهيم والربيع وروى ابن جريج عن عطاء قال هو ان يعطي عند حضور
بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موته فلا اثم على من اصلح
بين الورثة وقال طاوس حيفه ان يوصي لغير ورثته بما يرجع نفعه
الى ورثته بان يوصي لابن ابنته وهو يريد ابنته او يوصي لزوج ابنته ليصرف
المال الى ابنته او يوصي لبعيد ويحرم القريب فلا حرج على من علم ذلك
ان يصلح بين ذلك المريض وبين ورثته وقوله فاصلح بينهم اي
بين الورثة والمختلفين في الوصية ذكر لان سياق الاية وما تقدم من
ذكر الوصية يدل عليه قال الكلبي كان الاولياء والاوصياء يمضون
وصية الميت بعد نزول قوله فمن بدله بعدما سمعه الاية وان استغرق
المال كله وبقي الورثة بغير شي ثم نسختها هذه الاية فمن خاف من
موص جنفا او اثما الاية وروى عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فمرضت
مرضا اشرفت على الموت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ان لي مالا كثيرا وليس يرثني الا ابنتي افاوصي بثلثي مالي
قال لا قلت فبشطر مالي قال لا قلت فبثلث مالي قال نعم الثلث والثلث
كثير انك يا سعد ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون
الناس وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته

ختم

ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين
سنة فاذا اوصى ولم يحف في وصيته ختم له بخير عمله فيدخل الجنة
ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله الى قوله عذاب مهين
وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حاف في
وصيته القي في اللوى واللوى واد في جهنم قوله تعالى فلا اثم
عليه لانه متوسط وليس بمبدل ان الله غفور رحيم حيث لم يجعل على
عباده في الدين حرجا قوله يا ايها الذين امنوا قال الحسن اذا
سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا فارع لها سمعك فانه لامر تؤمر به
او لنهي تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة في النداء ازال تعب العبادة
والعناء قوله تعالى كتب عليكم الصيام بمعنى فرض والصيام مصدر
تقول صمت صياما كما تقول قمت قياما واصل الصوم في اللغة الامساك
يقال صامت الريح اذا امسكت وامسكت عن الهبوب وصامت الخيل اذا
وقفت وامسكت عن السير قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة ۞ تحت العجاج واخرى تعلك اللجما

ويقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ويقال للرجل اذا صمت
وامسك عن الكلام صائم قال الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا وذم اعرابي قوما فقال يصومون عن المعروف ويفطرون على
الفواحش والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن المفطرات مع
انضمام النية اليه بجعل الشارع الصيام اوكد عباداته والزم فروضه
حتى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كل عمل
ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به ولخلوف فم الصائم عند الله
اطيب من ريح المسك وانما اختص الصوم بانه له وان كان كل العبادات
له لان الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات
وقيل لان الصوم سر بين العبد وبين ربه فلذلك صار مختصا به وما
عداه من العبادات ربما فعل تصنعا ورياء وقوله وانا اجزي به اي

ثم لا بد ان يكون النية موجودة في كل [illegible] واكثر النهار
ويشترط ان يكون قبل الضحوة الكبرى [illegible]
الا النذر والاداء [illegible] والقضاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
واجب [illegible] للصوم [illegible]
بخلاف الصلوة [illegible]
[illegible]

اضاعف الجزاء عليه وان ثوابه غير مقدر وقيل لما خص الصوم بنفسه [هامش: وجزاؤه]
تعالى وان كانت العبادات له وجزاؤها منه لان جميع العبادات
التي يتقرب بها الى الله تعالى من صلاة وحج وصدقة وتبتل واعتكاف
ودعا وقربان وهدي وغير ذلك من انواع العبادات قد عبد بها المشركون
الهتهم وما كانوا يتخذونه من دون الله تعالى اندادا ولم يسمع ان طايفة من
الطوايف المتقدمة عبدت الهتها بالصوم ولا تقربت اليها به ولا عرف الصوم
في العبادات الا من جهة الشرايع فلذلك قال ان الصوم لي اي انه لم يشاركني
فيه احد ولا عبد به غيري فانا حينيذ اجزي به ولا اكله الى احد من نبي
مرسل ولا ملك مقرب وقوله لخلوف فم الصايم بضم الخا واللام تغير ريح
الفم وقوله عند الله اطيب من ريح المسك هو مجاز واستعارة لان استطابة
بعض الروايح دون بعض من صفات الحيوان والله متقدس عن ذلك
فقيل معناه ان الله يطيب خلوف فم الصايم في الاخرة بحيث يصير اطيب
من ريح المسك وقيل ثواب خلوف فمه اذا وصل الى الله اطيب وانفع
من ريح المسك لمن شمه في الدنيا وقيل قوله اطيب عند الله من ريح المسك
عندكم اي رضاه وثوابه وثناؤه عليه وثوابه له فكانه قال لخلوف فم
الصايم ابلغ في القبول عند الله من ريح المسك عندكم ولذلك كره
للصايم السواك بعد الزوال والمراد بهذا الصوم صوم شهر رمضان
قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم فيهم ثلثة اقوال احدها [هامش: illegible]
انهم الانبيا والامم اولهم ادم عليه السلام قاله قتادة والثاني انهم النصارى
قاله الحسن وغيره والثالث انهم اهل الكتاب وهو قول مجاهد واختلفوا
في موضع التشبيه بين صومنا وصوم الذين من قبلنا فقيل ان التشبيه
في حكم الصوم وصفته لا في عدده لان اليهود والنصارى يصومون
من العتمة الى العتمة ولا ياكلون بعد النوم شيا وكان المسلمون على
ذلك في اول الاسلام لا ياكلون بعد النوم شيا والنسا حرام ليلة
الصيام حتى كان من شان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان فنسخ

فنسخ الله تعالى ذلك واحل الاكل والشرب بقوله احل لكم ليلة الصيام
الرفث الاية ففرقت بين صوم اهل الكتاب وصوم المسلمين وهذا
قول الربيع بن انس وقد روي عنه عليه السلام انه قال بين صومنا
وصوم اهل الكتاب اكلة السحر وقيل ان التشبيه في عدد الصوم وفيه
قولان احدهما ان النصارى شبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما في
الوقت والقدر وذلك ان الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان
فاشتد ذلك عليهم لانه ربما كان في الحر الشديد والبرد الشديد
وكان يضر بهم في اسفارهم ومعاشهم فاجتمع راي علمايهم ان يجعلوا
صيامهم في فصل من السنة في الشتا والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا
فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين يوما ثم ان ملكا لهم
اشتكى فمه فجعل لله عليه ان برا من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا
فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك اخر فقال لنتمه
خمسين يوما قاله الحسن والشعبي وجماعة من العلما قال مجاهد [هامش: فلذلك نهي عن صوم يوم الشك illegible]
اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد
فعلى هذا الاية غير منسوخة والقول الثاني انهم اليهود كان
عليهم صيام ثلثة ايام من كل شهر وهي الايام البيض ويوم عاشورا
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرض الله عليه وعلى المومنين
صوم يوم عاشورا وايام البيض من كل شهر فكانوا على ذلك [هامش: في شعبان صح]
سبعة عشر شهرا الى ان نسخ بصوم شهر رمضان وفرض شهر رمضان
في السنة الثانية من الهجرة قبل لليلتين خلتا منه وفي هذا الشهر
فرض استقبال الكعبة على قول وقد سبق قال ابن عباس اول ما نسخ
شان القبلة والصيام الاول عن عنترة عن ابيه عن جده قال
سمعت عليا كرم الله وجهه يقول اتيت رسول الله ذات يوم عند
انتصاف النهار وهو في الحجرة فسلمت عليه فرد علي ثم قال يا علي هذا
جبريل يقريك السلام قلت عليك وعليه السلام يا رسول الله قال

ادن مني فدنوت منه فقال يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلثة
ايام يكتب لك باول يوم عشرة الف سنة وباليوم الثاني ثلثون الف
سنة وباليوم الثالث مائة الف سنة فقلت يا رسول الله هذا الثواب
لي خاصة ام للناس عامة قال يا علي يعطيك الله هذا الثواب
ولمن يعمل مثل عملك بعدك قلت يا رسول الله وما هي قال ايام
البيض ثلثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر قال عنترة قلت لعلي
كرم الله وجهه لاي شي سمي هذه الايام البيض قال لما اهبط ادم
عليه السلام من الجنة الى الارض كان عريانا فاحرقته الشمس فاسود
جسده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا ادم اتحب ان يبيض جسدك
قال نعم قال صم من الشهر ثلثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر فصام
ادم عليه السلام اول يوم فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثاني
فابيض ثلثا جسده ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله
فسميت الايام البيض وقيل معناها انها ايام الليالي البيض
بحذف المضاف لتساوي النهار والليل في الصوم قوله تعالى
لعلكم تتقون فيه قولان احدهما التي تتقوا الاكل والشرب والجماع
في وقت وجوب الصوم وهو قول السدي وابي جعفر الطبري
والثاني لتتقوا المعاصي فان الصيام وصلة الى التقوى لانه يكف
الانسان عن كثير مما تطلع عليه النفس من المعاصي وهو معنى
قول الزجاج قوله تعالى اياما معدودات قال الزجاج
اياما ظرف لكتب كانه قال كتب عليكم الصيام في هذه الايام وقال
الفراء هي نصب على خبر ما لم يسم فاعله وهو قوله كتب كما يقول اعطي
عبد الله المال وقيل باضمار فعل اي ان تصوموا اياما معدودات
وقيل على التفسير قوله تعالى معدودات ورد في سبب
تخصيص ايام الصوم من العدد بثلثين يوما حديث وهو ما روي
عنه عليه السلام انه قال افترض الله على امتي الصوم ثلثين يوما

وافترض

وافترض على سائر الامم اقل واكثر وذلك ان ادم لما اكل من تلك الشجرة بقي في
جوفه ثلثين يوما بلياليهن وافترض علي وعلى امتي بالنهار فما ناكل بالليل
فضل من الله عز وجل تبارك الله لم يوجب صيام الدهر بل صوم ايام يسيرة
قليلات قال تعالى دراهم معدودة وقال مقاتل كل شي في القران
معدودة او معدودات فهو دون الاربعين وما زاد على ذلك لا يقال معدودة
وفي قوله معدودات قولان احدهما انها ايام شهر رمضان التي ياتي بعد
وهو قول الجمهور والثاني انها صيام ايام البيض كما سبق وفيها قولان احدهما
انها الثاني عشر وما يليه حكاه الماوردي والثاني انها الثالث عشر وما يليه
وهو المشهور والاظهر لان ايام الشهر بجزاه عند العرب عشرة اجزا كل جزء
منها ثلثة ايام تختص باسم اولها ثلث غرر ثم ثلث شهب ثم ثلث تسع ثم
ثلث عشر ثم ثلث بيض ثم ثلث درع والدرع هو سواد مقدم الشاة وبياض
موخرها فقيل لهذه الثلث درع لان القمر يغيب في اولها فيصير لليلة
ادرع لسواد اوله وبياض اخره ثم ثلث خنس لان القمر يخنس فيها اي يتاخر
ثم ثلث دهم وقيل حنادس لاظلامها ثم ثلث فحم لان القمر ينفحم فيها اي يطلع
في اخر الليل ثم ثلث دادي وهي اخر الشهر ماخوذ من الدادا وهو اخر
سير الابل وذلك ان تسرع نقل ارجلها حتى تضعها في مواضع ايديها
واختلفوا في الهلال متى يصير قمرا فقال قوم يسمى هلالا ليلتين ثم
يسمى بعدها قمرا وقال اخرون يسمى هلالا الى ثلث ثم يسمى بعدها
قمرا وقال اخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطه
دقيقة وهو قول الاصمعي وقال اخرون يسمى هلالا الى ان يبهر ضوءه
سواد الليل فاذا ابهر ضوءه سمي قمرا وهذا لا يكون الا في الليلة السابعة
عدنا الى تفسير ما بقي من الاية قوله فمن كان منكم مريضا
او على سفر السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال المسافر واخلاقه
وقيل سافر اي برز الى الفضا والسفير الداخل بين اثنين للصلح لانه
يكشف المكروه المتصل بهما والسفر الكتاب لانه يكشف عن المعاني

ومنه اسفار الصبح قوله تعالى فعدة مبتدا والخبر محذوف اى فعليه
عدة وفيه حذف مضاف اى صوم عدة وقرا ابن ابى عبلة فعدة نصبا اى فليصم
عدة وفى الكلام حذف تقديره فافطر فعليه عدة والعدة والعدة فعلة من
العد وهو بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون ومنه عدة المراه ٥ قوله
تعالى من ايام اخر يعنى غير ايام مرضه او سفره واخر فى موضع خفض لانها لا
تنصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل فى فعلى صفة ان
يستعمل فى الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر
قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه قرا ابن عامر وعايشه وعطا
ابن ابى رباح وسعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد يطوقونه بضم اليا وفتح
الطا وتخفيفه وفتح الواو وتشديده اى يكلفونه ويحملوه وروى عن مجاهد
وعكرمة ايضا بفتح اليا الاولى وتشديد الطا اراد يطوقونه اى يتكلفونه
وروى ابن الانبارى عن ابن عباس يطيقونه بفتح اليا الاولى وتشديد الطا
واليا الثانيه وفتحهما بمعنى يطيقونه يقال طاق واطاق واطيق بمعنى
واحد ٥ قوله تعالى فدية طعام مسكين قرا اهل المدينه
والشام فديه طعام مضافا مساكين جمعا اضافوا الطعام الى الفدية
وان كانا واحدا لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقولهم
مسجد الجامع وربيع الاول ونحوها وهى قراة ابن عمر ومجاهد وقرا الباقون
فدية بالتنوين طعام بالرفع بدلا منها او على اضمار مبتدا اى هى طعام مسكين
وقرا بالافراد حفص فمن وحد فمعناه لكل يوم لكل يوم اطعام
مسكين واحد ومن جمع رده الى الجمع وهو اختيار ابى عبيد وابى حاتم ولم
يجمع فديه لامرين احدهما انها مصدر والها فيها لا تدل على المرة الواحدة
بل هى للتانيث فقط والثانى انه لما اضافها الى مضاف الى الجمع فهم منها الجمع
والطعام هاهنا بمعنى الاطعام كالعطا بمعنى الاعطا وتضعف ان يكون
الطعام هو المطعوم لانه اضافه الى المسكين وليس الطعام للمسكين
قبل تمليكه اياه فلو حمل على ذلك لكان مجازا لانه يكون تقديره فعليه

اخراج

فعليه اخراج طعام يصير للمساكين ولو حملت الاية عليه لم يمتنع لان
حذف المضاف جايز وتسميه الشى بما يول اليه جايز قوله تعالى
فمن تطوع خيرا قرا عيسى ويحيى بن وثاب وحمزة والكساى يطوع باليا
وتشديد الطا وجزم العين على معنى يتطوع وقرا الاخرون بالتا وتشديد
الواو وفتح العين وتخفيف الطا وجزم العين على معنى يتطوع وقرا الباقون
على الفعل الماضى ٥ قوله تعالى فهو خير له الضمير يرجع
الى التطوع ولم يذكر لفظه بل هو مدلول عليه بالفعل وان تصوموا
فى موضع مبتدا وخير خبره ولكم نعت لخير وان كنتم شرط محذوف
الجواب والدال على المحذوف ان تصوموا والمعنى الصوم لكم خير من الافطار
والفدية قوله تعالى ان كنتم تعلمون ما شرعته لكم وبينته
من دينكم وفضل عما لكم وثواب افعالكم ٥ فصل اختلف العلما
فى تاويل هذه الاية وحكمها فقال قوم كان ذلك فى اول ما فرض الله تعالى
صوم شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه بذلك
شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا الصوم فخيرهم الله تعالى
بين الصوم والاطعام فمن شا صام ومن شا افطر وافتدا بالطعام ثم
نسخ الله تعالى ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وعلى
هذا القول معاذ بن جبل وانس بن مالك وسلمه بن الاكوع وابن عمر وعلقمة
وعمرو بن مرة وعكرمة والشعبى والزهرى وابراهيم والضحاك واحدى
الروايات عن ابن عباس وقال اخرون بل هذا خاص للشيخ الكبير
والعجوز الكبيرة الذين يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما رخص الله لهما
الفطر مع القدرة ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ الله ذلك
بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبت الرخصه للذين لا يطيقو ن
وهذا قول قتادة والربيع بن انس ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
وقال الحسن هذا فى المريض كان اذا وقع عليه اسم المرض وان كان
يستطيع الصيام فهو بالخيار ان شا صام وان شا اطعم وافطر حتى نسخ

ذلك فعلى هذه الاقوال الاية منسوخة وهو قول اكثر الفقها والمفسرين
وقال قوم لم ينسخ هذه الاية ولا شي منها وانما تاويل ذلك وعلى الذين
يطيقونه في حال شبابهم او في حال صحتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام
مساكين لان القوم كانوا قد رخص لهم في الافطار وهم على الصوم قادرون
اصمروا في الاية كانوا وقالوا هذه عبارة عن اول حالهم وجعلوا الاية
محكمة وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي واحدى الروايات عن ابن
عباس وهذه الاقوال على قراة من قرا يطيقونه من الاطاقة وهي القراة
الصحيحة التي عليها عامة اهل القران ومصاحف البلدان فاما من قرا
يطوقونه قالوا انهم الشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى بروه فهم يكلفون
الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا ويطعموا مكان كل يوم افطروه
مسكينا وقالوا الاية محكمة غير منسوخة والفدية الجزا والبدل من
قولك فديت هذا بهذا اي جزيته واعطيته بدلا منه يقال فديت فدية
كما يقال مشيت مشية وجلست جلسة فمن تطوع خيرا فزاد على مسكين
واحد واطعم مسكينين فصاعدا قاله مجاهد وعطا وطاوس والسدي
وقال بعضهم فمن زاد على القدر الواجب من الطعام فزاد الاطعام
رواه ابن جريج عن مجاهد وقال ابن شهاب يريد من صام مع الفدية
وجمع بين الصيام والطعام فهو خير له ٥ فصل اختلف العلما
في المرض الذي اباح الله معه الافطار فقال قوم يباح بكل ما يسمى مرضا
واليه ذهب داود لعموم الاية وقال اخرون هو كل مرض كان
الاغلب من امر صاحبه انه لو صام فيه لتاذى بالصوم وازداد مرضه فاذا
افطر خف عنه مرضه وهو اختيار الشافعي رحمه الله وقال الحسن وابراهيم
اذا لم يستطع المريض فعل الفرايض قايما افطر والاية محمولة على مرض يلحقه
بسبب الصوم مشقة بدليل قوله تعالى يريد الله بكم اليسر فاما ان كان
صحيح البدن الا انه غلبه العطش بحيث لو لم يفطر ادى الى هلاكه يباح
له الفطر واما السفر فقد قال داود يباح الافطار بكل سفر وقال

من

من عداه من العلما هو مقدر واختلفوا في تقديره فقال مالك والشافعي واحمد
اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة
ثلثة ايام اربعة وعشرين فرسخا وقال الاوزاعي اقله مرحلة يوم مسيرة ثمانية
فراسخ ٥ فصل اختلف العلما في صيام المسافر فقال قوم الافطار في
السفر عزيمة واجبة وليست برخصة فمن صام في السفر لم يصح صومه وعليه القضا
في الحضر وهو قول عمر وابي هريرة وابن عباس وعلي بن الحسين وعروة بن
الزبير والضحاك واهل الظاهر واستدلوا بقوله عليه السلام ليس من البر
الصوم في السفر ولقوله عليه السلام الصايم في السفر كالمفطر في الحضر
وقال قوم الفطر في السفر رخصة والفرض الصوم فمن صام ففرضه ادى
ولا قضا عليه ومن افطر فبالرخصة اخذ والقضا عليه في الحضر وهذا هو الصحيح
وعليه عامة الفقها يدل عليه ما روى عن جابر انه قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فمنا الصايم ومنا المفطر ولم يكن بعضنا يعيب على بعض
وقوله عليه السلام ليس من البر الصوم في السفر فان تمام الحديث يدل على
تاويله وهو انه عليه السلام مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الما فقال ما بال
صاحبكم هذا قالوا يا رسول الله هو صايم فقال عليه السلام ليس من البر
الصوم في السفر فعليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها والحديث الاخر
وهو قوله عليه السلام الصايم في السفر كالمفطر في الحضر انه مر برجل ينضح
الما على وجهه وهو صايم فقال افطر ويحك فاني اراك لو مت على هذا دخلت
النار ثم اختلفوا في المستحب منهما فقال قوم الصوم افضل
وهو قول معاذ وانس وابراهيم ومجاهد وقال اخرون المستحب
الافطار وقال قوم ان كان الصوم لا يجهده فالافضل له الصوم وان
كان الصوم يضعفه فالاولى له الفطر وبه قال مالك وابو حنيفة والشافعي
ويجوز للمسافر الفطر بالاكل والجماع الا ان الشرط ان يقصد به الرخص
وقال احمد لا يباح له الفطر بالجماع ولو افطر بالجماع وجب عليه
الكفارة ٥ فصل لا رخصة لاحد من المومنين البالغين في شهر رمضان

الاربعة احدهم عليه القضا والفدية وهو من فصر في قضا شهر رمضان حتى
دخل شهر رمضان اخر وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفه عليه القضا
دون الفديه والحامل والمرضع اذا خافتا على اولادهما افطرتا وعليهما القضا
والفدية وهذا قول بن عمر ومجاهد والصحيح من مذهب الشافعي وقال
بعضهم في الحامل والمرضع عليهما الفدية دون القضا وهو قول بن عباس
وقال قوم عليهما القضا ولا كفارة وهو قول ابراهيم والحسن وعطا
والضحاك ومذهب اهل العراق ومالك والاوزاعي والثاني عليه القضا
دون الكفارة وهو المريض والمسافر والحايض والنفسا والثالث عليه الكفارة
دون القضا وهو الشيخ الهرم ومن به مرض دايم اتصل بالموت وهذا قول
عامة الفقها وروي عن ربيعه ومالك انهما قالا في الشيخ اذا لم يستطع الصوم
فلا فدية عليه وهو قول الشافعي والرابع من لا قضا عليه ولا فدية كالمجنون ومن
راى غريقا مشرفا على الغرق وكان لا يتوصل الى انقاذه الا بالفطر فله الفطر
وفي لزوم الفدية وجهان والعاصي بالافطار يلزمه قضا يوم مكانه
وهل يلزمه الفدية مع القضا فيه وجهان وحكي عن ربيعه انه قال يقضي
مكان كل يوم اثني عشر يوما وحكي عن بن المسيب انه قال يصوم عن
كل يوم شهرا وقال ابراهيم النخعي يقضي بثلثة الف يوم وروي عن علي
وابن مسعود انهما قالا لا يقضي صوم الدهر وان صامه • **فصل**
اختلف العلما في حد الاطعام في فدية الصوم فقال بعضهم نصف صاع
عن كل يوم يفطر وهو قول اهل العراق وقال قوم منهم نصف صاع
من قمح او صاع من تمر او زبيب او ساير الحبوب وقال بعض الفقها ما كان
المفطر يقوته يومه الذي افطر وقال محمد بن الحنفيه يطعم مكان كل يوم
مدا لطعامه ومدا لادامه وقال بن عباس يعطي مسكينا واحدا عشاه
حين يفطر وسحوره حين يتسحر وقال بعضهم يطعم لكل يوم مسكينا
واحدا مدا وهو قول ابي هريرة وعطا ومحمد بن عمرو بن حزم والليث بن سعد
ومالك والشافعي وعامة فقها الحجاز • قوله تعالى شهر رمضان

قراة

قراة العامه رفع على معنى اتاكم شهر رمضان وقال الفرا ذلكم شهر رمضان
وقال الاخفش هو شهر رمضان وقال الكسائي كتب عليكم شهر
رمضان وقيل هو ابتدا وما بعده خبر وقرا الحسن ومجاهد وشهر بن حوشب
شهر رمضان نصبا على معنى صوموا شهر رمضان قاله المورج وقال الاخفش
نصب على الظرف اي كتب عليكم الصيام في شهر رمضان وقال ابو عبيده
نصب على الاغرا وقرا ابو عمرو شهر رمضان مدغما على مذهبه في ادغام كل
حرفين ملتقيان من جنس واحد او مخرج واحد طلبا للخفه وسمي الشهر شهرا
لشهرته قال الفرا هو ماخوذ من الشهرة وهي البياض ومنه يقال
شهرت السيف اذا سللته وشهر الهلال اذا طلع وجمعه في القلة اشهر
وفي الكثير شهور ورمضان لا ينصرف للتعريف وزيادة الالف والنون مثل
عثمان وسعدان واختلفوا في معنى قوله رمضان فقال بعضهم رمضان
اسم من اسما الله تعالى فيقال شهر رمضان كما يقال شهر الله ك وروى جعفر
الصادق عن اباية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شهر رمضان شهر الله وروى
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان انسبوه كما
نسبه الله في القران فقال شهر رمضان وقال الاصمعي قال ابو عمرو انما
سمي رمضان لانه رمضت فيه الفصال من الحر وقال غيره لان الحجارة
كانت ترمض فيه من الحرارة والرمضا الحجارة المحماة فسمي هذا الشهر رمضان لان
وجوب صومه وافق شدة الحر وقيل سمي بذلك لانه يرمض الذنوب
اي يحرقها وقيل لان القلوب تاخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في امر
الاخرة كما تاخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقال الخليل ماخوذ من
الرمض وهو مطر ياتي في الخريف فسمي هذا الشهر رمضان لانه يغسل الاثام
غسلا ويطهر قلوبهم تطهيرا وقالوا في جمعه رمضانات روى ابو سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان سيد الشهور واعظمها
حرمة ذي الحجه وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضر شهر رمضان
قال سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم قالها ثلثا فقال عمر بن الخطاب

يا رسول الله وحتى نزل ادعو وحضر قال لا ولكن الله يغفرها في اول ليلة من رمضان
لكل اهل هذه القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت
الشياطين رواه البخاري وعن ابن اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نوم الصايم عبادة وصمته تسبيح ودعاوه مجاب وعمله مضاعف
وقد روى مالك في الموطا يرفعه الى النبي عليه السلام قال من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وهذا يدل على انه يجوز ان يسمى
رمضان من غير ذكر الشهر قوله تعالى الذي انزل فيه القران
قال عطية الازرق لابن عباس قد وقع الشك في قوله شهر رمضان
الذي انزل فيه القران وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه
في ليلة مباركة وقد نزل في ساير الشهور قال تعالى وقرانا فرقناه الاية
وقال تعالى وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة
القدر من شهر رمضان فوقع في بيت العزة من سماء الدنيا ثم نزل به جبريل
على محمد عليه السلام نجوما فذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وعن
ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل صحف ابراهيم
في ثلث ليال مضين من شهر رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال
مضين من رمضان وانزل الانجيل في ثلث عشرة مضت من شهر رمضان
وانزل زبور داود في ثماني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وانزل الفرقان
على محمد عليه السلام في الرابع والعشرين لست بقين بعدها وعن واثلة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
الحديث وقال مجاهد والضحاك معناه انزل القران في فرض صيامه
كما يقول انزل الله في الزكاة كذا اي في فرض الزكاة وقيل معناه انزل في فضله
قران كما يقول انزل في عايشة قران في فضلها وقيل نزل في كل ليلة قدر ما
علم الله انه ينزله في طول السنة وقد سبق معنى القران في الفصل السادس
في اسماء القران قوله تعالى هدى للناس اي بيانا لهم وارشادا

وقيل

وقيل هو في معنى الحال اي هاديا للناس وقوله وبينات من الهدى جمع
بينة من بان الشيء يبين اي وضح والمعنى بينات من الحلال والحرام والحدود
والاحكام وقيل اي بينات وشواهد من الكتب المتقدمة التي هي هدى
وقد سمى الله الكتب المتقدمة التي هي التورية والانجيل هدى فقال
وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وقال ابن عباس
بينات من الهدى اي من الرشاد الى مرضات الله قوله تعالى
والفرقان اي فرق بين الحق والباطل وبين لكم ما تاتون وما تذرون قال
سعيد بن جبير المسيب خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم من
شعبان فقال يا ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم مبارك وشهر فيه ليلة خير
من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه
بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه
فريضة كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر
والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المومن وشهر
اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره عتق من النار من فطر فيه صايما
كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان
ينقص من اجره شيا قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يفطر الصايم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي هذا الثواب من فطر صايما على
مذقة لبن او تمرة او شربة ما ومن اشبع فيه صايما سقاه الله من حوضي
شربة لا يظما حتى يدخل الجنة وكان كمن اعتق رقبة ومن خفف عن
مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار واستكثروا فيه من اربع خصال
خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان
اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما
اللتان لا غنى بكم عنهما فتسالون الله الجنة وتعوذون به من النار
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اذن الله
للسموات والارض ان تتكلما لبشرتا من صام شهر رمضان بالجنة

قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قرأة العامة بجزم اللام
وقرا الحسن والاعرج فليصمه بكسر اللام وهي لام الامر وحقها الكسر اذا
افردت والشهود في اللغة الحضور ومفعول شهد محذوف لان المعنى
فمن شهد منكم البلد او بيته في الشهر وانتصاب الشهر على الظرف لا بالمفعول
به لان المقيم والمسافر يشهدان الشهر **فصل** اختلف الناس في معنى
هذه الاية وحكمها فقال بعضهم معناه فمن شهد عاقلا بالغا مقيما
صحيحا مكلفا فليصمه ولا يسقط صوم بقيته اذا جن فيه قاله ابو حنيفه
وقال قوم معناه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم
الشهر كله غاب بعد فسافر او اقام فلم يبرح قاله النخعي والسدي وقال
ثنا ان عليا كرم الله وجهه كان يقول اذا ادركه شهر رمضان
وهو مقيم ثم سافر فعليه الصوم وقال بن سيرين سالت عبيدة السلماني
عن الرجل يدركه شهر رمضان ثم يسافر فقال اذا شهدت اوله فصم اخره الا تراه
يقول فمن شهد منكم الشهر فليصمه قالوا والمستحب اذا ادركه شهر رمضان
وهو مقيم ان لا يسافر ان امكنه حتى يقضي الشهر وروي في ذلك عن ابراهيم
ابن طلحة انه جا الى عايشة رضي الله عنها فسلم عليها فقالت واين تريد قال
اريد العمرة قالت جلست حتى دخل شهر رمضان ثم خرجت فيه قال قد خرج
ثقلي قالت اجلس حتى اذا افطرت فاخرج فلو ادركني شهر رمضان وانا ببعض
الطريق لاقمت له وقال اخرون معنى الاية فمن شهد منكم الشهر
فليصم ما شهد منه وكان حاضرا وان سافر فله الافطار ان شا قاله بن عباس
وعامه اهل التاويل وهو اصح الاقوال يدل عليه ما روي عنه عليه السلام
انه خرج عام الفتح صايما في شهر رمضان حتى اذا كان بالكديد افطر
فان قيل ما الفايدة في اعادة ذكر المرض والسفر وقد تقدم ذكره قلنا
فايدته ان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المقيم والمسافر والمريض
ونسخ في الثانية تخيير المقيم بقوله فليصمه فلو اقتصر على هذا احتمل ان
يعود النسخ الى الخيير الجميع فاعاد بعد النسخ ترخص المسافر والمريض

ليعلم

ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

ليعلم انه باق على ما ذكرناه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر حين
رخص الافطار للمريض والمسافر وقيل يريد الله بكم الخير فيما يامركم به
وقد سمى الله اعمال الخير اليسرى فقال فسنيسره لليسرى واليسر من
السهوله ومنه اليسار للغنى وسميت اليد اليسرى تفاؤلا ولانه يسهل
الامور معاونتها لليمنى قوله تعالى ولا يريد بكم العسر قرا
بعضهم اليسر والعسر مثقلين في جميع القران وقرا الباقون بتخفيفهما
وهما لغتان والمعنى يريد خلاف العسر فهو بمعنى قوله يريد بكم اليسر
فكررنا كيدا واذا كانت ارادته واحده لحقها الاثبات والاخرى فيها
النفي الا بالمعنى الذي ذكرناه قالوا ولا حجة للقدرية في هذه الاية
لانها مبنيه على اول الكلام في احكام الصيام فهو خاص في الاحكام
لاهل الاسلام قال الشعبي اذا اختلف عليكم امران فان ايسرهما
اقربهما الى الحق لان الله تعالى يقول يريد الله بكم اليسر الاية وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا في المسجد يطيل الصلاة
فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله رضي لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر
قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر قوله تعالى
ولتكملوا العدة قرا ابو بكر بتشديد الميم وقرا الباقون بالتخفيف
لقوله اكملت لكم دينكم وهو معطوف على اليسر لان التقدير ولان تكملوا
العدة واللام على هذا زايدة كقوله تعالى ولكن يريد ليطهركم وقال
الزجاج فعل ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة وقال عطا
لتكملوا عدة الشهر وقال ساير المفسرين ولتكملوا عدة ما
افطرتم في مرضكم وسفركم اذا برأتم واقمتم فقضيتموها وقال بعضهم
المراد به لا تزيدوا على ما افترضت عليكم كما فعلت النصارى ولا تنقلوه
عن زمانه كما نقلته قوله تعالى ولتكبروا الله على ما
هداكم قال بن عباس لتعظموا الله على ما ارشدكم له من شرايع
الدين ووفقكم ورزقكم شهر رمضان وخصكم به دون ساير الملل

وقال اكثر العلما اراد به التكبير من ليلة الفطر وكان عروة وسعيد بن
المسيب وابو سلمه يجهرون بالتكبير ليلة الفطر لقوله تعالى ولتكبروا الله على
ما هداكم قال ابن عباس وزيد بن اسلم حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال
ان يكبروا الى ان يخرج الامام في الطريق والمسجد فاذا حضر الامام كف فلا يكبر
الا بتكبيره والاحتياط في لفظ التكبير بيّنا سلفا قوله تعالى ولعلكم
تشكرون اي تشكرون الله على هدايته لكم وعلى ما انعم به من ثواب
طاعتكم قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب الاية
اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية فقال ابن عباس نزلت في
عمر بن الخطاب واصحابه حين اصابوا من اهليهم في ليالي شهر رمضان سالوا
كيف التوبه مما عملوا فنزلت هذه الايه وقيل ان يهود المدينه قالوا يا محمد كيف
يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما سبع سموات غلظ كل
سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وقال الحسن
سال الصحابه رسول الله اين ربنا فنزلت هذه الاية وقال قتادة وعطا لما
نزلت هذه الاية وقال ربكم ادعوني استجب لكم قال رجل يا رسول الله كيف
ندعوا ربنا ومتى ندعوا ربنا فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك سال
الصحابه النبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
هذه الاية قال اهل المعاني فيه اضمار كانه قال فقل لهم او فاعلمهم اني
قريب منهم بالعلم كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وقال
تعالى وهو معكم اينما كنتم يريد بالعلم وقيل قريب من الاوليا بالافضال
والنعمه وقيل قريب الاجابه ومن سماع الدعا قوله تعالى
اجيب دعوة الداعي اذا دعاني في اجيب قولان احدهما اسمع دعوة الداعي
فعبر عن السماع بالاجابة لان السماع مقدمة الاجابة قاله الفرا والثاني
اراد اجابه الداعي الى ما سال اما في الدنيا واما في الاخرة قاله السدي
قوله فليستجيبوا لي وانا ادعوا العبد الى العبادة فليستجب لي
اجاب واستجاب بمعنى واحد قال كعب بن سعد الغنوي

وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اراد فلم يجبه **والاجابه** في اللغة الطاعه واعطا ما سئل يقال اجابت
السما بالمطر واجابت الارض بالنبات وسالت الارض النبات فاعطيت
كان الارض سالت السما المطر فاعطت قوله تعالى وليؤمنوا بي
اي فصدقوا وعدي قوله تعالى لعلهم يرشدون اي لتكونوا على
رجا من اصابة الرشد وهو نقيض الغي والرشيد هو المهتدي لمصالح دينه
ودنياه يقال رشد يرشد مثل حمد يحمد ورشد يرشد مثل نصر ينصر
اي اصاب الرشد فان قيل هذه الاية تدل على ان الله تعالى يجيب ادعية
الداعين فكذا قوله ادعوني استجب لكم ونرى كثيرا من الداعين لا يستجاب
لهم قلنا قال بعضهم معنى الدعا ها هنا الطاعه ومعنى الاجابة الثواب
كانه قال اجيب دعوة الداعي بالثواب اذا اطاعني **جواب اخر**
ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما وتقديرهما اجيب دعوة
الداعي اذا وافق القضا واجيب دعوة الداعي اذا لم يسل محالا واجيب
دعوة الداعي اذا كانت الاجابه له خيرا يدل عليه ما روى ابو سعيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم دعا الله عز وجل
بدعوة ليس فيها قطيعه رحم ولا اثم الا اعطا الله بها احدى خصال
ثلث اما ان يعجل دعوته واما ان يدخرله في الاخرة واما ان يدفع عنه
من السو مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله اكثر جواب
اخر ان الاية وان كانت عامه فليس فيها اكثر من اجابة الدعوة اما اعطا
الامنيه وقضا الحاجة فليس بمذكور في الاية وقد يجيب السيد عبده والوالد
ولده ثم لا يعطيه سوله فالاجابه كاينه لا محاله عند حصول الدعوة لان قوله
اجيب واستجيب خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ لانه اذا نسخ صار المخبر
كاذبا وتعالى الله عن ذلك ودليل هذا التاويل ما روى ابن عمر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فتح له باب في الدعا فتحت له
ابواب الاجابه واوحى الله تعالى الى داود قل للظلمه لا تدعوني فاني اوجبت

على نفسي ان اجيب من دعاني واني اذا اجبت الظالمين لعنتهم جواب
اخر ان الله يجيب دعا المومن في الوقت الا انه ياخر عطا مراد ليدعوه فيسمع
صوته يدل عليه ما روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان العبد ليدعوا الله وهو يحبه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته
واخرها فاني احب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد يدعوا الله وهو يبغضه
فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته باخلاصه وعجلها فاني اكره ان
اسمع صوته جواب اخر ان الدعا مفتقر الى اداب وشرايط هي سبب
الاجابه ونيل المنيه فمن راعاها واستكملها كان من اهل الاجابة
ومن اغفلها واخل بها فهو من اهل الاعتدا في الدعا اصلها الطاعة لله
ومنها اكل الحلال فان اكل الحرام يمنع اجابة الدعوة ومنها
حضور القلب ففي بعض الحديث لا يقبل الله دعا من قلب غافل لاه وحكي
عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قيل له ما بالنا ندعوا الله فلا يستجاب لنا
قال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم
القران فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة
فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه
ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا
بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس جواب اخر هو ان
الداعي يقصد المصلحة في اجابته الى ما سال وقد لا يكون المصلحة في ذلك
فيجاب الى مقصوده الاصلي وهو طلب المصلحة وقد تكون المصلحة في التاخير
او في المنع قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم الاية
وقرى احل قال المفسرون كان الرجل في ابتدا الامر اذا دخل وقت
الافطار حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد
قبلها فاذا صلى العشا الاخرة او رقد قبل الصلوة ولم يفطر حرم عليه الطعام
والشراب والنسا الى مثلها من القابلة ثم ان ناسا من المسلمين اصابوا من الطعام
والنسا في شهر رمضان بعد العشا منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع اهله

الحرام

بعد

بعد ما صلى العشا الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي
هذه الخاطية اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا الاخرة فوجدت
رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فهل تجد لي من رخصة
فنزلت في عمر واهله هذه الاية وفرح المسلمون بها وقوله احل اي اطلق
وابيح لكم ليلة الصيام الرفث وليله ظرف لاحل ولا يجوز ان يكون ظرفا
للرفث من جهة الاعراب لانه مصدر والمصدر لا يتقدم عليه معموله
وقرا ابن مسعود والاعمش الرفوث والرفث والرفوث كناية عن الجماع
قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني بما شا فما ذكر الله في القران
من المباشرة والملامسة والافضا والدخول والرفث فانما يعني به الجماع
وقال القتيبي الرفث هو الافصاح بما يجب ان يكنى به من ذكر النكاح
واصله الفحش والقول القبيح وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة
لكل ما يريده الرجال من النسا قال الاخفش انما عداه بالى لانه
بمعنى الافضا اي احل لكم الافضا الى نسايكم وقيل الى بمعنى مع اي مع
نسايكم قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن اصل
اللباس ما يلبسه الانسان مما يواري جسده ثم المراة تسمى لباس الرجل
والرجل لباس المراة لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه
حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا
يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا للاخر قال الربيع
هن فراش لكم وانتم لحاف لهن والمفسرون يقولون هن سكن لكم وانتم سكن
لهن وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة قال تعالى وجعلنا الليل
لباسا اي سكنا ودليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها
فمن فضل الله تعالى انه رخص في اتيانهن في الصوم قوله تعالى
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم يقال خانه واختانه اذا لم يف له والمعنى
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بالمعصية اي لا تودون الامانة في الامتناع

لباس صح

عن المباشرة بعد عشاء الاخرة في ليالي الصوم ومن عصى الله فقد خان نفسه
اذ جلب اليها العقاب قوله فتاب عليكم اي تجاوز عنكم قوله
وعفا عنكم اي محا ذنوبكم ولم يعاقبكم بما فعلتم وقيل علم الله وقوع هذا
منكم فتاب عليكم بعد ما وقع وقيل علم الله انه سيقع هذا لو دام هذا الحكم
فرفعه عنكم وسماه توبة وعفوا كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم
اي خفف عنكم قوله فالان حقيقة الان الوقت الذي انت فيه
وقد يقع على الماضي القريب منك وعلى المستقبل القريب وقوعه تنزيلا
للقريب منزلة الحاضر وهو المراد هنا لان قوله فالان باشروهن اي فالوقت
الذي يحرم عليكم الجماع فيه من الليل قد احللناه لكم فيه فعلى هذا لان ظرف
لباشروهن وقيل الكلام محمول على المعنى والتقدير فالان احللنا لكم ان
تباشروهن ودل على المحذوف لفظ الامر الذي يراد به الاباحة فعلى هذا
الان على حقيقته والمباشرة المجامعة لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه
وابتغوا ما كتب الله لكم وقرا معاذ بن جبل واتبعوا من الاتباع وقرا الاعمش
واتوا ما كتب الله اي افعلوه وقرا العامة الصحيحة وابتغوا اي اطلبوا يقال
بغى الشيء يبغيه بغيا وبغية وابتغاه يبتغيه ابتغاء اذا طلبه وقوله
ما كتب الله لكم اي ما قضى لكم من الولد هذا قول اكثر المفسرين وقيل ما
كتب في اللوح المحفوظ وقال بن زيد وابتغوا ما كتب الله اي ما احل الله
لكم من الجماع وقال قتادة فابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم وقال
معاذ بن جبل يعني ليلة القدر وكذلك روى ابو الجوزاء عن بن عباس
واشبه الاقاويل بظاهر الاية قول من تاوله على الولد لانه عقيب قوله
فالان باشروهن وهو امر اباحة وندب وقال اهل الظاهر هو امر
ايجاب وحتم قوله تعالى وكلوا واشربوا امر اباحة حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا ببياض
النهار وسواد الليل عن عدي بن حاتم قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اني
وضعت تحت راسي خيطين فلم يتبين لي شيء قال انك لعريض الوساد

قوله تعالى مع

انما ذاك الليل من النهار والنهار من الليل رواه مسلم قال سهل بن
سعد كان الرجل اذا اراد الصوم ربط خيطين في رجليه ابيض واسود فلا
يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له زيهما فانزل الله من الفجر فعلموا انه
يعني الليل والنهار روى عن حذيفة بن اليمان ان الخيط الابيض ضوء الشمس
وروى نحوه عن علي وابن مسعود وهذا قول انعقد الاجماع على خلافه
وانما سميا بذلك تشبيها بالخيط لابتداء الضوء والظلمة وامتدادهما وتقديره
حتى يتبين الخيط الابيض من الفجر من الخيط الاسود من الليل والفجر
اشتقاق عمود الصبح وابتداء ضوءه وهو مصدر فجر الماء يفجر فجرا اذا انبعث
وجرى والفجر فجران احدهما يسطع في السماء مستطيلا كذنب السرحان فلا
ينتشر وهو الفجر الكاذب الذي يحل فيه الطعام والشراب ولا يحل فيه
صلاة الصبح والثاني وهو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الافق وهو الفجر
الصادق الذي تحل الصلاة ويحرم الاكل والشرب على الصائم وهو المعنى
بهذه الاية قال صلى الله عليه وسلم لا يمنعكم من السحور اذان بلال ولا الصبح
المستطيل ولكن الصبح المستطير في الافق ثم ذكر وقت الافطار فقال
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبريل عليه السلام فقال قبلت مواصلتك ولا تحل لامتك من
بعدك فان الله قال ثم اتموا الصيام الى الليل فلا صيام بعد الليل
والليل لا يدخل في مدة الصوم وقوله الى المرافق يدخل المرفق فيه
لان الى بمعنى مع والى هاهنا للتحديد وقد قال عليه السلام اذا اقبل
الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا وغابت الشمس فقد افطر
الصائم وفي بعض الالفاظ اكل اولم ياكل قوله تعالى
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وكان مجاهد يقرا في المسجد
اصل العكوف والاعتكاف الثبات والاقامة يقال عكفت بالمكان
اذا اقمت به قال تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقيمون
والاعتكاف هو حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى والخلف

العلماء في معنى المباشرة التي نهي المعتكف عنها فقال قوم هي المجامعة خاصه
معناه ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجد فان الاعتكاف
يفسده الجماع قاله ابن عباس وعطاء والضحاك وقال قتاده ومقاتل
والكلبي هذه الاية نزلت في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى اهله
خرج اليها فجامعها ثم يغتسل ويرجع الى المسجد فنهوا ان يجامعوا نساهم
ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم وقال ابن زيد المباشرة
الجماع وغير الجماع من اللمس والقبلة وانواع التلذذ والجماع مفسد
للاعتكاف بالاجماع واما المباشرة بغير الجماع فهو على ضربين
ضرب يقصد به التلذذ بالمراة فهو مكروه ولا يفسد به الاعتكاف
عند اكثر الفقها وقال مالك بن انس يفسده والضرب الثاني
لا يقصد التلذذ بالمراة وهو مباح كما جا في خبر عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل راسه اليها من المسجد فترجله
وهو معتكف ولا يصح اعتكاف الرجل والمراة الا في المسجد وللشافعي
قول قديم انه يصح اعتكاف المراة في مسجد بيتها ومسجد بيتها هو الموضع
الذي تتخذه لصلاتها من بيتها وقال ابو حنيفه اعتكافها في
مسجد بيتها افضل من مسجد الحي والافضل ان يعتكف في المسجد
الجامع وحكي عن حذيفه انه قال لا يصح الاعتكاف الا في ثلث
مساجد المسجد الحرام والاقصى ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الزهري لا يصح الاعتكاف الا في مساجد الجماعات
وقال ابو حنيفه واحمد لا يصح الاعتكاف الا في مسجد يقام
فيه الجماعة ويصح الاعتكاف بغير صوم وقال ابو حنيفه ومالك
لا يصح الاعتكاف بغير صوم وعند احمد روايتان وروى علي بن
الحسين عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف
عشرا في شهر رمضان كان كحجتين وعمرتين قوله تعالى تلك

حدود

حدود الله اشارة الى الاحكام التي ذكرها في هذه الاية وحدود الله
ما منع الله من مخالفتها ومعنى الحد في اللغة المنع ومنه قيل للوارث
حداد لمنعه الناس من الدخول الا باذن ومنه حدود الدار والارض ما
يمنع غيرها ان يدخل فيها وسمي الحديد حديدا لانه يمتنع به من الاعدا
ويقال حدت المراة على زوجها واحدت اذا منعت نفسها من الزينة
قوله تعالى فلا تقربوها اي لا تجاوزوها ودخول الفا هنا
عاطفة على شي محذوف تقديره تنبهوا فلا تقربوها قوله تعالى
كذلك يبين الله اياته للناس اي كما بين هذه الحدود يبين جميع الاحكام
ليتقوا مجاوزتها وهو معنى قوله لعلهم يتقون قوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية ذكر الله تعالى امرا شاع في اليهود
وهو اخذ حكامهم الرشى ليغيروا الاحكام وقيل نزلت الاية في عبدان
ابن اشوع الحضرمي ادعى ارضا على امرى القيس الكندي واختصما الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانكر امرو القيس فنزلت هذه الاية فحكم
عبدان في ارضه ولم يخاصمه والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض
من غير الوجه الذي اباحه الله تعالى واصل الباطل الشي الذاهب
الزايل ومن الاكل بالباطل ان يقضي لك القاضي بمال وانت
تعلم انك مبطل فالحرام لا يصير حلالا بقضا القاضي لانه انما يقضي
بالظاهر وهذا اجماع في الاموال وان كان عند ابي حنيفه قضاوه
ينفذ باطنا في الفروج فاذا كان قضا القاضي لا يغير حكم الباطن
في الاموال ففي الفروج والدما اولى روى ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انما انا بشر مثلكم ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له فمن قضيت له من حق اخيه بشي
فانما اقطع له قطعة من النار وبينكم يجوز ان يكون ظرفا لتاكلوا لان
المعنى لا تتناقلوها فيما بينكم ويجوز ان يكون حالا من الاموال اي
كاينة بينكم او دايرة بينكم وخص الاكل بالذكر لانه المراد من الاموال

غائبا قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام اصل الادلا ارسال
الدلو في البير يقال ادلى دلوه اذا ارسلها قال تعالى فادلى دلوه
ودلاها يدلوها اذا اخرجها ثم جعل كل القاء قول وفعل ادلا ومنه
ادلى بحجته اي ارسلها وتعلق بها في خصومته كتعلق المستقي بدلو
قد ارسلها ويقال فلان يدلي الى الميت بقرابة او رحم واختلف النحاة
في محل قوله وتدلوا فقال بعضهم هو مجزوم على النهي اي لا تاكلوا ولا
تدلوا وكذلك هي في حرف ابي ما اثبات لا وقيل هو نصب على الصرف
كقوله الشاعر

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقيل نصب باضمار ان الحقيقة وقال الاخفش نصب على الجواب
بالواو ۞ وقوله الى الحكام اي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم
لتقتطعوا حقا لغيركم ۞ قوله تعالى وانتم تعلمون انه لا يحل لكم
وانما اعاد ذكر الاكل لانه وصل اللفظة الاولى بالباطل والثانية
بالاثم فاعادها للزيادة في المعنى ذكره ابن الانباري ۞ قوله تعالى
يسلونك عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة الانصاريين
قالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى
يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزلت هذه الاية
والاهلة جمع هلال واشتقاق الهلال من قولهم استهل الصبي
اذا خرج حين يولد واهل القوم بالحج والعمرة اذا رفعوا اصواتهم
بالتلبية فسمي هلالا لانه حين يرى يهل الناس بذكر الله تعالى
قوله تعالى قل هي مواقيت جمع ميقات وهو الزمان المحدود
للشي ومواقيت لا ينصرف لانها غاية الجموع فصار كان الجمع يتكرر فيها
وصرفت قوارير في قوله تعالى قواريرا لانها وقعت في راس اية فنونت
كما تنون القوافي فليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تمكين الاسم
قوله تعالى والحج هو معطوف على الناس بين الله تعالى وجه

الحكمة

الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف احواله واعلم انه فعل ذلك
ليعلم الناس اوقاتهم في حجهم وعمرتهم ومحل ديونهم وعدد نسائهم ووقت
الصوم والافطار وغير ذلك فهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة
على حالة واحدة واحصا الاهلة ايسر من احصا الايام وافرد الحج بالذكر لانه
مما يحتاج فيه الى معرفة الوقت والاحرام بالحج تتقيد بوقت معلوم في الشرع
وكم سمي الهلال على هذه التسمية فيه خلاف سبق ذكره قوله تعالى
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها لا اختلاف في رفع البر هنا لان
خبر ليس بان تاتوا الزم ذلك بدخول البا فيه وليس كذلك ليس البر ان تولوا
اذا لم تقترن باحدهما ما بعينه اسما او خبرا قال المفسرون كان الناس في
الجاهلية وفي الاسلام اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم يدخل حائطا
ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدن نقب نقبا في ظهر بيته
يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخيمة ولا يدخل من الباب ولا يخرج منه حتى يخرج من احرامه
ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة
وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معوية سموا حمسا
لشدتهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رجل من الانصار
يقال له رفاعة من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقالوا هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم قال رايتك دخلت فدخلت
على اثرك فقال عليه السلام اني احمس فقال الرجل ان كنت احمس فاني
احمس ديننا واحد رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله هذه
الاية وقيل عنى بالبيوت النسا سموا بيوتا للايوا اليهن كالايوا الى
البيوت ومعناه لا تاتوا النسا من حيث لا يحل واتوهن من حيث يحل
من قبلهن حكاه الماوردي والقشيري وقال ابو عبيدة اي ليس البر
بان تطلبوا الخير من غير اهله فاطلبوا الخير من وجهه واتوا الامر من بابه
وفي الخبر الا فاجملوا في الطلب وقال الحسن كانوا يتطيرون فمن

فمن سافر ولم تحصل حاجته كان يأتي بيته من وراء ظهره فقيل لهم
ليس في البر تطير بل البر ان يتقي ويتوكل عليه وفي الخبر لا عدوى ولا
طيرة وقال من رده عن سفر تطير فقد اشرك وكان عليه السلام يحب
الفال ويكره الطيرة وقد ذم الله المتطيرين فقال تعالى وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك واختلفوا
في البيوت واخواتها فقرء بضم اولها وكسره فمن ضم فهو الاصل لان فعلا
يجمع على فعول ومن كسر فلاجل موافقة اليا فان الكسرة اشد موافقة للياء
من الضمة ه قولــــه ولكن البر من اتقى المعنى ولكن البر بر من اتقى كقوله ولكن
البر من امن بالله وقد سبق قوله واتوا البيوت من ابوابها اي في حال الاحرام
واتقوا الله لعلكم تفلحون فان قيل فما وجه اتصال هذا بذكر الاهلة
حتى جمع بينهما في اية واحدة قلنا كانه قيل لهم عند استفسارهم عن الاهلة
والحكمة في نقصانها انّ الله لا يفعل شيئا الا لحكمة فدعوا السؤال
عنه وانظروا الى واحدة تفعلونها وليست من البر في شيء وتحسبونها برا
ويجوز ان يقال لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر امرا يتعلق بالحج وهو
الدخول في الاحرام من ظهور البيوت ه قولــــه تعالى وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم اي في دين الله وطاعته قــــال الربيع بن
انس وعبد الرحمن بن زيد هذه اول اية نزلت في القتال فلما نزلت
كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن يكف عنه حتى نزل
قوله تعالى اقتلوا المشركين فنسخت هذه الاية وقيل اول اية نزلت في
اباحته اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قاله ابو بكر الصديق وابن عباس
وسعيد بن جبير والزهري ه قولــــه تعالى ولا تعتدوا اي لا تبدأوهم
ولا تفاجأوهم بالقتال قبل تقدم الدعوة وقــــال بعضهم هذه الاية محكمة
امر فيها رسول الله بالقتال ولم ينسخ شيء من حكم هذه الاية قالوا ومعنى
قوله ولا تعتدوا اي ولا تقتلوا النساء والصبيان ولا من القى اليكم السلم
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقــــال الحسن ولا تعتدوا اي ولا تأتوا

ما نهيتم

ما نهيتم عنه ه قولــــه تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث
وجدتموهم يقال ثقفنا فلانا في موضع كذا اي اخذناه واصل الثقافة
الحذق والبصر بالامر يقال رجل ثقيف لقف اذا كان جادا في الحرب
بصيرا بمواضعه ه قولــــه تعالى واخرجوهم من حيث اخرجوكم
يعني مكة ه قولــــه تعالى والفتنة اشد من القتل يعني
شركهم بالله اعظم من قتلهم اياهم وانما سمي الشرك فتنة لانه يؤدي الى
الهلاك كالفتنة هذا قول اكثر المفسرين وقــــال الكسائي الفتنة
ههنا العذاب وكانوا يعذبون من اسلم ه قولــــه تعالى
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وقرا حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم بغير الف من القتل على معنى لا تقتلوا بعضهم يقول
العرب قتلنا بني تميم وانما قتلوا بعضهم لفظه عام ومعناه خاص
وقرا الباقون بالالف من القتال واختلفوا في حكم هذه الايات
فقــــال قوم هي منسوخة نهوا عن الابتداء بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وهذا قول قتادة والربيع وقال مقاتل بن
حيان واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث ادركتموهم في الحل والحرم
ولما نزلت هذه الاية نسخها قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
نسختها اية السيف في براءة فهي ناسخة ومنسوخة وقــــال اخرون هذه
الاية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم وهو قول مجاهد
واكثر المفسرين ه قولــــه تعالى كذلك جزاء الكافرين معناه
ان يقتلوا حيث ما وجدوا ه قولــــه تعالى فان انتهوا اي عن
الكفر واسلموا فان الله غفور رحيم غفور لذنوبهم السالفة رحيم بعباده
قولــــه تعالى فان انتهوا اي عن الكفر وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة اي شرك والمعنى قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك
الوثني جزية ولا يقبل منه الا الاسلام وليسوا كاهل الكتاب
الذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة فيه على ما قال المفضل مع اهل

ان صح

الكتاب كتبا منزله فيها الحق وان كان قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى
كرامه لتلك الكتب وانظرهم باخذ الجزيه ليتدبروا الكتب فيقفوا على
الحق فيتبعوه كفعل مؤمني اهل الكتاب ولم يكن لاهل الاوثان ما
يرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم فابى الله تعالى ان يرضى
منهم الا بالاسلام او القتل عليه قوله تعالى ويكون الدين
اي الطاعة لله وحده فلا يعبد دونه شي قوله تعالى فان
انتهوا اي عن الكفر واسلموا فلا عدوان اي لا نهب ولا قتل ولا اسر ق
الا على الظالمين اي الكافرين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها
وسمى ما عليهم عدوانا لان ما يكون منهم من الكفر عدوانا فسمى جزا
ذلك عدوانا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقوله تعالى فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او سمى عذاب
الاخرة عدوانا لمجاوزته عذاب الدنيا قوله تعالى الشهر الحرام
بالشهر الحرام نزلت هذه الاية على سبب وفيه قولان احدهما انها نزلت في
عمرة القضا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل مكة
عام الحديبية على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل على ان
يخلوا له مكة ثلثة ايام فيدخلها هو واصحابه ويعتمرون ويطوفون
على ان لا يدخلها بسلاح الا الراكب في غمده ولا يخرجون باحد من مكة
فانصرف عليه السلام عامه ذلك ورجع العام القابل في ذي القعدة
ودخلوا مكة واعتمروا وطافوا ونحروا واقاموا ثلثة ايام فانزل الله الشهر
الحرام بالشهر الحرام يعني ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم
وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت
ومنعتم من مرادكم في سنة ست وهو من الاشهر الحرم وسمى بذلك لقعود
العرب فيه عن القتل لحرمته والى هذا ذهب بن عباس ومجاهد وعطا
وابو العاليه والقول الثاني ان مشركي العرب قالوا للنبي عليه السلام
انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وارادوا ان يغيروه في الشهر الحرام

فقاتلوه

فقاتلوه فيه فنزلت هذه الاية يقول ان استحلوا منكم شيئا في الشهر الحرام
فاستحلوا منهم مثله هذا قول الحسن قال الزجاج الشهر الحرام اي
قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام والشهر مرفوع بالابتدا وخبره قوله
بالشهر الحرام قوله تعالى والحرمات جمع حرمة وهو ما يجب
حفظه وترك انتهاكه وانما جمع الحرمات لانه اراد الشهر الحرام والبلد
الحرام وحرمة الاحرام قوله تعالى قصاص قال بن عباس
ان انتهكوا لكم حرمة فانتهكوا منهم مثل ذلك اعلم الله ان امر هذه الحرمات
لا يجوز للمسلمين الا قصاصا ثم نسخ ذلك باية السيف قوله تعالى
فمن اعتدى عليكم اي ظلم فقاتل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه واعلموا ان الله مع المتقين
بالعون والنصر قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله كل
ما امر الله به من الخير فهو في سبيل الله واكثر ما استعمل في الجهاد
انح والسبيل في اللغة الطريق وسبب نزولها ان الانصار كانوا ينفقون
ويتصدقون فاصابتهم سنة فامسكوا قاله الضحاك قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة في الباء قولان احدهما انها زايدة كقوله
تعالى تنبت بالدهن تقديره ولا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد
بالايدي هاهنا النفس فعبر بالبعض عن الكل كقوله تعالى
ذلك بما قدمت يداك وقوله بما كسبت ايديكم والعرب لا تقول القى بيده
الا في الشر والقول الثاني ان الباء غير زايدة وتقديره ولا تلقوا
انفسكم بايديكم الى التهلكة واختاره المبرد والتهلكة الهلاك
يقال هلك يهلك هلاكا وهلكا وهلكا وتهلكة ومعنى
الهلاك الضياع والمعنى لا تقربوا ما يهلككم وفي المراد بالتهلكة
خمسة اقوال احدها انها البخل وترك النفقة في سبيل الله فتهلكوا
بالاثم قاله بن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك
وابن كيسان والثاني انه القعود عن الغزو شغلا بالمال قاله ابو ايوب

الانصاري والثالث انه القنوط من رحمة الله عند ارتكاب المعاصي
وترك التوبة قاله البرا ابن عازب والنعمان بن بشير والرابع لا تخرجوا
بغير زاد فتهلكوا بالضعف قاله زيد بن اسلم والخامس انه عام في جميع
ذلك قاله ابو جعفر الطبري ○ قوله واحسنوا ان الله يحب المحسنين
قيل معناه احسنوا الظن بالله روى انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله
فان حسن الظن ثمن الجنة وهذا قول عكرمة وسفيان وقيل معناه
الاحسان في ادا الفرايض وروى عن ابي اسحق وعلى قول ابي ايوب
واحسنوا اي جاهدوا والمجاهد محسن وقال زيد بن اسلم عودوا بالاحسان
على من ليس بيده شي ○ قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قرا ابن
ابي اسحق الحج بكسر الحا في جميع القران وهي لغة تميم وقيس بن عيلان
وحكي عن طلحة بن مصرف بالكسر هاهنا وفي سورة ال عمران وبالفتح
في ساير القران وحكي عن اهل الكوفة بالكسر في ال عمران لا غير وقرا
الباقون بالفتح في جميع القران وهي لغة اهل الحجاز قال الكسايي
هما لغتان ليس بينهما في المعنى شي وقال ابو معاذ الحج بالفتح المصدر
وبالكسر الاسم مثل قسم وقسم وشرب وشرب وفي مصحف عبد الله واتموا
الحج والعمرة الى البيت وقرا علقمة واقيموا الحج والعمرة والجمهور على نصب
العمرة ويقرا بالرفع على الابتدا واختلف المفسرون في اتمامهما فقال
بعضهم معناه اتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول
ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وقال علي وابن مسعود اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقال الضحاك اتمامهما ان يكون النفقة
حلالا وينتهي عن ما نهى الله عنه وقال سفين تمامهما ان تخرج
من اهلك ما تريد غيرهما وقال قتادة والقسم بن محمد اتمام العمرة ان تحرم في
غير الاشهر الحرم واتمام الحج ان ياتي بجميع مناسكه حتى لا يلزم دم بجبران
نقص وقال الشعبي وابو بردة وابن زيد ومسروق اتمامهما واجب

بالدخول

بالدخول فيهما وهذا على راي من لم يوجب العمرة فان من احرم
بنسك وجب عليه المضي فيه ○ فصل فرايض الحج اربعة
الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والسعي بين الصفا
والمروة واعمال العمرة كلها اربعة فرض الاحرام والطواف
والسعي والحلق والتقصير واقله ثلث شعرات واختلف العلما
في العمرة فقال قوم هي سنة وهو مذهب اهل العراق ومالك بن انس
وابي ثور وقول الشافعي في القديم واختيار محمد بن جرير الطبري واحتجوا
بقراة الشعبي واتموا الحج والعمرة لله رفعا وسيل عليه السلام عن
العمرة اواجبة هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم وفي خبر اخر الحج فريضة
والعمرة تطوع وقالوا ايضا لما ذكر الله فرض الحج لم يذكر معه العمرة
فقال تعالى ولله على الناس حج البيت وقال اخرون العمرة فرض وهي
الحج الاصغر وهو قول علي وابن عباس وزيد بن ثابت وعطا وقتادة
وسفين الثوري وابن عيينة وقول الشافعي في الجديد ومذهب احمد
واسحق واحتجوا بقراة العامة والعمرة نصبا على معنى واتموا فرض
الحج والعمرة وبقوله عليه السلام دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة
ومن قال العمرة سنة تاول الاية على معنى اتموها اذا دخلتم فيهما
ولم يرد ابتدا الدخول فيهما ودليل هذا التاويل قوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم لم يرد به الابتدا وانما اراد به اتمام ما
مضى من العهد ومن اوجب العمرة تاول الاتمام على معنى الابتدا
والالزام اي ائتوها وافعلوها يدل عليه قوله تعالى واذ ابتلى
ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن اي فعلهن واقام بهن وقوله
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اي ابتدوا الصيام والمنوع
لانه ذكر عقيب الاكل والشرب ○ قوله تعالى
فان احصرتم اي حبستم ومنعتم واختلف العلما في هذا
الاحصار فقيل هو كل حابس ومانع منع المحرم وحبسه

عن العمل الذي فرضه الله عليه في احرامه ووصوله الى البيت اى شي
كان من مرض او جراح او كسر او خوف او عدو او ذهاب نفقة او ضلال
راحلة او غيرها من الاعذار فانه يقيم مكانه على احرامه ويبعث
بهديه او بثمن الهدي فاذا نحر الهدي فقد حل من احرامه وهذا قول
النخعي والحسن ومجاهد وعطا وقتادة وعروة بن الزبير ومقاتل
والكلبي ومذهب اهل العراق واحتجوا بان الاحصار في كلام العرب
هو منع العلة من المرض واشباهه غير القهر والغلبة فاما منع العدو
والحبس والقهر من سلطان فان ذلك حصر لا احصار كذا قال الكسائي
وابو عبيدة والفراء لو اما كان من مرض وذهاب نفقة قيل منه
احصر وما كان من حبس عدو او سجن قيل منه حصر فهو محصور
يدل عليه قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى لو انما
جعلنا حبس العدو احصارا قياسا على المرض اذ كان في حكمه
لا بدلالة الظاهر وقال قوم هو حبس عدو وقاهر من بني آدم عن
الوصول الى البيت دون المرض وغيره من الاعذار وهذا قول ابن عمر
وابن عباس وابن الزبير وابن المسيب وابن جبير وشهر بن حوشب ومذهب
الشافعي واهل المدينة واحتجوا بان نزول هذه الاية في قصة الحديبية
وذلك احصار عدو ويدل عليه ايضا قوله في سياق الاية فاذا امنتم
ولا يكون الامن الا من الخوف وفي الحديث لا حصر الا من حبس عدو وقال
ثعلب لا تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور واحصرت
العدو اذا منعته من السير فهو محصر قال الشافعي اذا احصر نحر
هديا لا احصار من حيث احصر في حل او حرم وحل من احرامه ولا قضا
عليه الا ان يكون واجبا فيقضي واذا لم يجد هديا او كان فقيرا ففيه
قولان احدهما لا يحل الا بهدي والثاني يحل ويأتي به اذا قدر وكل
ما يجب على المحرم في ماله من بدنه وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم
لمساكين الحرم الا في موضعين دم المحصر فانه ينحر حيث حبس ويحل

والآخر

١٧٤

والآخر ساق هديا فعطب في طريقه وذبحه وخلى بينه وبين
المساكين لم يجز له ان يأكل منه شيئا قوله تعالى فما
استيسر من الهدي ما في موضع رفع على الابتدا والخبر محذوف
اى فعليكم ويجوز ان يكون خبرا والمبتدا محذوف اى فالواجب
ما استيسر ويجوز ان يكون في موضع نصب اى فاهدوا او فادوا
ما استيسر من الهدي بمعنى تيسر فالسين ليست للاستدعا هنا
والهدي بتخفيف اليا ومصدر في الاصل وهو بمعنى المهدي
وقرا الاعرج الهدي بكسر الدال وتشديد اليا في جميع القرآن
على معنى المفعول وهما جميعا ما يهدى الى البيت سمي بذلك لانه
تقرب الى الله تعالى بمنزلة الهدية يهديها الانسان الى غيره متقربا
بها اليه وقيل هو ماخوذ من قولهم هديته هديا اذا سقته
الى سبيل الرشاد واختلفوا في تاويله فقال علي كرم الله وجهه
وابن عباس هو شاة واليه ذهب الحسن وعطا والضحاك وقال
ابن عمر هو ما تيسر من الابل والبقر لا غير وقال قتادة وانس اعلاه
بدنه واوسطه بقرة واخسه شاة وفي الاية اضمار اي فان احصرتم
دون تمام الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي ومثله
او به اذى من راسه ففدية تقديره فحلق ففدية قوله تعالى
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اى لا تحلقوا من الاحرام
حتى ينحر الهدي واختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه
اليه فقال بعضهم هو ذبحه او نحره ما الموضع الذي احصر فيه سوا
كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله
والانتفاع به كقوله عليه السلام في اللحم الذي تصدق به على
بريرة قربوه فقد بلغ محله يعني قد بلغ محل طيبه بالهدية اليه
بعد ان كانت صدقة على بريرة وهذا على قول من جعل الاحصار
احصار العدو ويدل عليه فعل النبي عليه السلام واصحابه بالحديبية

حين صدوا عن البيت نحروا هديهم بها والحديبية بعضها من الحرم
وهذا قول بن عمر والمسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وبه قال الشافعي
وقيل هو الحرم لا يحل غيره فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان
كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم وهذا قول علي وبن مسعود
وبه قال ابو حنيفة وروي عن بن عباس وعايشة ان محله ان يتحلل
من احرامه باداء نسكه والمقام على احرامه الى زوال احصاره وليس
لمحرم ان يتحلل بالاحصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان
احرامه بعمرة لم تفت وان كان بحج ففاته قضاه بالفوات بعد احلاله
منه قولــــه تعالى فمن كان مريضا او به اذى من راسه
ففدية المعنى ان المحرم اذا تاذى بهوام راسه او بالمرض ابيح الحلق
والمداواة بشرط الفدية وهو قوله تعالى ففدية من صيام وهو ثلثة
ايام يصوم حيث شاء او صدقة او اطعام ستة مساكين لكل مسكين
مدان وقــال عكرمة والحسن صيام عشرة ايام كصيام التمتع او اطعام
عشرة مساكين ٥ قولــــه تعالى او نسك جمع نسيكة وهي الذبيحة
اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير
ايها شاء فعل كما دل عليه ظاهر الاية قال كعب بن عجرة حملت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال لي ما
كنت ارى ان الجهد بلغ منك هذا اما تجد شاة قلت لا فنزلت هذه
الاية فنزلت في خاصة ولكم عامة رواه البخاري ومسلم وقرا الحسن
او نسك خفيفا وهي لغة تميم وقــال بعضهم يجب ان يكون
النسك والطعام بمكة وقال بعضهم اي موضع وهو الصواب
لانه ابهم في الاية ولم يخص مكانا دون مكان قولــــه تعالى
فاذا امنتم اي من خوفكم وبراتم من مرضكم ٥ قولــــه تعالى
فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلفوا في هذه المتعة على ثلثة اقوال
احدها ان يقدم مكة محرما فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة

حتى

حتى ينشي منها الحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بمحظورات
الاحرام لانه حل بالعمرة الى احرامه بالحج قاله بن عباس وعطا وجماعة
والثاني انه المحصر بالحج اذا حل منه بالاحصار ثم عاد الى بلده مستمتعا
بالاحلال من الاحرامين وهذا قول بن زبير والثالث هو فيمن فسخ حجه
بعمرة فاستمتع بعمرته بعد فسخ حجه وهذا قول السدي ومعنى التمتع
التلذذ واصله التزود والمتاع الزاد ثم جعل لكل تلذذ تمتعا وشرايط
التمتع ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويحل من العمرة في اشهر الحج ويحرم بالحج
في عامه ذلك من مكة ولا يرجع الى الميقات وان يكون من غير اهل
الحرم فمتى فات شي من هذه الشرايط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعا
قولــــه تعالى فما استيسر من الهدي سبق معناه قولــــه تعالى
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج اي فعليه صيام وقري صياما بالنصب
على تقدير فليصم واختلفوا في زمانها من الحج على قولين احدهما انها
بعد احرامه وقبل يوم النحر وهذا قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن
ومجاهد وقتادة والسدي وطاوس وسعيد بن جبير وبه قال الشافعي
في الجديد والثاني انها ايام التشريق وهو قــــول عايشة وعروة والشافعي
في القديم واختــــلفوا في جواز تقديمها قبل الاحرام بالحج على قولين احدهما
لا يجوز وهو قول بن عمر وبن عباس والثاني يجوز واختلف من قاله في زمان
تقديمه قبل الحج على قولين احدهما في عشر ذي الحجة ولا يجوز قبلها وهو
قول مجاهد وعطا والثاني في اشهر الحج ولا يجوز قبلها وهو قول طاوس
فصــل فان لم يجد الهدي او لم يصم الايام الثلثة فما يصنع قال
عمر بن الخطاب وابن عباس وابن جبير وطاوس وابراهيم لا يجزيه
الا الهدي ولا يصوم وقــال بن عمر وعايشة يصوم ايام منى ورواه
صالح عن احمد وهو قول مالك وذهب اخرون الى انه لا يصوم
ايام التشريق بل يصوم بعدهن روي ذلك عن علي وهو قــول
الشافعي ويروى عن احمد فلو وجد الهدي بعد الدخول في صوم

الثلثة ايام يلزمه الخروج منه وهو قول مالك والشافعي وقال
ابو حنيفة يلزمه الخروج وعليه الهدي وقال عطا صام يومين ثم
ايسر فعليه الهدى وان صام ثلثة ايام ثم ايسر فليصم السبعة ولا هدي
عليه قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم سبعة معطوفة
على ثلثة وقرى سبعة تقديره وليصوموا سبعة او وصوموا سبعة
وفي زمانها قولان احدهما اذا رجعتم من حجكم في طريقكم وهو قول مجاهد
وعطا وابي حنيفة ومالك والثاني اذا رجعتم الى اهلكم في امصاركم
وهو قول عطا وقتادة والربيع ثم قال تعالى تلك عشرة كاملة يقال
كمل يكمل مثل نصر ينصر مثل عظم يعظم وكمل يكمل مثل
حمد يحمد وفي قوله تلك عشرة كاملة خمسة اقوال احدها كاملة في
قيامها مقام الهدي وهو قول الحسن والثاني ان الواو قد يقوم مقام او
في مواضع منها قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلث
ورباع فازال الله احتمال التخيير في هذه الاية بقوله تلك عشرة كاملة
والى هذا المعنى ذهب الزجاج والثالث ان ذلك للتوكيد وانشد الفرزدق
ثلاث واثنان فهن خمس د وقال تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون د
وقوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والرابع ان معناه تلك عشرة كاملة
في الفضل وان كانت الثلثة في الحج والسبعة بعده لئلا يسبق الى
وهم احد ان السبعة دون الثلثة قاله ابو سليمان الدمشقي والخامس انه
لفظه خبر ومعناها الامر وتقديره تلك عشرة فاكملوها بالصوم ولا تفطروا
فيها قوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام في المشار
اليه بذلك قولان احدهما التمتع بالعمرة الى الحج والثاني انه الجزا بالنسك
والصيام ولمن في هذا القول بمعنى على وفي حاضريه اربعة اقوال
احدها اهل الحرم قاله بن عباس وطاوس ومجاهد والثاني من كان
منزله دون الميقات قاله عطا والثالث اهل الحرم ومن قرب منزله
منه كاهل عرفه وعرنه والرجيع قاله الزهري ومالك والرابع من

كان

كان على مسافة لا تقصر في مثلها الصلوة وهو قول الشافعي قال
ابن الانباري معنى الاية ان هذا الفرض لمن كان من الغربا وانما
ذكر الاهل والمراد به حضور المحرم لان الغالب على الرجل ان يسكن
حيث اهله ساكنون قوله تعالى واتقوا الله قال بن عباس
فيما افترض عليكم واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده
قوله تعالى الحج اشهر معلومات اي معلومات عندكم
قال الفرا تقديرها وقت الحج اشهر معلومات وهذا كما يقال البرد
شهران والحر شهران اي وقتهما شهران وقال الزجاج معناه
اشهر الحج اشهر معلومات وفي اشهر الحج قولان احدهما انها شوال وذو
القعدة وذو الحجة باسرها وهذا قول قتادة وطاوس ومجاهد
ومالك قال بن جرير الطبري انما اراد هولا ان هذه الاشهر ليست
اشهر العمرة انما هي للحج فان كان عمل الحج قد انقضى بانقضا ايام منى
وقد كانوا يستحبون ان يفعلوا العمرة في غيرها والقول الثاني
انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة قاله بن مسعود وابن عمر
وابن عباس وابن الزبير والحسن وابن سيرين وعطا والشعبي وابو
حنيفة والشافعي واحمد وقد جا في بعض الاخبار في تفسير اشهر الحج
وعشر من ذي الحجة وفي بعضها وتسع من ذي الحجة فمن قال تسع فانما
عبر به عن الايام لان النبي عليه السلام قال الحج عرفه فمن عرف
بعرفه في يوم عرفه من ليل او نهار فقد تم حجه ومن قال عشرة عبر به
عن الليالي فمن لم يدركه الى طلوع الفجر من يوم النحر فاته الحج والشهور
انما تورخ بالليالي فلا تضاد في هذه الاخبار وانما قال اشهر وهي شهران
وبعض الثالث لانها وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره
فتقول اتيتك يوم الخميس وانما اتاه في ساعة منه وقال بعضهم
الاثنان فما فوقهما جماعة لان معنى الجمع ضم شي الى شي فاذا جاز
ان يسمى الاثنان بانفرادهما جماعة جاز ان يسمى الاثنان وبعض الثالث

جماعة وقد سمى الله الاثنان جماعة جمعًا قال الله تعالى فقد صغت
قلوبكما ولم يقل قلبا كما يعني عايشة وحفصه وقال تعالى
اوليك مبرون مما يقولون يريد عايشة وصفوان وقال تعالى وكنا
لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان ه **فصل** من احرم بالحج
قبل اشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون ذلك عمرة كمن دخل في صلوة
قبل وقتها فانها تكون نافله وهو قول عطا وطاوس ومجاهد
ومذهب الاوزاعي والشافعي وقال مالك والثوري وابو حنيفه
يكره له ذلك فان فعل اجزاه ودليل الشافعي قوله تعالى الحج اشهر
معلومات تخص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو كان الاحرام بالحج
في غيرها منعقدا جايزا لما كان لهذا التخصيص فايدة كالصلوة لما
علقها بمقات لم يجز تقديمها عليه واحتج ابو حنيفه بان قال قوله الحج
اشهر معلومات اي معظم الحج يقع في هذه الاشهر كما قال عليه السلام الحج
عرفه قوله تعالى فمن فرض فيهن الحج من مبتدا ويجوز ان يكون
شرطًا وان يكون بمعنى الذي والخبر فلا رفث وما بعده والعايد
محذوف تقديره فلا رفث منه والمعنى فمن اوجب على نفسه فيهن الحج
بالاحرام والتلبيه والفرض في اللغة الحز والقطع وقيل فرض
اي ابان وهذا يرجع الى القطع لان من قطع شيا فقد ابانه عن غيره
يفرض الاحرام بالشروع فيه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج قرا ابو عمرو وابن كثير ويعقوب الرفث والفسوق
بالرفع والتنوين فيهما وجدال بالنصب وقرا ابو رجا فلا رفث ولا فسوق
نصب ولا جدال بالتنوين وقرا ابو جعفر كلها بالرفع والتنوين وقرا
الباقون كلها بالنصب من غير تنوين وقرا الاعمش فلا رفوث
واختلف اهل التاويل في تفسير الرفث على اربعة اقوال احدها
انه الجماع وهو قول بن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن وعمرو بن
دينار ومجاهد وقتادة وابراهيم والربيع والزهري والسدي وعطا

وعكرمه والضحاك والثاني انه التعريض بالجماع وذكره بين
ايديهن قاله طاوس وابو العاليه والثالث انه قول الرجل
للمراة في حال الاحرام اذا حللت اصبتك روي عن عطا والرابع
انه الفحش والقول القبيح واما الفسوق ففيه خمسة اقوال
احدها انه المعاصي كلها قاله بن عباس وطاوس والحسن
وقتادة والربيع والزهري والقرظي والثاني انه التنابز بالالقاب
دليله قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان
والثالث انه الذبح للاصنام دليله قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وانه لفسق قاله بن زيد والرابع انه السباب يدل عليه قوله
عليه السلام سباب المسلم فسوق وقتاله كفر قاله ابراهيم ومجاهد
والخامس انه ما نهى الله عنه المحرم في حال احرامه من قتل الصيد
وتقليم الاظفار وما اشبه ذلك قاله بن عمر واما الجدال ففيه
سته اقوال احدها ان تماري صاحبك وتخاصمه حتى تغضبه
قاله بن مسعود وابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمه
والضحاك والزهري وعطا بن يسار وعطا بن ابي رباح وقتادة
والثاني انه السباب والمنازعة قاله بن عمر والثالث انه المرى
والاختلاف فيمن هو اتم حجا قال القرظي كانت قريش اذا اجتمعت
بمنى قال هولا حجنا اتم من حجكم وقال هولا حجنا اتم من حجكم والرابع
انه اختلاف كان يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم فبعضهم
يقول الحج اليوم وبعضهم يقول الحج غدا قاله القسم بن محمد والخامس
انه اختلافهم في مواقيت الحج ايهم المصيب موقف ابراهيم عليه السلام
قاله بن زيد والسادس ان معناه ان لا جدال في وقته لاستقراره
وابطال النسي الذي كانوا ينسونه في كل عام فربما حجوا في
ذي القعده وربما حجوا في صفر هذا قول ابي جعفر الطبري قال
اهل المعاني ظاهر الاية نفي ومعناها نهي اي فلا ترفثوا ولا تفسقوا

ولا تجادلوا كقوله تعالى لا ريب اي لا ترتابوا روى ابو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث
ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه رواه مسلم قوله تعالى
وما تفعلوا من خير يعلمه الله هذا حث على فعل الخير واخبار ان الله
ليس بغافل عن فعلهم فيجازيهم عليه قوله وتزودوا فان خير
الزاد التقوى قال المفسرون كانوا ناس من اهل اليمن يحجون
بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله فلا يطعمنا ثم كانوا
يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله ان يتزودوا ولا يظلموا
ولا يكونوا كلا ووبالا على الناس فقال تعالى وتزودوا ما تبلغون به
وتكفون به وجوهكم فقال تعالى وتزودوا ما تبلغون به وتكفون
به وجوهكم قال المفسرون الكعك والسويق والتمر ونحوها
فان خير الزاد التقوى يعني ما تكفون به وجوهكم عن السوال وانفسكم
عن الظلم وهذا نوع تقوى وقيل تزودوا بالاعمال الصالحة
قال اهل الاشارة ذكرهم الله سفر الاخرة وحثهم على التزود
للدارين قال فان التقوى زاد الاخرة قال الشاعر

الموت بحر موجه غالب تذهب فيه حيلة السابح
ما يصحب الانسان في قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لن ترصد كما كان ارصدا

قال مالك بن دينار مات بعض قرا البصرة فخرجنا في جنازته
ودفناه وانصرفنا فصعد سعدون المجنون تلا في المقبرة ونادى المنصرفين

الا يا عسكر الاحيا هذا عسكر الموتى
اجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى
يحثون على الزاد وما الزاد سوى التقوى

يقولون

يقولون لكم جدوا فهذا غاية الدنيا

قوله تعالى واتقون يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول
قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
قال المفسرون كان ناس من العرب لا يتجرون ايام الحج واذا
دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فانزل الله هذه الاية قال ابن عباس
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية وكانوا يتجرون
بها في المواسم وكان اكثر معايشهم منها فلما جا الاسلام كانهم
تأثموا فيها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وكان
ابن عباس يقرأ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم مواسم
الحج وقال ابو امامة التيمي قلت لابن عمر انا قوم نكري فيزعمون
ان ليس لنا حج فقال الستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون
وترمون كما يرمون قلت بلى قال انت حاج جا رجل الى النبي عليه
السلام فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل
جبريل بهذه الاية ليس عليكم جناح اي حرج ان تبتغوا فضلا اي
رزقا من ربكم يعني التجارة قال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج الخلص واذا كان ليلة
المزدلفة غفر الله للتجار واذا كان يوم منى غفر الله للجمالين واذا كان
عند جمرة العقبة غفر الله للسوال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن
قال لا اله الا الله الا غفر الله له قوله فاذا افضتم من عرفات
معنى الافاضة في اللغة دفع الشي حتى يتفرق يقال افاض القوم في
الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل ماءه اذا
صبه وافاض البعير بجرته اذا رمى ودفع بها من كرشه فمعنى افضتم
اي دفعتم بكثرة ودفع بعضكم بعضا من عرفات بالتنوين لانها جمع
عرفة مثل مسلمات سميت بها البقعة الواحدة فصرفت كما كانت

مصروفه قبل ان تسمى بها البقعه تركا منهم لها على اصلها فاما ما كان
في الاصل اسما للبقعه ولم يكن جمعا لواحد معروف فلا ينصرف مثل
غابات واذرعات لانها ليست لجمع غابه ولا اذرعه وقرا العقيلي من
عرفات بفتح التا بلا تنوين مثل غابات واختلفوا في المعنى الذي
لاجله قيل للموقف عرفه وليوم الموقف عرفه فقال الضحاك ان ادم
عليه السلام اهبط ووقع بالهند وحوا بجده فجعل ادم يطلب حوا وهي
تطلبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفه وتعارفا فسمي اليوم عرفه والموضع
عرفات وقال السدي انما سميت عرفات لان هاجر ام اسمعيل عليه
السلام حملته واخرجته من عند ساره وكان ابراهيم عليه السلام غايبا
فلما قدم لم ير اسمعيل وحدثته ساره بالذي صنعت هاجر فانطلق
في طلب اسمعيل فوجده مع هاجر بعرفات فعرفه فسميت عرفات
وقال عطا انما سميت عرفات لان جبريل عليه السلام كان يري
ابراهيم المناسك فيقول عرفت ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات
وفي روايه ابي صالح عن ابن عباس قال انما سميت ترويه وعرفه لان
ابراهيم عليه السلام راى ليلة الترويه في منامه انه يومر بذبح ولده
فلما اصبح روا يومه اجمع اي فكر امن الله هذا الحلم ام من
الشيطان فسمي ذلك اليوم من فكره ترويه ثم راى ليله عرفه هذا الحلم
ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم عرفه
وقال بعضهم سمي بذلك لان الناس يعترفون في هذا اليوم بذنوبهم
والاصل فيه ان ادم عليه السلام لما امر بالحج وقف بعرفات يوم عرفه
فقال ربنا ظلمنا انفسنا الايه وقيل هو ماخوذ من العرف وهو
الطيب قال الله تعالى ويدخلهم الجنه عرفها لهم اي طيبها قال فمنى
موضع يمنى فيه الدم اي يصب ولذلك سميت منا وفيه تكون الاقذار
فليست بطيبه وعرفات ليس فيها تلك الاقذار فهي طيبه لذلك سميت
عرفات ويوم الوقوف بها عرفه وقيل لان الناس يتعارفون بها فالتا ي

يتعرف

يتعرف خبر العراقي والعراقي يتعرف خبر الشامي وقال بعضهم
اصل هذين الاسمين من الصبر يقال رجل عارف اذا كان صابرا
خاضعا خاشعا فسميا بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم
على الدعا وانواع البلا لاقامة هذه العباده روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا كان يوم عرفه ينزل الله تعالى الى السما الدنيا
فيباهي بكم الملايكه فيقول ملايكتي اما ترون عبادي قد اتوني
شعثا غبرا من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم فتقول الملايكه
رب فيهم فلان وفلانه فيقول الله تعالى قد غفرت لهم فقال عليه
السلام فما من يوم اكثر عتيقا من اهل عرفه ٥ قوله تعالى
فاذكروا الله بالتلبيه والدعا عند المشعر الحرام وهو ما بين جبلي
المزدلفه من مازمي عرفه الى محسر وليس المازمان ولا محسر من المشعر
وانما سمي مشعرا من الشعار وهو العلامه لانه معلم الحج والصلاه
والمقام والمبيت به والدعا عنده من معالم الحج والمبيت به فرض ومن
تركه كان عليه شاه وقال المفضل سمي مشعرا لانه اشعر
الموسمون انه حرم كالبيت ومكه اي اعلموا ذلك وانما سمي حراما لانه
منع ان يفعل فيه ما حرم الله واصل الحرام المنع قال تعالى للسايل
والمحروم اي الممنوع من المكاسب والشي المنهي عنه حرام لانه منع
من اتيانه وهو مزدلفه ايضا سمي بذلك لان ابراهيم عليه السلام ازدلف
اليها لما امسى بعرفه وهو ايضا جمع لان الناس يجمعون فيه بين صلوتي يجمعون صح
المغرب والعشا وقيل لان ادم اجتمع بحوا بها والافاضه من عرفات
بعد غروب الشمس وكان اهل الجاهليه يفيضون منها قبل غروب
الشمس ومن جمع بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير
فامر الله تعالى بمخالفتهم في الدفعتين جميعا قوله تعالى
واذكروه كما هداكم الى معرفته ومعالم دينه والى ما كان عليه مله ابراهيم
عليه السلام من المناسك فان قيل ما فايده تكرير الذكر قلنا عنه

ثلثه اجوبه احدها انه كرر للمبالغة في الامر به والثاني انه وصل الذكر
الثاني بما لم يتصل بالذكر الاول فحسن تكريره والثالث انه كرره ليدل
على مواصلته والمعنى اذكروه ذكرًا بعد ذكر قولــــه تعالى
وان كنتم من قبله لمن الضالين يعني وما كنتم من قبله الا من الضالين
كقوله وان نظنك لمن الكاذبين قيل وقد كنتم قبله من الضالين والها
في قوله من قبله عايد يدل على الهدى وقيل على الرسول وقيل
على القران قولــــه تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قال
عامه المفسرين كانت قريش وحلفاوها ومن دان بدينها وهم الحمس لا
يخرجون من الحرم الى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفه ويقولون
نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج من الحرم ولسنا كساير الناس
كانوا يستعظمون ان يقفوا مع ساير العرب بعرفات ويقول بعضهم
لبعض لا تعظموا الا الحرم فانكم ان عظمتم غير الحرم تهاون الناس
بحرمكم فوقفوا بجمع فاذا افاض الناس من عرفات افاضوا من المشعر
الحرام وهو المزدلفه فامرهم الله ان يقفوا بعرفات ويفيضوا منها
الى جمع مع ساير الناس واخبرهم انها سنه ابراهيم الخليل وابنه
اسمعيل عليهما السلام وقيل الخطاب لجميع المسلمين فالمعنى
ثم افيضوا من حيث افاض الناس جميعًا من جمع الى منا وحينيذ يكون ثم
بمعنى التراخي ويكون هذا القول محمولا على ظاهر الاية لان الافاضة
من عرفات قبل الافاضة من جمع بلا شك فكيف يسوغ ان يقول فاذا
افضتم من عرفات فاذكروا الله ثم افيضوا من عرفات الا ان جمهور اهل
التاويل على ما ذكرنا قبل ووجهه ان في الكلام تقديمًا وتاخيرًا
تقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واما الناس في هذه الاية فهم العرب
كلهم غير الحمس وقال الكلبي باسناده هم اهل اليمن وربيعه وقال
الضحاك الناس هاهنا ابراهيم عليه السلام وحده يدل عليه قوله تعالى

ام تحسدون الناس اراد محمدًا عليه السلام وحده وقوله الذين قال
لهم الناس يعني نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفين
وانما يقال هذا للذي يقتدى به ويكون لسان قومه واماهم كقوله
تعالى ان ابراهيم كان امه فذكر الواحد بلفظ الجمع ومثله كثير
وقال الزهري الناس هاهنا ادم عليه السلام دليله قراه سعيد
ابن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي وقال هو ادم عليه السلام
نسي ولم نجد له عزمًا قولــــه تعالى واستغفروا الله ان
الله غفور رحيم للحاج روى ابو هريره رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحاج والعمار وفد الله تعالى
ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم وعن مجاهد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج
والغفور من اسما الله تعالى وهو من قولك غفرت الشي اذا غطيته
كما سبق فكان الغفور هو الساتر لعبده برحمته او الساتر لذنوب عباده
والغفور هو الذي يكثر المغفره لان بنا فعول للمبالغه من الكثره
كقولك صبور وضروب قولــــه تعالى فاذا قضيتم مناسككم
اي فرغتم من حجكم وذبحتم نسايككم يقال منه نسك الرجل ينسك
نسكا ونسيكه ومنسكا اذا ذبح نسيكه وواحدها منسك
بفتح السين وكسرها والجمهور على اظهار الكاف الاولى وابو عمرو يظهر
الكاف في الكاف فيه وفي اخواته كل القران شبه حركه الاعراب
بحركه البنا فحذفها قولــــه تعالى فاذكروا الله كذكركم اباكم
قال اكثر المفسرين في هذه الاية كانت العرب اذا فرغوا من حجهم
وقفوا عند البيت وذكروا ماثر ابايهم ومفاخرهم فكان الرجل يقول
ان ابي كان يقري الضيف ويضرب بالسيف ويطعم الطعام وينحر
الجزور ويفك العاني ويفعل كذا وكذا يفتخرون بذلك فامرهم
الله تعالى بذكره فقال فاذكروا الله كذكركم اباكم فانا الذي فعلت

ذلك بكم واحسنت اليكم واليهم وقال السدي كانت العرب
اذا قضت مناسكها واقاموا بمنى يقوم الرجل فيسئل الله ويقول
اللهم ان ابي كان عظيم الجفنة عظيم القبة كثير المال فاعطني
مثل ما اعطيت ابي ليس يذكر الله انما يذكر اباه ويسئل ان
يعطى في دنياه فانزل الله هذه الاية وقال بن عباس وعطا
والربيع والضحاك معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار
الاباء وهو قول الصبي اول ما يفصح ويفقه الكلام اباه
وقيل اراد ذكر اباكم وامهاتكم فاكتفى بالاباء كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر وقوله تعالى او اشد ذكرا او ههنا للتخيير
او الاباحة وقيل انها بمعنى بل وقيل هي بمعنى الواو كقوله تعالى
او يزيدون واما وجه نصب اشد فقال الاخفش اذكروا الله اشد
وقال الزجاج في محل الخفض لكنه لا ينصرف لانه صفة ونصب
ذكرا على التمييز وهو موضع مشكل وذلك ان افعل يضاف الى ما
بعدها اذا كانت من جنس ما قبلها كقولك ذكرك اشد ذكر
ووجهك احسن وجه اي اشد الاذكار واحسن الوجوه واذا نصبت
ما بعدها كان غير الذي قبلها كقولك زيد اقرء عبدا فالقراءة
للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا
يذكر حتى يقال الذكر اشد ذكرا وانما يقال الذكر اشد
ذكر بالاضافة لان الثاني هو الاول والذي قاله ابو علي وابن جني
وغيرهما انه جعل الذكر ذاكرا على المجاز كما تقول زيد اشد ذكرا
من عمرو وقال غيرهما الكلام محمول على المعنى والتقدير او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لابائكم ودل على هذا المعنى قوله فاذكروا الله
اي كونوا ذاكريه وهذا اسهل من حمله على المجاز عن ابي الجوزا
قال قلت لابن عباس اخبرني عن قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم
اباءكم او اشد ذكرا وقد ياتي على الرجل اليوم ولا يذكر اباه

فقال

فقال بن عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب لله تعالى اذا عصي اشد
من غضبك لوالديك اذا شتما وقال مقاتل او اشد ذكرا اي اكثر
ذكرا كقوله تعالى او اشد قسوة قوله تعالى فمن الناس
من يقول يعني المشركين من يقول في الحج ربنا اتنا في الدنيا اي اعطنا
ابلا وبقرا وغنما وعبيدا حذف المسؤول ولا يطلبون الاخرة لانهم
لم يكونوا يؤمنون بها وذلك قوله تعالى وما له في الاخرة من خلاق
اي حظ ونصيب قال المفسرون ويجوز ان يتناول هذا الوعيد
المومن ايضا اذا قصر دعواه على الدنيا وعلى هذا فما له في الاخرة من
خلاق اي كخلاق الذي يسال الله الاخرة قوله تعالى
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وهم النبي
عليه السلام والمومنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال
علي كرم الله وجهه في الدنيا حسنة اي امراة صالحة وفي الاخرة
حسنة هي الحور العين وقنا عذاب النار المراة السو وقال الحسن
في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة الرضوان والجنة
وقال بن حيان والسدي في الدنيا حسنة رزقا واسعا وعملا صالحا
وفي الاخرة حسنة المغفرة والثواب وقال عطية في الدنيا حسنة
العلم والعمل به وفي الاخرة حسنة تيسير الحساب ودخول الجنة
وقيل في الدنيا حسنة التوفيق والعصمة وفي الاخرة حسنة
النجاة والرحمة وقيل في الدنيا حسنة اولادا ابرارا وفي الاخرة حسنة
مرافقة الانبيا وقيل في الدنيا حسنة المال والنعمة وفي الاخرة حسنة
تمام النعمة وهو الفوز من النار ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة
الدين واليقين وفي الاخرة حسنة اللقا والرضا وقيل في الدنيا حسنة
الثبات على الايمان وفي الاخرة حسنة السلامة والرضوان وقيل
في الدنيا حسنة الاخلاص وفي الاخرة حسنة الخلاص وقيل في
الدنيا حسنة حلاوة الطاعة وفي الاخرة حسنة لذة الرؤية

وقال قتادة الحسنة في الدنيا العافية عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاد رجلا قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال
رسول الله هل كنت تدعوا الله بشي او تساله شيا قال كنت اقول اللهم ما
كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله اذا لا
تستطيعه او لا تطيقه هلا قلت ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار فدعا الله بها فشفاه وقال سهل بن عبد الله
في الدنيا حسنة السنة وفي الاخرة حسنة الجنة وعن ثابت انهم قالوا
انهم قالوا لانس بن مالك ادع لنا فقال اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا
قال ما تدرون قد سالت الله لكم خير الدنيا وخير الاخرة قال انس
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يدعوا بها اللهم ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قوله
تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا يرجع هذا الى الفريق الثاني اي
لهم ثواب الحج او ثواب الدعا فان دعا المومن عبادة وقيل يرجع اولئك
الى الفريقين فللمومن ثواب عمله ودعائه وللكافر عقاب شركه
وقيل للكافر ايضا نصيبه مما يطلب في الدنيا قال تعالى ومن كان
يريد حرث الدنيا نوته منها قوله تعالى والله سريع الحساب
السريع من سرع يسرع مثل عظم يعظم سرعا وسرعة فهو سريع
الحساب مصدر كالمحاسبة وقد يسمى المحسوب حسابا والحساب
العد والحسب ما عد من مفاخر المرء وقيل الحساب من قولك
حسبك كذا اي كفاك كذا فيسمى الحساب حسابا لانه يعلم به ما فيه
كفاية للمرء قال ابن عباس يريد انه لا حساب على هولا انما
يعطون كتبهم بايمانهم فيقال لهم هذه سياتكم قد تجاوزتها عنكم وهذه
حسناتكم قد ضعفتها وقال ابن الانباري سريع المجازاة للعباد على
اعمالهم وقيل اراد انه عالم بما لهم وما عليهم فلا يحتاج الى تذكر وتامل وعقد

يد وقال الحسن اسرع من لمح البصر وفي الخبر ان الله يحاسب في قدر
حلب شاة وقيل ان المحاسبة كاينة وما هو ات قريب فهذا معنى
سرعة الحساب ومعنى الحساب تعريف الله عباده مقادير الجزا
على اعمالهم وتذكيره اياهم ما قد نسوه من ذلك يدل عليه قوله تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل
شي شهيد قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات
يبين ما يصنعون في ايام التشريق بعد الذكر عند المشعر الحرام
والمراد التكبير ادبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل
حصاة وغيرها من الاوقات والايام المعدودات ايام التشريق
والايام المعلومات عشر ذي الحجة وقيل الايام المعدودات يوم النحر
ويومان بعده روي ذلك عن علي وابن عمر وقيل هي ايام العشر والصحيح
انها ايام التشريق وعليه اكثر العلما اولها يوم القر وهو يوم الحادي
عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنا والثاني يوم النفر الاول لان بعض
الناس ينفرون في هذا اليوم من منا والثالث يوم الثالث عشر وهو يوم النفر
الثاني وهذه الايام الثلثة مع يوم النحر كلها ايام النحر وايام رمي الجمار
فان قيل الايام واحدها يوم والمعدودات واحدها معدودة واليوم
لا يوصف بمعدودة لان الصفة هنا مونثة والموصوف مذكر وانما الوجه
ان يقال ايام معدودة فيوصف الجمع بالمونث فالجواب انه اجرى
معدودات على لفظ ايام وقابل الجمع بالجمع مجازا والاصل معدودة
كما قال تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولو قيل ان الايام
تشتمل على الساعات والساعة مونثة فجا الجمع على معنى ساعات
الايام وفيه تنبيه على الامر بالذكر في كل ساعات هذه
الايام او في معظمها لكان جوابا سديدا ونظير ذلك الشهور والصيف
والشتا فانها يجاب بها عن كم وكم وانما يجاب عنها بالعدد
والفاظ هذه الاشيا ليست عددا وانما هي اسما المعدودات

وكانت حوابا من هذا الوجه واختلفوا في الوقت الذي يبدا فيه
بالتكبير ويقطع على ستة اقوال احدها يكبر من صلاة الفجر
يوم عرفه الى بعد صلوة العصر من اخر ايام التشريق قاله علي كرم الله
وجهه وابو يوسف ومحمد والثاني انه من صلاة الفجر يوم عرفه الى صلاه
العصر من يوم النحر قاله ابن مسعود وابو حنيفه والثالث من بعد صلاة
الظهر يوم النحر الى بعد صلاة العصر الى من اخر ايام التشريق قاله ابن
عمر وزيد بن ثابت وابن عباس وعطا والرابع انه يكبر من صلاة الظهر
يوم النحر الى بعد صلاة الظهر من يوم النفر وهو الثاني من ايام التشريق
قاله الحسن والخامس انه يكبر من الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح
من اخر ايام التشريق قاله مالك بن انس وهو احد اقوال الشافعي رحمه الله
والسادس انه يكبر من صلاة المغرب ليله النحر الى صلاة الصبح
من اخر ايام التشريق وهذا قول الشافعي ومذهب احمد انه كان محلا
كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الفجر يوم عرفه واخرها
العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشرة
صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها العصر من اخر ايام التشريق
وهل يختص هذا التكبير بعقيب الفرايض ام لا قال الشافعي
يكبر عقيب الفرايض وان صلاها وحده وهل يكبر عقيب
النوافل فيه قولان وقال ابو حنيفه يختص بما صلاها في جماعة
وعن احمد روايتان فاما لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير والحسن
يقولان الله اكبر ثلثا نسقا وهو مذهب الشافعي واهل المدينه
وكان ابن مسعود يكبر اثنتين وهو مذهب ابي حنيفه واهل
العراق وروى عن مالك انه كان يقول الله اكبر الله اكبر ثم يقطع
ثم يقول الله اكبر لا اله الا الله وروى عن قتادة انه كان يقول الله اكبر
كبيرا الله اكبر على ما هدانا الله اكبر ولله الحمد روى ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايام منى ايام اكل وشرب

وذكر

وذكر الله وروى عنه عليه السلام انه بعث مناديا فنادى
في ايام التشريق انها ايام اكل وشرب وبعال ثم قوله تعالى
فمن تعجل في يومين من ايام التشريق فنفر في اليوم الثاني فلا اثم عليه
في تعجله ومن تاخر عن النفر في اليوم الثاني من ايام التشريق الى اليوم
الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه في تاخره فان لم ينفر في
اليوم الثاني واقام حتى غربت الشمس فليقم الى الغد من اليوم الثالث
فيرمي الجمار ثم ينفر مع الناس هذا قول ابن عمر وابن عباس والحسن
وعطا وعكرمه ومجاهد وقتادة والضحاك والنخعي والسدي وقال
بعضهم معناه فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الى قابل ومن تاخر
فلا اثم عليه الى قابل قاله مجاهد فان قيل انما يخاف الاثم المتعجل
فما بال المتاخر الحق به والذي اتى به افضل قلنا عنه اربعة اجوبه
احدها ان المعنى لا اثم على المتعجل والمتاخر ماجور فقال لا اثم عليه
ليوافق اللفظة الثانيه الاولى كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وجزا سيئه سيئه مثلها والماجور المبرور ينفي عنه الاثم ايضا وهذا
كقوله ان تصدقت جهرا فحسن وان تصدقت سرا فحسن اي ليس واحد
منهما قبيح وان كان احدهما احسن والثاني فمن تعجل فلا اثم عليه
في استعمال الرخصه ومن تاخر فلا اثم عليه في استعمال الرخصة
والثالث ان المعنى قد زالت اثام المتعجل والمتاخر التي كانت عليهما
قبل حجهما كما قال عليه السلام من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والرابع انه عني نفي الاثم عن المتعجل
فذكر المتعجل والمتاخر كما قال تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به والجناح على الزوج لانه اخذ ما اعطا بعد ما قال الله تعالى ولا يحل
لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا ومثله نسيا حوتهما والناسي احدهما
قوله تعالى لمن اتقى خبر مبتدا محذوف تقديره جواز التعجيل
والتاخير لمن اتقى واختلفوا في معناه على خمسة اقوال احدها

لمن اتقى قتل الصيد ولا يحل له ان يقتل صيداً حتى يحلق ايام التشريق
رواه العوفي والكلبي عن ابن عباس والثاني لمن اتقى ان يصيب
في حجه شيئاً نهاه الله عنه قاله قتادة والثالث ذهب اثمه كله
ان اتقى فيما بقي من عمره قاله ابو العالية والرابع لمن اتقى الله قاله ابن جريج
وهو في مصحف عبد الله كذلك والخامس لمن اتقى عبادة الاوثان رواه
الضحاك عن ابن عباس ❁ قوله تعالى واتقوا الله واعلموا
انكم اليه تحشرون اي تجمعون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله
تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الاية قال الكلبي
والسدي ومقاتل وعطا نزلت هذه الاية في الاخنس بن شريق
الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي ويسمى الاخنس لانه خنس يوم بدر
بثلثماية رجل من بني زهرة عن قتال النبي عليه السلام وكان رجلا
حلو الكلام حلو المنظر يأتي النبي عليه السلام فيجالسه ويظهر
الاسلام ويخبره انه يحبه ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا
فكان عليه السلام يدني مجلسه ويقبل عليه ولا يعلم انه يظهر
خلاف ما يبطن ومعنى يعجبك قوله اي تستحسنه ويعظم في قلبك
ومنه العجب لانه يعظم في النفس يقال في الاستحسان والمحبة
اعجبني كذا وفي الانكار والكراهية عجبت من كذا واصل
العجب ما لم يكن مثله وقوله في الحيوة الدنيا اي في امور الدنيا
قوله ويشهد الله على ما في قلبه وهو قوله والله اني بك
مومن ولك محب وقرا الحسن وطلحة وابن محيصن ويشهد الله
بفتح اليا والها الله بالرفع وفي مصحف ابي ويستشهد الله زيادة
شين وتا وهو حجة لقراءة العامة ❁ قوله تعالى وهو
الد الخصام اي شديد الخصومة والخصام مصدر خاصمته خصاما
ومخاصمة قاله ابو عبيد وقال الزجاج هو جمع خصم وخصام
وخصوم مثل بحر وبحار وبحور وحقيقة الخصومة التعمق في البحث

عن

عن الشي والمضايقة فيه وقال السدي الد الخصام اعوج
الخصومة وقال مجاهد لا يستقيم على خصومة وقال الحسن
هو كاذب القول وقال قتادة هو شديد القسوة في معصية
الله ❁ قوله تعالى واذا تولى اي اعرض وادبر عنك ❁
وقال الحسن تولى عن قوله الذي اعطاه وقال ابن جريج غضب
وقال الضحاك ملك الامر وصار واليا ❁ قوله تعالى سعى في الارض
اي عمل فيها يقال فلان يسعى على عياله اي يعمل فيما يعود عليهم
نفعه وقيل سار ومشى ليفسد فيها قال ابن جريج قطع الرحم وسفك
دما المسلمين والفساد اسم لجميع المعاصي ❁ قوله تعالى
ويهلك الحرث والنسل قرا الحسن وابن ابي اسحق وابو جعفر ويهلك
برفع الكاف على الابتدا وقراة العامة بالنصب وتصديقها قراة
ابي وليهلك وفيه ثلثة اقوال احدها ان الحرث ما يحرثون من النبات والناس صح
والنسل نسل كل دابة منهم قال المفسرون انه لما انصرف
من بدر بني زهرة راجعا الى مكة وكان بينه وبين ثقيف
خصومة بيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم وقال السدي
مر بزرع المسلمين وحمر فاحرق الزرع وعقر الحمر والثاني انه اذا كان
الظلم سببا لقطع المطر فيهلك الحرث والنسل قاله مجاهد وخرج
على قول من قال انه من التولي والثالث ان الحرث النسا والنسل
الاولاد حكاه الزجاج وقال ليس هذا بمنكر فان المراه تسمى حرثا
وهذا لان النفاق يودي الى تفريق الكلمة ووقوع القتال وفيه
هلاك الخلايق قال سعيد بن المسيب قطع الدرهم من الفساد في
الارض وعن عطا ان رجلا يقال له العلا بن منبه احرم في جبة
فامره النبي عليه السلام ان ينزعها قال قتادة فقلت لعطا انا كنا
نسمع ان يشقها فقال عطا ان الله لا يحب الفساد والحرث الشق
ومنه المحراث لما يشق به الارض والنسل ما خرج من كل شي

من ولد واصله الخروج والسقوط ومنه نسل الشعر نسولا والمستقبل
ينسل من باب ضرب يضرب ومنه قوله تعالى الى ربهم ينسلون ٥
قوله تعالى والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى المعاصي
وقد احتجت المعتزلة بهذه الاية واجاب اصحابنا باجوبة منها انه لا
يحبه دينا ولا يريده شرعا فاما انه لم يرده وجودا فلا ومنها انه لا يحبه
للمؤمنين دون الكافرين ومنها ان الارادة معنى غير المحبة
فان الانسان قد يتناول المر ولا يحبه واذا بان الفرق بين الارادة
بطل دعواهم التساوي بينهما وهذا قول معتمد وفي معنى الاية
ولا يرضى لعباده الكفر وقيل معنى قوله لا يحب الفساد
قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اي خف الله وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه الى اجابة الله في ظاهره
وباطنه فدعته الانفة والكبر وحمية الجاهلية على الفعل
بالاثم والظلم ومعنى العزة هاهنا القوة والمنعة ويقال اخذته
العزة للاثم الذي في قلبه فاقام الباء مقام اللام ٥ قوله تعالى
فحسبه جهنم اي كفاه عذابا جهنم جزاء له يقال حسبك كذا اي
كفاك وحسبنا الله اي كفانا الله وقيل حسبه جهنم ذلا
من عزه وجهنم اسم للنار وهو اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف
وقيل هو اسم عربي من قولك ركية جهنام اي بعيدة القعر
وعلى هذا لا ينصرف للتعريف والتانيث ٥ قوله تعالى
ولبئس المهاد اي الفراش ومهدت لفلان اذا وطأت له ومنه
مهد الصبي وسمي جهنم مهادا لانها مستقر الكفار وقيل لانها
بدل لهم من المهاد كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم على جهة البدل
قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر الذنب عند الله تعالى
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك ٥ قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه الاية اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية

فقيل نزلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو معنى قول
علي وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عباس والضحاك نزلت في الزبير
والمقداد حين شريا انفسهما لانزال خبيب من خشبته التي صلب
عليها وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي مولى
عبد الله بن جدعان التيمي واختلفوا في قصته فروي انه اقبل مهاجرا
نحو النبي عليه السلام فاتبعه نفر من قريش فنزل فانتثل كنانته
وقال قد علمتم اني ارماكم بسهم وايم الله لا تصلون الي حتى ارميكم بكل
سهم معي ثم اضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء وان شئتم دللتكم
على مالي قالوا افدنا ولنخل عنك فعاهدهم على ذلك فنزلت هذه الاية
فيه فلما راه النبي عليه السلام قال ربح البيع ابا يحيى وقرا عليه القران
هذا قول سعيد بن المسيب وذكر نحوه ابو صالح عن ابن عباس
وقال ان الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه ابو بكر الصديق رضي الله عنه
وذكر مقاتل انه قال انا شيخ كبير لا يضركم ان كنت معكم او عليكم
ولي حق الجوار فخذوا مالي غير راحلة واتركوني وديني واشترط
ان لا يمنع من صلوة ولا هجرة فاقام ما شاء الله ثم ركب راحلته فاتى المدينة
فلقيه ابو بكر رضي الله عنه فبشره وقال نزلت فيك هذه الاية
وقال قوم نزلت في صهيب وابي ذر اما صهيب فقد ذكرنا قصته
واما ابو ذر فاخذه اهله فافلت منهم حتى قدم مهاجرا وقال الحسن
وابن زيد نزلت في المجاهدين وقال قتادة نزلت في المهاجرين والانصار
حين قاتلوا على دين الله حتى ظهر وروي عن ابن عباس انه قال
نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حين هرب النبي عليه السلام
من المشركين الى الغار مع ابي بكر رضي الله عنه فامر عليا عليه السلام
ان ينام على فراشه وقال له اتشح ببردي فانه لا يخلص اليك منهم
مكروه ان شاء الله ففعل علي كرم الله وجهه ذلك والشرا من
الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى قال تعالى وشروه

علیكم صح

بثمن بخس ومعنى بيع النفس ههنا بذلها لاوامر الله وما يرضاه
هذا على قول من يقول نزلت في غير صهيب وعلى قول من يقول
نزلت في صهيب يكون بمعنى اشترى والجمهور على تفخيم رضات
وقرا الكسائي بالامالة في كل القران لتجانس كسرة التا ونصب
ابتغاء رضات الله على المفعول له اي لابتغاء رضات الله والمرضاة المرضي
يقال رضي رضا ومرضاة الله رؤوف بالعباد روى ابو امامة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الجهاد كلمة حق
عند امام جائر وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيد الشهدا يوم القيمة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام
الى امام جائر فامره ونهاه فقتله قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم كافة قال المفسرون نزلت في مومني اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك انهم حين امنوا بالنبي عليه
السلام قاموا بشرايعه وشرايع موسى عليه السلام تعظموا السبت
وكرهوا لحمان الابل والبانها بعد ما اسلموا فانكر ذلك عليهم
المسلمين فقالوا انا نقوى على هذا وعلى هذا وقالوا للنبي عليه السلام
ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا فانزل الله هذه الاية
وقيل نزلت في اهل الكتاب الذين لم يومنوا بالنبي عليه السلام روى
ذلك عن ابن عباس وبه قال الضحاك وفي السلم ثلث لغات كسر
السين وتسكين اللام وبها قرا ابو عمرو وابن عامر في البقرة وفتح
السين في الانفال وسورة محمد عليه السلام وفتح السين مع تسكين
اللام فيهما وقرا ابن كثير ونافع والكسائي في المواضع الثلثة وفتح
السين واللام وبها قرا الاعمش في البقرة خاصة وفي السلم
قولان احدهما انه الاسلام قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك
وابن قتيبة والزجاج والثاني انه الطاعة وهو قول ابي العالية والربيع
واختلف اهل اللغة في الفتح والكسر على قولين احدهما انهما لغتان

يستعمل

يستعمل كل واحد منهما موضع الاخر والثاني ان معناهما يختلف
والفرق بينهما ان السلم بالكسر الاسلام وبالفتح المسالمة ويذكر
ويونث ومنه قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها قوله
تعالى كافة اي جميعا وهي ماخوذة من كففت الشي اذا منعته
وضممت بعضه الى بعض ومنه قيل لحاشية القميص كفة لانها
تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل لحرفه كفة بالضم وكل
مستدير لحرفه كفة بالكسر نحو كفة الميزان ومنه قيل للراحة
مع الاصابع كف لانها تكف سائر البدن ورجل مكفوف اي
كف بصره من النظر وقال بعضهم كافة عايد الى السلم ان يدخلوا
في جميعه ظاهرا وباطنا قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي اثاره ونزغاته فيما زين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل
وغيره انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عن جابر بن عبد الله ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا
نسمع احاديثا من اليهود فتعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال
امتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جيتكم بها بيضا
نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قال ابو عبيد
امتحيرون انتم في الاسلام لا تعرفون دينكم حتى تاخذوه من اليهود
والنصارى قوله تعالى فان زللتم يقال زلت قدمه
تزل زلا وزللا ومعنى زللتم اي تنحيتم عن القصد والشرايع في تحريم
السبت وغيره وقرا العدوي زللتم بكسر اللام وهما لغتان قوله
تعالى من بعد ما جاتكم البينات يعني الايمان والقران والامر
والنهي ومحمد عليه السلام قوله تعالى فاعلموا ان الله عزيز
في انتقامه لا يعجزونه حكيم فيما شرع من دينه قوله
تعالى هل ينظرون هل ههنا استفهام يراد به النفي
والانكار وينظرون بمعنى ينتظرون يقال نظرته

واستظرته ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم وقوله
فناظرة بم يرجع المرسلون والمعنى ما ينتظر التاركون الدخول
في السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا العذاب يوم القيمة
قوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام في ظلل
يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا والظلل جمع ظلة وقرا قتادة
في ظلال قيل هو جمع ظلة يقال ظلة وظلل مثل خلة وخلل وقيل
جمع ظل من الغمام وهو السحاب الابيض الرقيق سمي بذلك
لانه يغم اي يستر روى عكرمة عن ابن عباس قال يأتي الله في
ظلل من السحاب قد قطعت طاقات ورفعه بعضهم الى النبي عليه
السلام فيما رواه ابن جريج عنه عليه السلام قال من الغمام طاقات
ياتي الله فيها محفوفة بالملايكة وقال الحسن ستره من الغمام
فلا ينظر اليه اهل الارض وقال مقاتل كهيئة الضبابة ابيض
وذلك قوله تعالى يوم تشقق السما بالغمام وقال بعضهم في بمعنى
البا وتعاقب حروف الصفات سايغ مشهور في كلام العرب
تقدير الاية الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام وبالملايكة
وعلى هذا التاويل زال الاشكال وسهل الامر واجرى الباقون
الاية على ظاهرها ثم اختلفوا في تاويلها فقال تفسيره قوم على
الاتيان الذي هو الانتقال من مكان الى مكان وادخلوا فيه
بلا كيف واتبعوا في ذلك ظواهر اخبار وردت لم يعرفوا تاويلها
ولم يرض هذا القول جماعة من العلما لانه اثبات للمكان لله
وتعالى عن ذلك وقال بعض المحققين ويعزى الى علي
كرم الله وجهه من زعم ان الله على شي او من شي اوله شي فقد الحد
لانه لو كان من شي لكان محدثا ولو كان في شي لكان محصورا
ولو كان على شي لكان محمولا وسكت قوم عن الخوض في
معنى الاتيان وقالوا نومن بظاهره ونقف عن تفسيره لانا قد نهينا

ان

ان نقول في كتاب الله ما لا نعلم ولم ينهنا الله ولا نبينا رسوله عن حقيقة
معناه قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر وكان مالك
والاوزاعي واحمد واسحاق وجماعة من المشايخ يقولون فيه وفي
امثاله امروها بلا كيف كما جات وزعم قوم ان في الاية اضمارا
واختصارا تقديرها الا ان ياتيهم امر الله وهو الحساب والعذاب
يدل عليه قوله تعالى وقضي الامر اي وجب العذاب وفرغ الحساب
قالوا وهذا كقوله تعالى واسل القرية وتقول العرب قطع الوالي
اللص وضربه وانما فعل ذلك اعوانه بامره وعلى هذا يحمل قوله تعالى
ولكن الله رمى لانه سبحانه لم يل ذلك وهذا قول الحسن البصري له
وقالت طايفة من اهل الحقيقة ان الله تعالى يحدث فعلا يسميه اتيانا
كما احدث امرا سماه نزولا وافعاله بلا اله ولا علة قال الثعلبي
رحمه الله ويحتمل ان يكون معنى الاتيان هاهنا راجعا الى الجزا
فسمي الجزا اتيانا كما سمي التخريب والتعذيب في قصة نمرود اتيانا قال
تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون وقال في قصة بني النضير فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المومنين وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وانما احتمل الاتيان هذه المعاني لان الاتيان عند اهل
اللسان هو القصد الى الشي فمعنى الاية هل ينظرون الا ان يظهر
الله فعلا من افعاله مع خلق من خلقه فيقصد الى مجازاتهم ويقضي
في امرهم ما هو قاض ويجازيهم على فعلهم ويمضي فيهم ما اراد وقرا
ابو جعفر والملايكة خفضا عطفا على الغمام وتقديره مع
الملايكة تقول العرب اقبل الامير والعسكر اي مع العسكر
وقرا الباقون الملايكة بالرفع على معنى الا ان ياتيهم الله والملايكة
في ظلل من الغمام يدل عليه قراة عبد الله وابي هل ينظرون

الا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام قال ابو العالية
والربيع تأتيهم الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله فيما شاء
فالمضاف الى الله هو الاتيان والمضاف الى الملائكة الاتيان في
ظلل الغمام ومتى يكون مجي الملائكة فيه قولان احدهما يوم
القيمة وهو قول الجمهور والثاني عند الموت قاله قتادة قوله
تعالى وقضي الامر اي فرغ منه وقيل ويقضي الامر حينيذ
ويفرغ منه والماضي قد يوضع موضع المستقبل لا سيما في امور
الاخرة لقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى وهذا يدل على قرب
امر الاخرة وهذا الامر هو فصل القضا بين الخلق وهو كقوله تعالى
وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق قوله تعالى
والى الله ترجع الامور اي تصير قرئ بضم التا وفتحها فان قيل فكان
الامور كانت الى غيره قلنا عنه اربعة اجوبة احدها ان المراد به
اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وذلك
ان العباد في الدنيا لا يجازون على اعمالهم وهذا كقوله تعالى الا الى الله
تصير الامور قاله الزجاج والثاني انه لما كانت الامور اليه قبل
الخلق ثم اوجدهم فملكهم بعضها رجعت اليه بعد هلاكهم والثالث
ان الدعاوي تنقطع غدا ويعلم الكل ان الامر لله والرابع ان الامور
اليه راجعة اليوم وغدا كما يقال رجع علي من فلان مكروه
اي كان الي منه مكروه فان قيل قد جرى ذكر اسمه في قوله
ان يأتيهم الله فما الحكمة في انه لم يقل واليه مرجع الامور قلنا
اعادة اسمه افخم واعظم والعرب اذا جرى ذكر شي مفخم اعادوا
لفظه ذكره الزجاج قوله تعالى سل بني اسرائيل
اصل سل اسال وترك الهمزة تخفيفا ونقلت حركتها الى السين
قبلها وسال يسال لغة قوله تعالى كم اتيناهم استفهام
تقريع وليس للتعريف تقول سل فلانا كم انعمت عليه يريد

تقرير

تقرير الحجة عليه وقيل فيه اضمار اي سلهم كم اتيناهم من اية فكفروا
بها ويدل عليه قوله تعالى ومن يبدل نعمة الله والمعنى كم اتينا
اباهم واسلافهم من علامة واضحة مثل العصا واليد البيضا
وفلق البحر وغيرها ثم قيل هذا السوال من جميع اهل الكتاب
وقيل من مومني اهل الكتاب قوله ومن يبدل نعمة الله
وقرئ بالتخفيف التبديل تصيير الشي على غير ما كان وفي المراد
بنعمة الله قولان احدهما انها الايات التي ذكرناها قاله
قتادة والثاني انها حجج الله الدالة على امر النبي عليه السلام قاله الزجاج
وفي معنى تبديلها ثلثة اقوال احدها الكفر بها قاله ابو
العالية ومجاهد والثاني تغيير صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية
قاله ابو سليمان وغيره والثالث تعطيل حجج الله بالتاويلات الفاسدة
قوله تعالى زين للذين كفروا الحيوة الدنيا الاية نزلت
في مشركي العرب ابو جهل واصحابه كانوا يتمتعون بما بسط لهم في
الدنيا في المال ويكذبون بالمعاد ويسخرون من الذين امنوا مثل
ابن مسعود وعمار وصهيب وبلال وخباب وامثالهم وهذا معنى
رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وقال مقاتل
نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتمتعون في
الدنيا ويسخرون من ضعفا المومنين وفقرا المهاجرين ويقولون
انظروا الى هولا الذين يزعم محمد انه يغلب بهم وقال عطا نزلت
في روسا اليهود وعلمايهم من بني قريظة والنضير قال الزجاج وانما
جاز في زين لفظ التذكير لان تانيث الحيوة ليس بحقيقي اذ معنى
الحيوة ومعنى العيش واحد وقيل فصل بين الاسم المونث
والفعل فساغ فيه التذكير كقول الشاعر
ان امرا غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور
والى من يضاف اليه هذا التزيين فيه اربعة اقوال احدها انه يضاف

الى الله تعالى يدل عليه قراءة مجاهد زين بفتح الزاي والياء على معنى
زينها الله لهم والثاني انه يضاف الى الشيطان وهو قول الحسن ره
والثالث زينها لهم الذين اغووهم من الانس والجن والرابع تزينت
لهم الدنيا كما تقول اين يذهب بك اي اين تذهب المعنى تزين لهم
زخارفها واموالها وشهواتها ❊ قوله تعالى ويسخرون
من الذين امنوا فيه ثلثة اقوال احدها انهم يسخرون منهم لفقرهم
روى عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من استذل مومنا او مومنة او حقره لفقره وقلة ذات
يده شهره الله يوم القيمة ثم يفضحه ومن بهت مومنا او مومنة او قال
فيه ما ليس فيه اقامه الله على تل من جهنم حتى يخرج مما قال فيه
وان المومن اعظم عند الله واكرم عليه من ملك مقرب وليس من شي
احب الى الله من مومن تايب او مومنة تايبة وان المومن يعرف في
السما كما يعرف الرجل اهله وولده وعن عباد بن كثير بن قيس
قال جا رجل عليه بزة له فقعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجا رجل عليه اطمار له فقعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضم
الغني ثيابه اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكل هذا تقذرا
من اخيك المسلم اكنت تخشى ان يصيبه من غناك شي او يصيبك
من فقره شي فقال الغني معذرة الى الله ورسوله ان النفس لامارة
بالسو وشيطان يكيدني اشهد يا رسول الله ان نصف مالي له فقال
الرجل ما اريد ذلك فقال له النبي عليه السلام ولم ذلك قال اني اخاف
ان يفسد قلبي كما افسد قلبه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لا تحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير
وقال يحيى بن معاذ بيس القوم قوم ان استغنى المومن بينهم حسدوه
وان افتقر بينهم استذلوه والثاني لتصديقهم بالاخرة والثالث
لاتباعهم النبي عليه السلام ❊ قوله تعالى والذين اتقوا

فوقهم

فوقهم يوم القيمة فيه ثلثة اقوال احدها انه على اصله اي هم
فوقهم في المكان والمحل فالمومنون في عليين والكفار في
سجين والثاني ان حجج المومنين فوق شبه الكافرين لزوال
الشكوك عن الكفار يومئذ والثالث ان نعيم المومنين في الجنة
فوق نعيم الكفار في الدنيا ❊ قوله تعالى والله يرزق
من يشا بغير حساب فان قيل فكيف يكون رزقهم بغير
حساب وقد قال تعالى عطا حسابا قلنا عنه ثمنية اجوبة
احدها ان يرزقه رزقا غير ضيق قاله ابن عباس والثاني ان
المتفضل بغير حساب والجزا بالحساب والثالث ان رزق
الدنيا بغير حساب لانه يعم به المومن والكافر ولا يرزق
المومن على قدر ايمانه ولا الكافر على قدر كفره والرابع انه
يرزق المومنين في الاخرة لانه لا يحاسبهم عليه ولا يمن عليهم
به والخامس ان هذا راجع الى الله تعالى وفيه معنيان احدهما
لا يعترض عليه ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال له لم اعطيت
هذا وحرمت هذا ولم اعطيت هذا كثيرا وهذا قليلا والمعنى
الثاني انه لا يخاف نفاد خزاينه فيحتاج الى حساب ما يخرج
منها والسادس يرزق من يشا من غير تبعة في الدنيا وحساب
في الاخرة قاله الضحاك والسابع ان اموال بني النضير وقريظة
تصير الى المسلمين بلا حساب ولا قتال عن قرب روي عن
ابن عباس والثامن بغير حساب اي من حيث لا يحتسب
قوله تعالى كان الناس امة واحدة فيه ستة اقوال
احدها كان الناس من وقت وفاة ادم الى مبعث نوح امة واحدة
على ملة واحدة وهو الكفر كانوا كفارا كلهم كامثال البهايم
فبعث الله نوحا وابرهيم وغيرهما من النبيين قاله الحسن
وعطا والثاني كان الناس من وقت ادم الى مبعث نوح

امة واحدة وكان بين ادم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم
على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمان نوح
وكان اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين قاله قتادة وعكرمه
والثالث كان الناس على عهد ابراهيم امه واحدة كفارا كلهم
وولد ابراهيم في جاهليه فبعث الله اليهم ابراهيم وغيره
من النبيين روي عن بن عباس والرابع كان الناس حين
عرضوا على ادم واخرجوا من ظهره واقروا بالعبوديه امة
واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا امة واحدة قط قبل ذلك
اليوم ثم اختلفوا بعد ادم فبعث الله الرسل وانزل الكتب
حين اختلفوا وكذلك هي قراة ابي وعبد الله فاختلفوا فبعث
الله النبيين رواه ابو العاليه عن ابي بن كعب والخامس
كان الناس امه واحدة يعني ادم وحده سمي الواحد بلفظ الجميع
لانه اصل النسل ثم خلق الله حوا وانشر منهما الناس فانتشروا
وكثروا وكانوا مسلمين كلهم الى ان قتل قابيل هابيل
فاختلفوا حينيذ فبعث الله النبيين قاله مجاهد ومحمد بن
اسحق والسادس كان الناس امه واحدة في الجبله لا امر
عليهم ولا نهي فبعث الله النبيين وجملتهم مايه واربعه
وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمايه وثلثه عشر والمذكور
في القران باسم العلم ثمنيه وعشرون نبيا مبشرين بالثواب
ومنذرين بالعقاب حكاه الثعلبي وقال بعض السلف
مبشرين لمن امن بك يا محمد ومنذرين لمن كذبك د
قوله تعالى وانزل معهم الكتاب يعني الكتب والكتاب
اسم الجنس اريد به الجمع وذكر بعضهم انه التوريه ك
قوله بالحق اي بالعدل والصدق ليحكم بين الناس قوله تعالى صح
في الحاكم هاهنا ثلثه اقوال احدها انه الله تعالى والثاني النبي عليه
السلام

عليه السلام من نزل عليه الكتاب والثالث الكتاب لقوله هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق قراة العامه ليحكم بفتح اليا وضم الكاف
وهو اربع مواضع هاهنا وفي ال عمران والنور موضعين
وقرا ابو جعفر والجحدري بضم اليا وفتح الكاف لان الكتاب لا
يحكم على الحقيقه انما يحكم به ولقراة العامة وجهان احدهما
على سعة الكلام كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق والاخر ان معناه ليحكم كل نبي بكتابه واذا حكم
بالكتاب فكانما حكم الكتاب وقرا مجاهد لتحكم بالتا على الخطاب
للنبي عليه السلام قوله تعالى فيما اختلفوا فيه يعني
الدين قوله تعالى وما اختلف فيه في هذه الها ثلثه
اقوال احدها انها تعود الى محمد عليه السلام قاله بن مسعود
والثاني الى الدين قاله مقاتل والثالث الى الكتاب قاله ابو سليمن
الدمشقي وغيره قوله تعالى الا الذين اوتوه الهاء
عايده الى الكتاب اي الى الذين اعطوه وهم اليهود والنصارى
قوله تعالى من بعد ما جاتهم البينات يعني احكام
التورية والانجيل قال الفرا فالاختلاف فيهم معنيان احدهما
كفر بعضهم بكتاب بعض كقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن
ببعض ونكفر ببعض الايه والاخر تحريفهم وتبديلهم كتاب الله
كقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه وقيل هذه الاية
راجعة الى محمد عليه السلام وكتابه اختلف فيه اهل
الكتاب من بعد ما جاتهم البينات صفه محمد عليه السلام في
كتبهم قوله تعالى بغيا بينهم قال الزجاج نصب
بغيا اي ظلما وحسدا على معنى مفعول له والمعنى لم يوقعوا
الاختلاف الا للبغي لانهم عالمون حقيقه الامر في كتبهم قوله

فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق اى لمعرفة ما
اختلفوا فيه يقال هديته الى الشى وللشى وفى الذين اختلفوا فيه
ستة اقوال احدها انه الجمعة جعله اليهود السبت والنصارى
الاحد وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم
الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له اليوم لنا وغدًا لليهود وبعد
غد للنصارى والثانى انه الصلوة فمنهم من يصلى الى المشرق
ومنهم من يصلى الى المغرب والثالث انه ابراهيم عليه السلام
قالت اليهود كان يهوديًا وقالت النصارى كان نصرانيًا والرابع
انه عيسى عليه السلام جعلته اليهود لفرية وجعلته النصارى
الهًا والخامس انه الكتب امنوا ببعضها وكفروا ببعضها والسادس
انه الدين وهو الاصح لان جميع الاقوال داخلة فى ذلك وفى قراءة
ابن مسعود لما اختلفوا عنه اى عن الاسلام قوله
تعالى باذنه اى بعلمه وارادته فيهم وقيل بتوفيقه والله
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة الاية قال قتادة والسدى نزلت هذه الاية
فى غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد
وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى فكان كما
قال الله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل انها نزلت
فى حرب احد ونظيرها فى ال عمران وذلك ان عبد الله بن ابى
واصحابه قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى متى
تقتلون انفسكم وتهلكون اموالكم لو كان محمد نبيًا ما سلط
عليه القتل والاسر فاجابوهم لا جرم من قتل منا دخل الجنة
فقالوا الى متى تمنون انفسكم الباطل فانزل الله هذه الاية

والاستفهام

والاستفهام بام لا يكون فى ابتدا الكلام فلا يقال ام عندك خبر
بمعنى عندك خبر فقوله ام حسبتم يتصل بما قبله وهو كقولك
انت رجل لا تنصف ام لك سلطان تدل به وقيل هو معطوف
على استفهام مقدم اى اعلمتم ان الجنة حفت بالمكاره ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة من غير مكروه وهو كقولك انها لابل ام شاء
وقيل ام بمعنى بل ولا بد من استفهام متقدم فى التقدير قوله
تعالى ولما يأتكم يعنى ولم يأتكم وما صلة كقوله تعالى واخرين
منهم لما يلحقوا بهم ويجوز الوقف على لما تقول اقدم زيد فيقول
المخاطب لما ولا يقول لم قوله تعالى مثل الذين خلوا من
قبلكم اى شبه الذين مضوا من قبلكم من النبيين والمؤمنين
فتصبروا كما صبروا وفيه اضمار اى مثل محنة الذين او مصيبة
الذين مضوا ثم ذكر ما اصابهم فقال تعالى مستهم البأساء قال
عطاء يريد الفقر الشديد والبؤس قوله تعالى والضراء
اى المرض والجوع والزمانة قوله تعالى وزلزلوا اى حركوا
بانواع البلايا والرزايا قوله تعالى حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله بلغ منهم الجهد الى ان استبطؤا
النصر فقال تعالى الا ان نصر الله قريب اى انا ناصر اوليائى لا
محالة ونصرى قريب منهم واختلف القراء فى قوله حتى يقول
الرسول فقرأ مجاهد ونافع وشيبة والاعرج يقول رفعًا
وقرأها الاخرون نصبًا فمن نصب فعلى ظاهر الكلام
لان حتى تنصب الفعل المستقبل ومن رفع فلان معناه
حتى قال الرسول واذا كان الفعل الذى يلى حتى فى معنى
الماضى ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه وجهان الرفع
والنصب فلان حتى لا تعمل فى الماضى والنصب باضمار ان
الحقيقة عند البصريين وبالظرف عند الكوفيين تقول

العرب سرنا حتى ندخل مكه بالرفع اي حتى دخلناها واذا كان
بمعنى المستقبل فالنصب لاغير قال وهب بن منبه وجدوا فيما
بين مكة والطايف سبعين نبيا ميتين كان سبب موتهم
الجوع والقمل وقال وهب ايضا قرات في كتاب رجل من الحواريين
اذا سلك بك سبيل البلا فقر عينا فانه سلك بك سبيل
الانبيا والصالحين واذا سلك بك سبيل الرخا فابك على نفسك
فقد خولف بك عن سبيلهم وعن عاصم بن مصعب بن سعد عن
ابيه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد بلا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبيا ثم الامثل فالامثل من الناس
يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان صلب الدين اشتد بلاوه
وان كان في دينه رقه ابتلي على حسب ذلك فلا يبرح البلا على
العبد حتى يدعه يمشي على الارض وليس عليه خطيه وقال
عبد الرحمن بن زيد كان وزير لعيسى بن مريم ركب يوما فاخذه السبع
فاكله فقال عيسى عليه السلام يا رب وزيري في دينك
وعوني على بني اسرايل وخليفتي فيهم سلطت عليه كلبك فاكله
قال نعم كانت له عندي منزله رفيعه لم اجد عمله يبلغها فابتليته
بذلك لابلغه تلك المنزله قوله تعالى يسلونك ماذا
ينفقون الايه نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كبير
فقال يا رسول الله مماذا نتصدق فانزل الله هذه الايه وفي ماذا
مذهبان احدهما ان تجعل ما استفهاما بمعنى اي شي وذا بمعنى
الذي وينفقون صلته والعايد محذوف فيكون ما مبتدا وذا
صلته خبرا ولا تجعل ذا بمعنى الذي الا مع ما عند البصريين
واجاز الكوفيون ذلك مع غير ما والمذهب الثاني ان تجعل ما
بمنزله اسم واحد للاستفهام وموضعه هنا نصب بينفقون
وموضع الجمله نصب بيسلون على المذهبين واكثر علما

التفسير ان هذه الايه نسختها ايه الزكاه وقال بعضهم انها
محكمه لم تنسخ واليه ذهب الحسن وهي في النوافل والمراد به
النفع في الدنيا والاثار بما يتقرب به الانسان الى الله تعالى فاخبر
ان من قصد ذلك ينبغي ان يبر به المذكورين في هذه الايه وهذا
معنى قول مقاتل فان قيل طابق الجواب السوال وقد سلوا عن
بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف فالجواب ان قوله ما انفقتم
من خير قد تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام
على ما هو اهم لهم وهو المصرف لان النفقه لا يعتد بها الا ان يقع
موقعها قوله تعالى قل ما انفقتم من خير الخير هنا المال
فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما
تفعلوا من خير هذا جزم لانه شرط والجواب فان الله به عليم اي
يجازي عليه قوله تعالى كتب عليكم القتال اي فرض بين
ان ما امتحنوا به وجعل وصله الى الجنه الجهاد والمراد بالقتال
قتال الاعدا من الكفار وكان هذا معلوما لهم بقراين الاحوال
ولم يوذن للنبي عليه السلام بالقتال مده مقامه بمكه فلما هاجر
اذن له في القتال لمن قاتله من المشركين ثم اذن له في قتال
المشركين عامه ثم فرض الله تعالى الجهاد **فصل**
اختلف العلما في حكم هذه الايه فقال بعضهم عنا بذلك اصحاب
محمد عليه السلام خاصه دون غيرهم قال عطا لان القتال مع
النبي عليه السلام كان فريضه وما كان يجوز القعاد عنه اذا
خرج الى جهاد عدو واجرى بعضهم الايه على ظاهرها فقال
الغزو فرض واجب على المسلمين كلهم الى يوم القيمه وهو قول
سعيد بن المسيب قال بعضهم هو فرض على الكفايه اذا قام به
البعض سقط عن الباقين مثل صلوة الجنازه ورد السلام وهو
القول الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور ويدل عليه قوله تعالى

فضل الله المجاهدين على القاعدين درجه وكلا وعد الله الحسنى
ولو كان القاعدون مضيعين فرضا لكان لهم السوء لا الحسنى روى
ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات ولم
يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ومات مات على شعبة من النفاق
قوله تعالى وهو كره لكم اي يشاق عليكم واتفق القرا على
ضم الكاف هاهنا الا ابا عبد الرحمن السلمي فانه قراها بفتح الكاف
وهما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف وقال اكثر
اهل اللغة الكره بالضم المشقه وبالفتح الاجبار وقيل اي وهو
ذو كره لكم اي ذو مشقه والتكاليف مشاق قال اهل المعاني
هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما يدخل فيه على المال من
المونه وعلى النفس من المشقه وعلى الروح من الخطر الا انهم اظهروا
الكراهه او كرهوا امر الله تعالى وقال عكرمه نسختها هذه الاية
قالوا سمعنا واطعنا يعني انهم كرهوه ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا
قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم لان في
الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهاده والجنه
وعسى بمعنى قرب وكاد ويستعمل مع ان في الغالب وعسى
توهم وشك عندنا للناس ويقين وواجب عند الله وهو كقوله
تعالى لعلكم تفلحون قوله تعالى وعسى ان تحبوا شيئا
يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان
الغنيمة والاجر والشر السوء من شررت الشي اي بسطته وشررت
اللحم اي بسطته ليجف وكذلك اشررته والشرر اللهب لانبساطه
فالشر انبساط الضرر قوله تعالى والله يعلم ما فيه
مصلحتكم وانتم لا تعلمون قال ابن عباس كنت ردف النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارض بما قدر وان كان خلاف هواك
انه لمثبت في كتاب الله تعالى قلت يا رسول الله اين وقد قرات القران

قال مكانين وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم الاية وقال الحسن لا تكره الملمات الواقعة
والبلايا الحادثه فلرب امر تكرهه فيه نجاتك ولرب امر تحبه
فيه عطبك انشد ابو سعيد الضرير

رب امر تتقيه جر امرا ترتضيه
خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه

ولابن المغيرة

لا تكره المكروه عند نزوله ان الحوادث لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في درج الحوادث كامنه

وعن عبد الله بن ابي حازم قال بعث المتوكل الى محمد بن الليث
وقد كان نفي في منزله مده فلما اتاه الرسول رعب وركب بلا روح
خوفا منه فمر به رجل وهو يقول

كم رحمة حفت بك المكاره خار لك الله وانت كاره

فلما دخل على المتوكل ولاه مصر وادر له نما به الف وجميع ما
يحتاج اليه من الالات والدواب والغلمان وانشد محمد بن الفرحان

كم فرحة مطوية لك بين اثنا المصايب
ومسرة قد اقبلت من حيث تنتظر المواهب

وانشد ابو عبد الله الوضاحي

ربما خير للفتى وهو للخير كاره
ثم ياتي السرور من حيث تاتي المكاره

قوله تعالى يسلونك عن الشهر الحرام الاية سبب نزولها
انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش الاسدي وهو ابن عمة
النبي عليه السلام في جمادى الاخر قبل قتال بدر بشهرين على
راس تسعة عشر شهرا من قدومه المدينه وبعث معه ثمانيه
رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة

ابن جحش الاسدي وعتبه بن غزوان السلمي وابا حذيفه بن عتبه
ابن ربيعه وسهيل بن بيضا وعامر بن ربيعه وواقد بن عبد الله
وخالد بن بكر وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على
اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلتين
فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن
احدا من اصحابك على المسير فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن معك
من اصحابك حتى تنزل بطن نخله فترصد بها عير قريش لعلك ان
تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعه
ثم قال لاصحابه كذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان
يريد الشهاده فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاني ماض لامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف
عنهم منهم احد حتى نزلوا بطن نخله بين مكة والطايف
فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطايف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمن بن
عبد الله بن المغيره ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش لاصحابه
ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا
راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشه ثم اشرف
عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم
من جمادى الاخر وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم الليله ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم
فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم
وعثمن فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم

واستاق

واستاق المومنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن
فيه الخايف ويتذعر فيه الناس لمعايشهم فسفك فيه الدما واخذ
فيه الحرايب وعير بذلك اهل مكه من كان بها من المسلمين
وقالوا يا معشر الصباه استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وتفالت
اليهود بذلك وقالوا وقد وقدت الحرب وعمرو عمرت الحرب
والحضرمي حضرت الحرب وبلغ ذلك رسول الله فقال لابن جحش
واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وابا ان ياخذ من ذلك شيا فعظم ذلك على اصحاب السريه وظنوا ان
قد سقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا
فراينا هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى
واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الايه فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس
في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السريه وكان اول غنيمه
في الاسلام وبعث اهل مكه في فدا اسيريهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى يقدم سعد وعتبه فان لم يقدما قتلناهما
بهما فلما قدما اخذ الفدا فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع
رسول الله فقتل يوم بير معونه شهيدا واما عثمن بن عبد الله
فرجع الى اهل مكه فمات كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه
يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع
فرسه فتحطما وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال
رسول الله خذوه فانه خبيث الجيفه خبيث الثمن فهذا سبب
قوله تعالى يسلونك عن الشهر الحرام وقيل نزلت في دخول
النبي صلى الله عليه وسلم مكه في شهر حرام يوم الفتح حتى عاب
المشركون عليه القتال في شهر حرام وفي السايلين للنبي عليه السلام

عن ذلك قولان احدهما انهم المسلمون سالوه هل اخطاوا ام اصابوا
قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل والثاني انهم المشركون سالوه على
وجه العيب على المسلمين قاله الحسن ومجاهد وعروة والشهر الحرام
رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في
الجاهلية وكانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول رجب انطووا
على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع له قعقعة السلاح
فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نايم يدل عليه ما روت عائشة رضي الله
عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان رجب شهر الله
ويدعى الاصم وكان اهل الجاهلية اذا دخل رجب يعطلون اسلحتهم
ويضعونها فكان الناس يامنون وتامن السبل فلا يخاف بعضهم
بعضا حتى ينقضي واختلفوا في تحريم القتال في الاشهر الحرم هل نسخ
ام لا فقال عطا هو ثابت الحكم وتحريم القتال فيه باق غير منسوخ الا ان
يقاتلوا فيه او يغزوا وقال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال
جايز في الاشهر الحرم وهذه الاية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الاية وهذا قول
فقهاء الامصار وهو الاصح قوله تعالى قتال فيه بدل من الشهر
الحرام وقيل هو مخفوض على تكرير عن تقديره وعن قتال فيه
وكذلك هي في قراة عبد الله بن مسعود والربيع بن انس وقد قرئ بالرفع
في الشاذ ووجهه على ان يكون خبر مبتدا محذوف معه همزة
الاستفهام تقديره اجايز قتال فيه قوله تعالى قل قتال فيه
كبير مبتدا وخبر وجاز الابتدا بالنكرة لانها قد وصفت فيه
فان قيل النكرة اذا اعيدت بالالف واللام كقوله تعالى
فعصى فرعون الرسول قيل ليس المراد تعظيم القتال المذكور
المسول عنه حتى يعاد بالالف واللام بل المراد تعظيم القتال
المذكور المسول عنه اي قتال كان في الشهر الحرام فعلى هذا قتال

الثاني

الثاني غير قتال الاول قوله تعالى وصد عن سبيل الله
وصد مبتدا وعن سبيل الله صفة له او متعلق به وذلك حين
منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام
عام الحديبية قوله تعالى وكفر به معطوف على صد والمعنى
وكفر بالله قوله والمسجد الحرام اي وبالمسجد الحرام وخبر
الاسما الثلثة اكبر قوله تعالى واخراج اهله منه
اي اهل المسجد الحرام اكبر واعظم وزرا عند الله قوله تعالى
والفتنة اي الشرك اكبر من القتل يعني قتل ابن الحضرمي ولما
نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن جحش صاحب هذه السرية الى
مومني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم
انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المومنين عن البيت
وقيل اراد بالفتنة تعذيبهم المسلمين بانواع العذاب كما فعلوا
ببلال وصهيب قوله ولا يزالون يقاتلونكم يعني مشركي
مكة وهو فعل لا مصدر له مثل عسى قوله تعالى
حتى يردوكم عن دينكم الاسلام الى الكفر ان استطاعوا ثم ذكر حكم
من رجع عن الاسلام الى الكفر فقال ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت جزم بالعطف على يرتدد والجواب فاولئك حبطت
اعمالهم اي بطلت يقال حبط عمله حبط حبوطا واحبطه الله
احباطا واصله الحبط وهو فساد يلحق بالمواشي في بطونها
لاكل الكلا حتى تنتفخ اجوافها واعلم ان من ارتد ثم عاد الى
الاسلام لم يحبط عمله بل ان مات على الردة حينيذ يحبط
عمله وقرا الحسن حبطت بفتح البا في جميع القران قوله
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر قوله تعالى
ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية قال الزهري لما نزلت الاية
وقبض رسول الله العير وفادى الاسيرين وفرج الله عن تلك

اهل السريه قالوا يا نبي الله انطمع ان تكون هذه غزوة نعطى فيها اجر
المهاجرين في سبيل الله فانزل الله فيهم ان الذين امنوا المجد والقران
وهاجروا اى فارقوا عشايرهم واوطانهم والهجر ضد الوصل والهجر
القبيح من الكلام لانه ما ينبغي ان يهجر والهاجرة اسم للوقت الذي
يهجر فيه العمل قوله تعالى وجاهدوا اى المشركين في
سبيل الله وحملوا انفسهم على الجهد والمشقه في قتالهم قوله
تعالى اولئك يرجون رحمه الله اى لهم بما فعلوا على رجا رحمة الله
فان قيل فكيف قال يرجون رحمه الله ورحمه الله للمومنين
مستحقه قلنا عنه جوابان احدهما انهم لما لم يعلموا اجالهم في المستقبل
جاز ان يرجوا الرحمة خوفا ان تحدث من مستقبل امرهم لا يستوجبونها
والثاني انهم لما ارجوا الرحمه لانهم لم يتيقنوها بنا ديه كلما اوجبه الله
تعالى عليهم قال الشعبي اول لواء عقد في الاسلام لواء عبد الله بن
جحش واول مغنم قسم في الاسلام مغنمه قوله تعالى والله
غفور رحيم ظاهر قوله تعالى يسلونك عن الخمر
والميسر الاية سبب نزولها ان جماعة من الانصار اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل فقالوا
يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبه للعقل مسلبه
للمال فانزل الله هذه الاية وجمله القول في تحريم الخمر على ما
قال المفسرون بالفاظ مختلفه ومعان متفقه ان الله تعالى انزل
في الخمر اربع ايات نزلت بمكه من ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا وهو المسكر فكان المسلمون يشربونها
وهي يومئذ لهم حلال ثم نزلت في مسله عمر بن الخطاب ومعاذ
يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما فلما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ربكم تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله

لقوله تعالى فيهما اثم كبير وقالوا لا حاجة لنا في شي فيه اثم كبير
وشربها قوم لقوله تعالى ومنافع للناس فكانوا يستمتعون
بمنافعها ويجتنبون ماثمها الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف
طعاما ودعا ناسا من اصحاب رسول الله واتاهم بخمر فشربوا
وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي
بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون هكذا الى
اخر السورة بحذف لا فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات
الصلوة فقال عمر رضي الله عنه ان الله يقارب في النهي عن شرب
الخمر وما اراه الا سيحرمها فلما نزلت هذه الاية تركها قوم وقالوا
لا خير في شي يحول بيننا وبين الصلوة نشربها ونجلس في بيوتنا
فكانوا يتركونها وقت الصلوة ويشربونها في غير وقت
الصلوة الى ان شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا فزعا يجر رداءه
حتى انتهى اليه ورفع شيا كان بيده ليضربه فلما عاينه الرجل قال
اعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله والله لا اطعمها ابدا
وكان من حمزة رضي الله عنه ما روى علي كرم الله وجهه قال كان
لي شارف من الغنم ودفع الى رسول الله شارفا من الخمس فواعدت
صواغا ليخرج معي فنجي باذخر لابيعه من الصواغين فاستعين
بثمنه على الدخول بفاطمة رضي الله عنها وعرسها قال فعقلت
شارفي عند حايط رجل من الانصار ومضيت لاجمع الحبال
والغراير والاقتاب فجيت وقد بقر بطن شارفي وجبت استمتهما
فلما رايتهما لم املك عيني ان بكيت ثم قلت من فعل هذا بشارفي
فقالوا عمك حمزة وها هو ذا في البيت في شرب من الانصار
عندهم قينه فجاءوا فقالت في غنايها

الا يا حمز للشرف النوآء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من شرائحها كبابا ملهوجة على وهج الصلاء
واصلح من اطايبها طبيخا لشربك من قديرا وشواء
فانت ابا عمارة المرجا لكشف الضر عنا والبلاء

فقام الى شارفيك فغعل بهما ما ترى قال فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمه معه زيد مولاه فقال ما لك يا علي فداك ابي وامي قلت ان عمك فعل بشارفي كذا وخبرته بالخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس نعليه ورداه ومشى بين ايدينا فاتبعته انا وزيد فسلم واستاذن فدخل البيت وقال يا حمزة ما حملك على ما فعلت بشارفي ابن اخيك فرفع راسه فجعل ينظر الى صدر رسول الله والى ساقيه نصوب النظر اليه ثم قال السم وابا وكم عبيداً لابي فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم القهقرى ثم قال ان عمك قد ثمل وهما لك علي فغرمهما الى رسول الله فلما اصبح حمزة غدا على رسول الله يعتذر فقال مه يا عم فقد سالت الله فيك فعفا عنك ودعا عتبان بن مالك رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا منه وقدم لهم خمراً فشربوا حتى اخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وتناشدوا الاشعار فانشد بعضهم قصيدة فيها هجا الانصار وفخر لقومه فقام رجل من الانصار فاخذ لحي بعير فضرب به راس سعد فشجه فانطلق سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله فهل انتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام

فقال

فقال عمر انتهينا يا رب قال انس حرمت ولم يكن شيء للعرب اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من الخمر قال فاخرجنا الحباب الى الطريق فصببنا ما فيها فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ٥ **فصل** اختلف الفقها في ماهية الخمر فقال بعضهم هو خاص فيما اعتصر من العنبة والنخله فغلى بطبعه دون عمل النار فيه وان ما سوى ذلك فليس بخمر وهذا مذهب سفين الثوري وابي حنيفه وابي يوسف واكثر اهل الراي ثم اختلفوا في المطبوخ فقالوا كل عصير طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلال مباح شربه وبيعه الا ان السكر فيه حرام واحتجوا لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخله والعنب واحتجوا في اباحة المطبوخ المثلث بما روى سويد ابن غفله ان عمر رضي الله عنه كتب الى بعض عماله ان ارزاق المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وكذا ابي الدردا وقال ابن المسيب لا باس به والذي يراه الماورد في مثلث غير مسكر يدل عليه قول عمر بن الخطاب ب
ابن عبد العزيز لا تشربوا من الطلا حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكل مسكر حرام وقال قوم اذا طبخ العصير ادنى طبخ صار حلالا وهو قول اسمعيل بن عليه وبشر المريسي وجماعة من اهل العراق وحكي عن بعض فقهايهم انه لا يحرم شي من الانبذه الا النيء منها ولا المطبوخ الا شراب واحد عصير العنب النيء الشديد الذي لم يدخله ما ولا طبخ وهو الخمر فقط وقال مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابو ثور واكثر اهل الاثار ان الخمر كل شراب مسكر سوا كان عصيراً او نقيعا او حبا او مطبوخا او نيا وكل شراب اسكر فهو حرام قليله وكثيره والذي يدل على صحة هذا المذهب من اللغة ان الخمر اصله الستر

ويقال لكل شي ستر شيا من شجر او حجر او غيرهما خمر ويقال
دخل فلان في خمار الناس ومنه خمار المراة فالخمر سمي بذلك
لانه يستر العقل وقال انس بن مالك سميت خمرا لانهم كانوا
يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير ودليلهم من السنه
قوله عليه السلام كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وحكي
ان رجلا من الحكما قيل له لم لا تشرب النبيذ فقال والله ما
ارضى عقلي صحيحا فكيف ادخل عليه ما يفسده فاما الميسر فهو
القمار وقال بن عباس كان الرجل في الجاهليه يخاطر الرجل
على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله
هذه الاية والميسر مفعل من قول القايل يسر لي الشي اذا وجب
فهو ييسر يسرا وميسرا على وزن ضرب يضرب ضربا والياسر
الواجب بالقداح وقيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر
وقيل الميسر من اليسر وهو تسهيل الشي وذلك ان اهل الثروة
من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها اجزا
قال عطا ومجاهد كل شي فيه قمار فهو من الميسر حتى
لعب الصبيان بالجوز والكعاب وقال علي كرم الله وجهه النرد
والشطرنج من الميسر وعن القاسم بن محمد انه قال كل شي الهى
عن ذكر الله وعن الصلوة فهو ميسر قوله تعالى
قل فيهما اثم كبير قرا اهل الكوفه بالثا الا عاصما وقرا
الباقون بالبا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى وانهما
اكبر من نفعهما وقوله تعالى حوبا كبيرا واراد الاثم بسببهما
من المخاصمه والمشاتمه وقول الفحش وزوال العقل والمنع
من الصلوة والقمار يورث العداوة بان يصير مال الانسان
الى غيره بغير جزا ياخذه عليه قوله تعالى ومنافع
للناس منفعه الخمر ما كانوا يصيبونه من المال في بيعها

واللذة

واللذة عند شربها والتقوى بها وتعين على الباه وتسخي البخيل وتشجع
الجبان وتصفي ومنفعه الميسر ما يصاب من القمار وقيل منفعته
ما يصيبون به من انصبا الجزور وذلك انهم كانوا يتياسرون
على الجزور فاذا فلج الرجل منهم اصحابه نحروه ثم اقتسموا به اعشارا
على عدة القداح وقيل فيهما اثم كبير بعد التحريم ومنافع قبل التحريم
قوله تعالى وانهما اكبر من نفعهما فيه قولان احدهما
ان اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وهذا قول بن عباس
والثاني ان كلاهما قبل التحريم يعني ان الاثم الذي يحدث بسببهما
اكثر من نفعهما لان النفع في الدنيا وما يحصل من الاثم يضر
بالاخرة وهذا قول سعيد بن جبير قوله تعالى ويسلونك
ماذا ينفقون الاية نزلت في عمرو بن الجموح لما نزل قوله قل للوالدين
والاقربين اعاد السوال وسال عن مقدار النفقه فانزل الله تعا لى
قل العفو والسوال الاول كان سوال عن النفقه الى من يصرف
وقرا الحسن وقتاده وابن ابي اسحق وابو عمرو قل العفو بالرفع على
معنى الذي ينفقون هو العفو وقرا الاخرون بالنصب واختاره
ابو عبيد وابو حاتم على معنى قل انفقوا العفو قال الزجاج العفو
في اللغة الكثرة والفضل يقال قد عفا القوم اذا كثروا وقال
تعالى حتى عفوا اي كثروا وقال بن قتيبه العفو الميسور يقال خذ
ما عفا لك اي ما اتاك سهلا بلا اكراه ولا مشقه واختلف
المفسرون في المراد بالعفو هاهنا على خمسة اقوال احدها ما
فضل عن حاجة المرء وعياله قاله عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب
وقتاده وعطا والسدي وابن ابي ليلى وهي رواية مقسم عن بن
عباس والثاني ما تطيب به انفسهم من قليل وكثير رواه عطيه
عن بن عباس والثالث هو القصد بين الاسراف والاقتار
قاله الحسن والرابع هو الصدقة المفروضه قاله مجاهد والخامس

ما لا تبين عليهم مقدار في اموالهم والكل متقارب في المعنى
قال الكلبي كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له مال
من ذهب او فضة او زرع او ضرع نظر الى ما يكفيه وعياله لنفقة
سنة امسكه وتصدق بالباقي وان كان ممن بيده امسك ما
يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بالباقي حتى نزلت الزكوة المفروضة
فنسخت هذه الاية وكل صدقة امر بها قبل نزول الزكوة واذا قلنا
ان هذه الاية محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد او على
الصدقة المندوب اليها فهي محكمة غير منسوخة قوله تعالى
كذلك يبين الله لكم الايات قال الزجاج انما قال ذلك على الواحد
وهو يخاطب الجماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قال كذلك
ايها القبيل يبين الله لكم وجايز ان يكون الخطاب للنبي عليه السلام
لان خطابه مشتمل على خطاب امته لقوله يا ايها النبي اذا طلقتم
النسا ونحوها كثير قال المفضل معنى الاية كذلك يبين الله لكم
الايات في امر النفقة لعلكم تتفكرون في امر الدنيا والاخرة فتحبسو ن
من اموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم
في العقبى وقال اكثر المفسرين معناها هكذا يبين الله
لكم الايات في امر الدنيا والاخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا
وفنايها فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقايها فترغبوا فيها ذ
قوله تعالى ويسلونك عن اليتامى قال الضحاك والسدي
وابن عباس في رواية عطية كانت العرب في الجاهلية يعظمون شان
اليتيم ويشددون امره حتى كانوا لا ياكلونه ولا يركبون له دابة
ولا يستخدمون له خادما وكانوا يتشاءمون بملابسة اموالهم فلما جا
الاسلام سالوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية وقال قتادة والربيع وابن عباس في رواية سعيد بن
جبير وعلي بن ابي طلحة لما نزل في امر اليتامى ولا تقربوا مال اليتيم

الا

الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده وقوله ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اموال اليتامى وعزلوا طعامهم واجتنبوا
مخالطتهم في كل شي حتى كان يصنع لليتيم طعاما فيفضل منه
شي فيتركونه لا ياكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم وسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فنزلت ويسلونك عن اليتامى
وفي السايل للنبي عليه السلام عن قولان احدهما ثابت بن رفاعة ذلك صح
الانصاري قاله مقاتل والثاني عبد الله بن رواحة قاله ابو سليمن
الدمشقي ٥ قوله تعالى قل اصلاح لهم خير اصلاح مبتدا
ولهم نعت له وخير خبره فيجوز ان يكون التقدير خير لهم وقرا طاوس
قل صلاح لهم خير يعني الاصلاح لاموالهم من غير اجرة ولا اخذ
عوض منهم خير واعظم اجرا قوله تعالى وان تخالطوهم
اي تشاركوهم في اموالهم وتخلطوها باموالكم فتصيبوا من اموالهم
عوضا من قيامكم بامورهم قال ابن عباس المخالطة ان يشرب
من لبنك وتشرب من لبنه ويأكل في قصعتك وتاكل في
قصعته فالمخالطة جايزة بشرط ان يعلم ان الذي يذهب من
مال اليتيم هو الذي يذهب لو افرده بالمعيشة او يعلم ان ما يرجع
الى هذا القيم بامر اليتيم بقدر اجرة مثله وقيل تخالطوهم اي تعا شروهم
ولا تجانبوهم وقيل اراد المخالطة بالنكاح اذا كان فيها
غبطة لليتامى ٥ قوله تعالى فاخوانكم اى فهم اخوانكم
والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض
وقرا ابو مجلز فاخوانكم بالنصب اى تخالطوا اخوانكم او فاخوانكم
تخالطون ثم قال تعالى والله يعلم المفسد لاموالهم من المصلح لها
فاتقوا الله في مال اليتيم ولا تجعلوا مخالطتهم اياكم ذريعة الى
فساد اموالهم واكلها بغير حق والمفسد والمصلح هنا جنسان
وليس الالف واللام لتعريف المعهود قوله تعالى ولو

شا الله لاعنتكم المفعول محذوف تقديره ولو شا الله اعناتكم لاعنتكم
ومعنى الاعنات الحمل على المشقة التي لا تطاق يقال اعنت فلان
فلانا اي اوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه يقال عقبة عنوت
اي شاقة كوود وعنت العظم المجبور اي انكسر بعد الجبر والمعنى
ولو شا الله لكلفكم ما يشتد عليكم واثمكم في مخالطتهم قوله
تعالى ان الله عزيز اي في ملكه حكيم فيما امركم به قوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية نزلت في مرثد بن ابي مرثد
الغنوي وقال مقاتل هو ابو مرثد الغنوي واسمه ايمن وقال
عطا هو ابو مرثد كناز بن الحصين وكان شجاعا قويا فبعثه رسول الله
الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به
امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلة في الجاهلية
فاتته فقالت له يا مرثد الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام
قد حال بيننا وبين ذلك فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن
ارجع الى رسول الله فاستامره ثم اتزوجك فقالت ابي تتبرم ثم استغاثت
عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة
انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه الذي كان
من امره وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله احل
لي ان اتزوجها فانزل الله ولا تنكحوا المشركات الاية وقيل نزلت
في عبد الله بن رواحة كانت له امة سودا وانه غضب عليها
فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرها وقال
يا رسول الله هي تصوم وتصلي وتحسن الوضو وتشهد ان لا اله
الا الله وانك رسوله فقال يا عبد الله هذه مومنة فقال والذي
بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل وعابه ناس من
المومنين وقالوا انكح امة وكانوا يرغبون في نكاح المشركات
رغبة في احسابهم فنزلت هذه الاية رواه السدي عن اشياخه

وقد

وقد ذكر بعض المفسرين ان قصة عناق وابي مرثد كانا سببا لنزول
هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وقصة ابن رواحة كانت
سببا لنزول قوله ولامة مومنة خير من مشركة قال المفضل اصل
النكاح الجماع ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد التزويج النكاح
وقيل يطلق في اللغة لفظ النكاح على الوطي وعلى العقد
جميعا فاذا قيل نكح فلان بنت فلان فهم منه العقد فاذا قيل نكح
فلان زوجته فهم منه الوطي وقال الفرا النكح المراة بضم النون
بضعها ويقال نكحها فلان اي اصاب بضعها وفي المشركات هاهنا
قولان احدهما انه يعم الكتابيات وغيرهم وهو قول الاكثر والثاني
انه خاص في الوثنيات وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وفي
المراد بالامة قولان احدهما انها المملوكة وهو قول الاكثرين
فيكون المعنى نكاح امة مومنة خير من نكاح حرة مشركة والثاني
انها المراة وان لم تكن مملوكة كما يقال هذه امة الله وهو قول
الضحاك والاول اصح قوله تعالى ولو اعجبتكم اي المشركة
لمالها وجمالها وحسبها ثم قال القايلون بان المشركات الوثنيات
هي محكمة وزعم بعض من نصر هذا القول ان اليهود والنصارى
ليسوا بمشركين بالله وان جحدوا نبوة محمد عليه السلام وهذا فاسد
من وجهين احدهما ان حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا
عزير بن الله والمسيح بن الله ثم قال بعد ذلك سبحانه عما يشركون فسماهم
مشركين والثاني ان من كفر بمحمد فقد زعم ان ما اتى به محمد من عند
غير الله وهذا اشراك فاما القايلون بانها عامة في جميع المشركات
فلهم في ذلك قولان احدهما ان بعض حكمها منسوخ بقوله تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وبقي الحكم في غير
اهل الكتاب محكما والثاني انها ليست بمنسوخة ولا ناسخة بل هي
عامة في جميع المشركات وما اخرج عن عمومها من اباحة كافرة

فدليل خاص وهو قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم فبهذه خصت عموم تلك من غير نسخ وعلى هذا عامة الفقها
وقد روى معناه عن جماعة من الصحابة منهم عثمان وطلحة وحذيفة
وجابر وابن عباس قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين ماضي تنكحوا
ثلثة احرف يقال نكحت المراة نفسها اذا تزوجت ولا تنكحوا بضم التا
لانه من انكحت الرجل اذا زوجته والمعنى لا تزوجوهم مسلمة حتى
يومنوا والكلام في قوله ولعبد مومن وفي قوله ولو اعجبكم مثل
الكلام في اول الاية قوله تعالى اولئك يدعون اي
المشركين الى النار اي الى الاعمال الموجبة للنار والله يدعوا الى
الجنة والمغفرة يقول الى التوبة والتوحيد والعمل الموجب لهما
باذنه وقيل فيه اختصار اي يدعوا الى الجنة ولا وصول اليهما
ولا هداية الا باذنه وقرا الحسن والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
باذنه برفع المغفرة وقرى ولا تنكحوا المشركات بضم التا اي لا
تزوجوهن اذ لا ولاية مع اختلاف الدين قوله تعالى
ويبين اياته للناس اي اوامره ونواهيه لعلهم يتذكرون ٥
قوله تعالى ويسلونك عن المحيض الاية قال ابن عباس
ما رايت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما سالوا الا عن ثلث عشر مسله حتى قبضن كلهن في القران
يسلونك عن الشهر الحرام ويسلونك ماذا ينفقون قل العفو
ويسلونك عن الاهلة ويسلونك عن الخمر والميسر ويسلونك
عن اليتامى ويسلونك عن المحيض يسلونك عن الساعة واذا
سالك عبادي عني يسلونك عن الانفال ويسلونك عن الروح
ويسلونك عن ذي القرنين ويسلونك عن الجبال قال
المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها
ولم يشاربوها في بيت ولم يجالسوها على فرش كفعل المجوس واليهود — ولم يباكلوها صح

فسال

فسال ابو الدحداح ثابت بن الدحداح رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنسا اذا حضن
فانزل الله تعالى ويسلونك عن المحيض وكانت النصارى يجامعون
الحيض فامر الله بالقصد بين هذين وفي المحيض قولان احدهما
انه اسم للحيض قال الزجاج يقال قد حاضت المراة تحيض حيضا
ومحاضا ومحيضا وقال ابن قتيبة المحيض الحيض والثاني انه اسم
لموضع الحيض كالمقيل فانه موضع القيلولة والمبيت موضع
البيتوتة فاما ارباب القول الاول فاكروه بان في اللفظ ما يدل
على قولهم وهو انه وصفه بالاذى وذلك صفة لنفس الحيض لا
لمكانه واما ارباب القول الثاني فقالوا لا يمتنع ان يكون الحيض
صفة للموضع ثم وصفه بما قاربه وجاوره كالعقيقة فانها اسم لشعر
الصبي وسميت بها الشاة التي تذبح عند حلق راس الصبي
مجازا واصل الحيض الانفجار يقال حاضت الاشجار اذا سال
منها شي كالدم ومنه الحوض لان الما يحيض اليها اي يسيل
قوله تعالى قل هو اذى اي هو شي تتاذى به المراة
وغيرها اي برائحة دم الحيض والاذى كناية عن القذر
في الجمله ٥ قوله تعالى فاعتزلوا النسا في المحيض
اي في زمان الحيض ان حملت على المصدر او في محل الحيض ان
حملته على الاسم ٥ فصل الحايض تمنع من سبعة اشيا
احدها الصلوة جوازا ووجوبا الثاني الصوم ثم يلزمها قضا
الصوم دون الصلوة لقول عايشة رضي الله عنها كنا نومر
بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلوة روى ابو سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت من ناقصات
عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداهن
فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال اليس شهادة

المراة مثل نصف شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها اوليس اذا
حاضت المراة لم تصل ولم تصم قلنا بلى قال فذلك من نقصان دينها
الثالث انها تمنع من قراة القران وقد رخص فيه مالك اذا اطالت
المدة خوفا من النسيان الرابع انها تمنع من مس المصحف الخامس انها
تمنع من دخول المسجد والاعتكاف فيه السادس انها تمنع من الطوفان
بالبيت السابع انها تمنع من الوطي قال تعالى فاعتزلوا النسا في المحيض
فلما نزلت هذه الاية عمد المسلمون الى النسا الحيض فاخرجوهن من البيوت
واعتزلوهن فاذا تطهرن ردوهن الى البيوت فقدم ناس من اعراب
المدينة فشكوا عزل الحيض عنهم وقالوا يا رسول الله ان البرد لشديد
وان الثياب لقليلة فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت بردا
وليس كلنا يجد سعة فقال لهم رسول الله انما امرتكم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقرا عليهم
هذه الاية واختلفوا في المراد بالاعتزال على ثلثة اقوال احدها
اعتزال جميع بدنها ان يباشره بشي من بدنه وهو قول عبيدة السلماني
والثاني ما بين السرة والركبة وهذا قول شريح وبه قال ابو حنيفة
ومالك وابو يوسف وظاهر مذهب الشافعي والثالث الفرج
وما دونه يباح وهو قول عايشة وميمونة وحفصة وجمهور المفسرين
واحمد وداود وابي اسحق وابي علي بن ابي هريرة ومحمد بن الحسن قال
انس لما نزل قوله تعالى ويسلونك عن المحيض الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افعلوا كل شي الا الجماع فبلغ ذلك اليهود فقالوا
ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا فيه روى ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وطي امراة وهي حايض
فقضي بينهما ولد فاصابه جذام فلا يلومن الا نفسه ومن احتجم يوم
السبت او الاربعا فاصابه وضح فلا يلومن الا نفسه فان وطيها مع العلم
بالتحريم اثم ووجب عليه على قول الشافعي في القديم في اقبال الدم ان

يتصدق

يتصدق بدينار وفي ادباره نصف دينار وحكي عن سعيد بن جبير انه
قال يجب عليه عتق رقبة وقال احمد هو مخير بين دينار ونصف دينار
وحكي عن الحسن البصري وعطا انه يجب عليه كفارة الفطر في شهر رمضان
وقال الشافعي في الجديد لا شي عليه سوى التوبة وبه قال مالك
وابو حنيفة ووطي المستحاضة في غير ايام الحيض مباح وقال احمد
لا يجوز الا ان يخاف العنت قوله تعالى ولا تقربوهن يعني
ولا تجامعوهن حتى يطهرن بتشديد الطا والها ومعناه يغتسلن يدل
عليه قراة عبد الله حتى يتطهرن بالتا على الاصل وقرا الباقون يطهرن
مخففا ومعناه يطهرن من حيضهن وينقطع الدم فصل
اختلف الفقها في الحايض متى يحل وطيها فقال الشافعي لا يحل
وطيها الا بشرطين انقطاع الدم والاغتسال وهو قول سالم بن عبد الله
وسليمان بن يسار والقسم بن محمد والليث بن سعد وزفر وقال
ابو حنيفه وصاحباه اذا طهرت المراة لعشرة ايام حل وطيها دون
ان تغتسل وان طهرت لما دون ذلك لم يحل وطيها الا باحدى
ثلث ان تغتسل او تمضي لها اقرب وقت الصلوة فيحكم لها بذلك
حكم الطاهرات في وجوب الصلوة في ذمتها او تتيمم وقال
مجاهد وطاوس وعطا اذا طهرت الحايض من الدم واخذ زوجها
شبق فان غسلت فرجها وتوضات ثم اتاها جاز وقال الحسن البصري
اذا وطي الرجل امراته بعد انقطاع الدم قبل ان تغتسل فعليه
من الكفارة مثل ما عليه اذا وطي الحايض فان لم تجد الما تيممت
وحل وطيها وقال مكحول لا يحل وطيها بالتيمم فاذا اراد الرجل
ان ياتي امراته فذكرت انها حايض قال القاضي حسين ان كانت
فاسقة لم يقبل قولها وان كانت عفيفة قبل قولها وفي هذا
نظر بل يجب ان يعتبر في ذلك مكان صدقها في قبول قولها
كما اعتبر ذلك في انقضا العدة ولم يعتبر العدالة والفسق ه

قوله تعالى فاذا تطهرن اي اغتسلن دليله قوله تعالى ويحب
المتطهرين ولا يحمد الانسان على ما لا صنع له فيه والاغتسال فعلها
وانقطاع الدم ليس من فعلها ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان كنتم
جنبا فاطهروا واطهروا وتطهروا بمعنى واحد وهو الاغتسال قوله تعالى
فاتوهن اي فجامعوهن من حيث امركم الله فيه اربعة اقوال احدها
معناه من قبل الطهر لا من قبل الحيض قاله ابن عباس وابو رزين وقتادة
والسدي والثاني معناه فاتوهن من حيث امركم الله ان لا تقربوهن
فيه في حال الحيض وانما قال امركم الله والمعنى نهاكم لان النهي امر بترك
المنهي عنه ومن بمعنى في كقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة قاله مجاهد والثالث فاتوهن من قبل التزويج الحلال لا من
قبل الفجور قاله ابن الحنفيه والرابع فاتوهن من الجهات التي يحل ان
تقرب فيها المراة ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل ان تكون صايمة
او محرمة او معتكفة قاله ابن كيسان والزجاج قال الفرا هذا مثل قولك
ايت الامر من مأتاه اي من الوجه الذي يؤتى منه قوله
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فيه خمسة اقوال احدها يحب
التوابين من الذنوب والمتطهرين بالما من الاحداث والحيض والجنابات
والنجاسات بيانه قصة اهل قبا قاله عطا ومقاتل بن سليمان والكلبي
والثاني يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك والرابع المتطهرين
من الذنوب لا يصيبونها قاله سعيد بن جبير والخامس يحب
التوابين من الكباير والمتطهرين من الصغاير التوابين من الافعال
والمتطهرين من الاقوال التوابين من الاقوال والافعال والمتطهرين
من العقود والاضمار التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب
حكى ذلك الثعلبي والتواب هو الذي كلما اذنب تاب نظيره قوله
تعالى انه كان للاوابين غفورا وعن جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل ممن كان قبلكم من بني اسرايل

بجمجمة فنظر اليها فقال اي رب انت انت وانا انا انت العواد بالمغفرة
وانا العواد بالذنوب فرفع راسه فغفر له قوله تعالى
نساوكم حرث لكم الاية عن جابر ان اليهود قالوا للمسلمين من اتى
امراته وهي مدبرة جا ولدها احول فانزل الله تعالى نساوكم حرث
لكم الاية رواه البخاري ومسلم وقيل ان ناسا من قريش كانوا يتزوجون
النسا بمكة ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات فلما قدموا
المدينة تزوجوا من الانصار فذهبوا ليفعلوا ذلك فانكرنه
وانتهى الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية رواه
مجاهد عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال جا عمر رضي الله
عنه الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله هلكت قال ما الذي
اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيا فانزل
الله تعالى هذه الاية وهذا محمول على الاتيان من خلفها بعد ان
يكون المأتى واحدا فاما الاتيان في غير المأتى فما كان مباحا ولا يباح
ومعنى قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد واراد به المحترث
والمزدرع ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات
فسميت المراة حرثا لانها من اسباب الحرث او لانها موضع الحرث
فان قيل النسا جمع فلم قال حرث ولم يقل حروث قلنا عنه اجوبة
احدها ان يكون الحرث مصدرا في موضع الجمع فلزمه التوحيد
كما تقول العرب اخوتك صوم واولادك فطر يريدون صايمين
ومفطرين الثاني ان يكون اراد حروث لكم فاكتفى بالواحد
عن الجمع والثالث معناه كحرث لهم كقوله تعالى حتى اذا جعله
نارا اي كنار والعرب تسمي النسا حرثا وانشد المبرد الاعرابي
وصف امراته باكل الجراد

اذا اكل الجراد حروث قوم فحرثي همه اكل الجراد

وانشد احمد بن يحيى ثعلب جذامن هبة الله البنات الصالحات

هن للنسل وللزرع وهن الشجرات
فجعل الله لنا فيها انشا البركات
انما الارحام ارضون لنا محترثات
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

وفي الاية دليل على تحريم ادبار النسا لانها موضع الفرث لا موضع الحرث • قوله تعالى فاتوا حرثكم انى شيتم انا حرف انا حرف استفهام ويكون سوالا عن الحال وفيه ثلثة اقوال احدها انه بمعنى كيف شيتم مقبلة ومدبرة اذا كان الاتيان في الفرج وهذا قول بن عباس ومجاهد وعطية والسدي والثاني ان المراد به العزل قاله سعيد بن المسيب والمعنى ان شيتم فاعزلوا وان شيتم فلا تعزلوا سيل بن عباس عن العزل فقال حرثك فان شيت فاعطش وان شيت فاروو وقال عبد الله تستامر الحرة في العزل دون الامة والثالث انه بمعنى اذا شيتم ومتى شيتم من ليل او نهار وهو قول ابن الحنفيه والضحاك ويكون انى بمعنى اين لقوله تعالى انى لك هذا اي من اين وقد وهم بعض الفقها في تاويل هذه الاية وتعلق بظاهر خبر رواه وهو ما روى مالك بن انس عن نافع قال كنت امسك على بن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم قال تدرى فيما نزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك فنزلت هذه الاية وربما اضيف الى مالك وقد انكرت هذه الرواية عن بن عمر وروى عنه غيرها وان صحت الروايه فالمراد به اتيانهن في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار قوله عليه السلام ان الله لا يستحيي من الحق لا تاتوا النسا في ادبارهن وقال عليه السلام لا ينظر الله الى رجل اتى رجلا او امراة في دبرها وقال عليه السلام ملعون من اتى امراة في دبرها • قوله تعالى

وقدموا

وقدموا لانفسكم فيه خمسة اقوال احدها وقدموا لانفسكم الخير والعمل الصالح قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله قاله السدي والثاني انه التسمية عند الجماع روى عن بن عباس وهو قول عطا والثالث انه التزويج بالعفايف ليكون الولد صالحا طاهرا والرابع انه تقديم الافراط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان فظننا انه لو قيل له وواحد لقال وواحد والخامس انه الدعا عند الجماع قاله مجاهد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم ان ياتي اهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر الله بينهما ولد لم يضره الشيطان • قوله تعالى واتقوا الله اي فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا انكم ملاقوه فيجزيكم باعمالكم وقيل ملاقوا ما قدمتم قوله وبشر المومنين اي بجزيل الثواب قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم في سبب نزولها ثلثة اقوال احدها انها نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه شي فحلف بن رواحة ان لا يدخل عليه ولا يكلمه وجعل يقول قد حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان تبر يميني فنزلت هذه الاية روى عن بن عباس وهو قول الكلبي والثاني ان الرجل كان يحلف بالله ان لا يصل رحمه ولا يصلح بين الناس ولا يفعل خيرا فامر الله ان يحنث في يمينه ويفعل ذلك الخير ويكفر عن يمينه قاله الربيع بن انس وغيره والثالث انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم قاله مقاتل بن حيان وقال ابن جريج حدثت انها نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة اصلها الشدة

والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر وتعد له عرضة لقوتها
ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا للمراة هي عرضة
للزوج اذا صلحت له وقويت عليه وقال الفرا عرضة لايمانكم اي
معترضا مانعا والمعترض بين الشيئين مانع من وصول احدهما
الى الاخر وفلان عرضة دون كذا اي معترض دون الوصول اليه
واعترض فلان على فلان اي منع كلامه من الجريان فالعرضة ما
يعترض به كاللعبة وما يلعب بها والاول اصح في كلام العرب
واشعارها وفي معنى الاية قولان احدهما ان العرضة ان تحلف بالله
في كل حق وباطل فيبتذل اسمه وتجعل عرضة وكثرة الحلف بالله
ضرب من الجرأة قاله بن زيد والثاني ان معنى عرضة اي علة يعتل
بها في بره وفيها قولان احدهما ان يمتنع من البر وفعل الخير اذا سيل
فيقول علي يمين ان لا افعل او يحلف بالله في الحال فيعتل في ترك
الخير باليمين وهذا قول طاوس وقتادة والضحاك وابن جبير
والثاني ان تحلف ليفعلن الخير والبر فيقصد بفعله البر في يمينه
لا الرغبة في فعله والايمان جمع يمين وهو القسم قوله تعالى
ان تبروا معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي
لئلا تضلوا وكقوله تعالى رواسي ان تميد بكم ومثله كثير قاله ابو
عبيدة وقال الزجاج تقديره لا تعترضوا باليمين بالله في ان
تبروا فسقط في ووصل الفعل اليه وقال عبد الرحمن بن سمرة
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حلفت على يمين فرايت
غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك قوله
تعالى والله سميع عليم يسمع ايمانكم ويعلم ما تقصدون بها قوله
تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في كلام العرب ما لا
فايدة فيه ولا يعتد به قال الزجاج كل ما لا خير فيه مما يوثم به
او يكون غير محتاج اليه في الكلام فهو لغو قال تعالى والذين هم

عن

عن اللغو معرضون وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا وفي اللغو
هاهنا سبعة اقوال احدها ان يحلف على الشي يظن انه كما حلف
ثم يتبين انه بخلافه والى هذا المعنى ذهب ابو هريرة وابن عباس
والحسن وعطا والشعبي وابن جبير ومجاهد وقتادة والسدي
ومالك والثاني انه لا والله وبلى والله من غير قصد لعقد اليمين
وهو قول عايشة وطاوس والنخعي والشافعي واستدلوا بقوله
تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلب عقده
وقصده وهذان القولان منقولان عن احمد والثالث انه يمين
الرجل وهو غضبان رواه طاوس عن بن عباس وهو قول
علي كرم الله وجهه يدل عليه قوله عليه السلام لا يمين في غضب
والرابع انه الحلف على المعصية لا يواخذ الله بالحنث فيها بل
يحنث في يمينه ويكفر قاله سعيد بن جبير وقال غيره ليس عليه
كفارة بل كفارته ان يتوب منها قال الشعبي كل يمين لا
يحل لك ان تفي بها فليس فيها كفارة ولو امرته بالكفارة لانه
ان يتم على قوله يدل عليه ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر فيما لا يملك فلا نذر
له ومن حلف على معصية فلا يمين له والخامس ان يحلف على شي
ثم ينساه فلا يواخذه الله دليله قوله عليه السلام رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وهذا قول النخعي والسادس
قاله بن زيد هو دعا الانسان على نفسه كقول القايل اعمى الله بصري
ان لم افعل كذا او يقول هو كافر ان فعل كذا وما اشبه ذلك
فهذا لغو اذا كان باللسان دون القلب لا يواخذه الله بها حتى يكون
ذلك من قلبه ولو واخذه بها لهلك يدل عليه قوله تعالى ويدع
الانسان بالشر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا وقوله ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم الاية والسابع لغو

اليمين هو اليمين المكفرة تسمى لغوًا لان الكفارة تسقط منه الاثم تقديره
لا يواخذكم الله بالاثم في اليمين اذا كفرتم قاله الضحاك وقال قوم اللغو
اليمين ان يحلف بابيه او اخيه او من يعز عليه حكاه القشيري
قوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي عزمتم
وقصدتم لان كسب القلب العقد والنية قوله تعالى والله
غفور حليم معنى الحليم في صفة الله تعالى انه لا يعجل بالعقوبة
بل يوخرها والحلم في كلام العرب الاناة والسكون قال الخطابي
لا يستحق اسم الحليم من سامح مع العجز عن المجازاة انما الحليم الصفوح
مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قال الشاعر

لا يدرك المجد اقوام وان كرموا ... حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح احلام

يقال حلم الرجل يحلم حلمًا بضم اللام في الماضي والمستقبل وحلم
في النوم بفتح اللام يحلم حلمًا بضم اللام في المستقبل والحا في المصدر
مضموما ثانيه

فصل في حكم الاية اعلم ان الايمان على وجوه
منها ان يحلف على طاعة كقوله والله لاصلين ولاصومن ونحوهما
فان كان فرضًا فالواجب عليه ان لا يحنث فان حنث فعليه الكفارة
لانه كان عليه فرضًا فزاده تاكيدًا باليمين وان كان تطوعًا ففيه
قولان احدهما ان عليه الكفارة بالحنث فيه والثاني عليه الوفا بما قاله
ولا يجزيه غيره ومنها ان يحلف على معصية وقد ذكرنا حكمه
والاختلاف فيه ومنها ان يحلف على مباح وهو على ضربين ماض
ومستقبل فاليمين على المستقبل مثل ان يقول والله لافعلن
كذا والله لا افعل كذا فان هذا اذا حنث فيه لزمته الكفارة
واليمين على الماضي مثل ان يقول والله لقد كان كذا فلم يكن او
لم يكن كذا وقد كان وهو عالم به فهي اليمين الغموس التي يغمس صاحبها
في الاثم لانه تعمد الكذب ويلزمه الكفارة عندنا وقال ابو حنيفة

لا يلزمه الكفارة ثم اعلم ان المحلوف به على ضروب ضربًا منها يكون
يمينًا ظاهرًا او باطنًا ويلزم الكفارة بالحنث فيها وهو قول الرجل والله
وبالله وتالله فهذه ايمان صريحة ولا يعتبر فيها نية والضرب الثاني
ان يحلف بصفة من صفات الله تعالى كقوله وقدرة الله وعظمة الله
وكلام الله ونحوها فان حكم هذا الحكم الضرب الاول والضرب
الثالث ان يحلف بكنايات كقوله وايم الله وحق الله واقسم بالله
ونحوها فهذه يعتبر فيها النية فان نوى بها اليمين كان يمينًا وان لم
ينو به اليمين لم يكن يمينًا والضرب الرابع ان يحلف بغير الله بان
يقول والكعبة والصلوة واللوح والقلم وقبر محمد عليه السلام وابي وراس
فلان فهذا ليس بيمين ولا يلزمه الكفارة بالحنث فيه وهو يمين
مكروه وقال عليه السلام من كان حالفا فلا يحلف الا بالله ولا
تحلفوا باباءكم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
يقول وابي فنهاه النبي عليه السلام عن ذلك قال عمر فما حلفت بها
ذاكرًا ولا آثرًا واليمين لا تحرم ولا تحلل ولا توجب قوله تعالى
للذين يولون من نسايهم الاية قال قتادة كان الايلا طلاقا في
الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار الجاهلية
كان الرجل لا يريد المراة ولا يريد ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا
يقربها ابدًا فكان يتركها لا ايمًا ولا ذات بعل وكانوا يفعلون
ذلك في الاسلام ايضا فجعل الله الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل
في المراة وهو اربعة اشهر فانزل الله تعالى للذين يولون من نسايهم
وفي حرف عبد الله للذين الوا من نسايهم على لفظ الماضي وقرا ابن عباس
للذين يقسمون من نسايهم والايلا الحلف يقال الى يولي ايلا اذا
حلف ويقال لليمين الالية وحكى ابن الانباري عن بعض اللغويين
انه قال من بمعنى في او على وحروف الصفات يقوم بعضها مقام
بعض فالتقدير يحلفون على وطي نسايهم فحذف الوطي واقام النسا

مقامه كقوله وانا ما وعدتنا على رسلك اى على السنة رسلك
وقيل في الكلام حذف تقديره يولون ان يعتزلوا من نسائهم
فترك ذكره اكتفا بدلالة الكلام عليه والتربص التلبث والتوقف
والمعنى تربص في اربعة اشهر والاضافة التربص الى الاشهر اضافة
المصدر الى المفعول والمعنى فيه في المعنى وهو مفعول به على
السعة وزعم بعضهم انه من المقلوب ٥ لو التربص التصبر **فصل**
لا يكون موليا الا اذا حلف بالله ان لا يصيب زوجته اكثر من اربعة
اشهر فان حلف على اربعة اشهر فما دونها لم يكن موليا وهذا مذهب
مالك والشافعي واحمد وابي ثور وروى ذلك عن ابن عباس
وقال ابو حنيفة اذا حلف على ترك وطيها اربعة اشهر كان موليا
وقال النخعي وابن ابي ليلى وقتادة والحسن وحماد واسحق
اذا حلف لا يطاها يومين او اقل او اكثر كان موليا واختلفوا
في اليمين الذي يصير بها موليا على قولين احدهما هي اليمين بالله وحده
وهو قول الشافعي في القديم والثاني هي كل يمين لزم الحالف
بها ما لم يكن لازما كالطلاق والعتاق والصوم والصلوة وهو
قوله الجديد وبه قال مالك وابو حنيفه ولا فرق في الايلا بين حال
الغضب وحال الرضا وقال مالك اذا كان للاصلاح لم يكن
ايلا وحكى عن علي وابن عباس انهما قالا انما الايلا في حال الغضب
والحر والعبد في مدة الايلا سوا وهذا قول احمد في احدى الروايتين
وقال مالك وابو حنيفه تختلف هذه المدة بالرق والحرية الا ان
مالكا يقول الاعتبار بالزوج وابو حنيفه يقول الاعتبار بالمراة
وهذه الرواية الاخرى عن احمد ويصح ايلا الكافر وهو قول
ابو حنيفه وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاوه بالله ويصح بالعتق
والطلاق ٥ قوله تعالى فان فاوا اي رجعوا والفئ الرجوع
من حال الى حال كقوله حتى تفئ الى امر الله ويقال فا يفئ فيا وفية

ومنه

ومنه الفي للظل بالعشي لانه الذي نسخته الشمس وليس في الجنة
ظل وليس فيها في لانه لا شمس فيها وفي الفي ثلثه اقوال
احدها انه الجماع لا غير وهو قول ابن عباس والثاني انه الجماع
لغير المعذور والنية بالقلب للمعذور وهو قول الحسن وعكرمة
فان استدخلت ذكره وهو نايم لم يحنث وهل يخلص من الايلا فيه
وجهان وان وطيها وهو مجنون لم يحنث وهل يسقط حقها فيه
وجهان الظاهر انه يسقط والثالث انه المراجعة باللسان بكل
حال وهو قول ابي قلابة وابراهيم ٥ قوله تعالى فان الله غفور
رحيم فيه قولان احدهما اراد غفران الاثم وعليه الكفارة وهو قول علي
وابن عباس والجمهور وهو مذهب مالك وابي حنيفه واحمد وقول
الشافعي في الجديد والثاني غفور في اسقاط الكفارة وهو قول الحسن
وابراهيم وقول الشافعي في القديم ٥ قوله تعالى وان عزموا
الطلاق فيه ثلاثة اقوال احدها ان عزيمة الطلاق ان لا يفي
حتى تمضي اربعة اشهر فتطلق بذلك والعزم عقد القلب على الشي
يعزم عزما والطلاق مصدر طلقت المراة تطلق طلاقا وطلقت
بضم اللام ويجوز بفتحها والرجل يعزم بقلبه ويطلق بلسانه وقد
ذكر الله العزم واراد به انشا اللفظ وهو قوله ولا تعزموا عقدة
النكاح وما هن عن النية واختلف من قال بهذا في الطلاق
الذي يلحقها على قولين احدهما طلقة باين وهو قول عثمان وعلي
وزيد بن ثابت وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وقتادة ومقاتل
ابن حيان والكلبي ومذهب ابي حنيفه والثاني طلقة رجعيه وهو
قول ابن المسيب وابي بكر بن عبد الله وابن شبرمة والقول الثاني
ان بمضي اربعة اشهر يستحق عليه ان يفي او يطلق وهو قول علي وعمر
والشافعي واهل المدينة واحمد فان امتنع من الطلاق والفية
جميعا طلق عليه الحاكم وهو قول الشافعي في الجديد وقيل يحبسه

ابدًا حتى يطلق او يفي اليها والقول الثالث ليس للابلاء شي وهو قول
سعيد بن المسيب ‹ قوله تعالى فان الله سميع عليم سميع ايلاوه
وطلاقه عليم بنيته وضميره قوله تعالى والمطلقات يتربصن
بانفسهن الاية سبب نزولها ان المراة كانت اذا طلقت وهي راغبة
في زوجها قالت انا حبلى وليست حبلى لكي يراجعها وان كانت حبلى
وهي كارهة قالت لست حبلى لكي لا يقدر على مراجعتها فلما جا
الاسلام ثبتوا على هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن لعدتهن الاية ثم نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلثة قروء رواه ابو صالح عن بن عباس والاية مخصوصة بقوله تعالى
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها وبقوله تعالى واولات الاحمال ان يضعن حملهن
وبقوله تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلثة اشهر
واللاي لم يحضن اما التفسير فالطلاق التخلية يقال اطلقته وطلقته
اذا خليته الا انهم لكثرة استعمالهم اللفظتين فرقوا بينهما ليكون التطليق
مقصورًا في النكاح وبذلك نزل القران واصله من قولهم انطلق
الرجل اذا مضى بغير مانع والمراد بالاية المدخول بها ومعنى التربص
الانتظار اي ينتظرن بانفسهن انقضا ثلثة قروء ولا يتزوجن وانتصب
ثلثة هنا على الظرف وكذلك كل عدد اضيف الى زمان او مكان
فصل اختلف الفقها في القرو فقال قوم هو الحيض وهو قول
عمر وعلي وابن مسعود وابي موسى الاشعري ومجاهد ومقاتل بن
حيان ومذهب سفين وابي حنيفة واهل الكوفة واحتجوا بقوله
عليه السلام للمستحاضة دعي الصلوة ايام اقرائك والصلوة انما تترك
في ايام الحيض فعلى هذا لا تحل للازواج ولا تخرج من العدة ما
لم تنقضي الحيضة الثالثة وقال اخرون هي الاطهار وهو قول زيد
ابن ثابت وابن عمر وعايشة ومذهب مالك والشافعي واهل

المدينة

المدينة واحتجوا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن
لعدتهن وقال عليه السلام لما طلق بن عمر زوجته وهي
حايض مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق او ليمسك فلا عليه
فطلقوهن لعدتهن فاخبر النبي عليه السلام ان العدة الاطهار
دون الحيض لانها حينيذ تستقبل العدة ولو طلقت حايضًا لم
تستقبل عدتها الا بعد الحيض وانما وقع هذا الاختلاف
لان القرو في اللغة من الاضداد واختلفوا في اصله فقال ابو عمرو
ابن العلا وابو عبيدة هو الوقت لمجي الشي وذهابه يقال رجع فلان
لقرئه وقاربه اي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قاري الرياح اي وقت
هبوبها والقرو يصلح للوجهين لان الحيض ياتي لوقت والطهر
ياتي لوقت وقيل هو من القرا وهو الحبس والجمع ومنه اخذ
اسم القران لاجتماع حروفه وهو اختيار الزجاج فالقرو
احتباس الدم واجتماعه وهو يكون في حال الطهر والحيض
جميعًا فمن جعله اسمًا للحيض سماه بذلك لاجتماع الدم في الرحم
ومن جعله اسمًا للطهر فلاجتماعه في البدن الا ان الترجيح للطهر
لانه يجمع الدم ويحبسه والحيض يرخيه ويرسله قال الاصمعي
القياس ثلثة اقرو لان القرو جمع الكثرة ولا يقال ثلثة فلوس
وانما يقال ثلثة افلس ولكنه اراد ثلثة من القرو وقيل لما
كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فاتي ببنا
الكثرة لذلك وقيل لما جمع في المطلقات اتى بلفظ الكثرة
فصل في حكم الاية اعلم ان لفظها خبر ومعناه امر كقوله
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن وامثاله وقد ياتي لفظ
الامر في معنى الخبر كقوله تعالى فليمدد له الرحمن مدا وقيل
هو على بابه والمعنى حكم المطلقات ان يتربصن ثلثة قروء
او ليتربصن بحذف اللام **فصل** اعلم ان العدة على ضربين

عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها فعدة المطلقة على ثلثة
اضرب عدة الحايض ثلثة قروء وعدة الحامل ان تضع حملها وعدة
الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي ايست ثلثة اشهر وعدة المتوفى
عنها زوجها ضربان ان كانت حاملا فبوضع الحمل والا فعدتها
اربعة اشهر وعشر دخل بها الزوج او لم يدخل بها وعدة الامة نصف
عدة الحرة فيما له نصف وفي الاقرا قرءان لانها لا تتنصف ولا عدة
على من لم يدخل بها زوجها اذا طلقت ۵ قوله تعالى ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الرحم منبت الولد
ووعاؤه في البطن يجوز ان يكون ما بمعنى الذي وان يكون موصوفة
والعايد محذوف اي خلقه في ارحامهن فيتعلق بخلق ويجوز ان يكون
حالا من المحذوف وهي حال مقدرة لان وقت خلقه ليس بشي حتى يتم
خلقه وفي معنى الاية قولان احدهما انه الحيض وهو قول عكرمة
والزهري والنخعي وهو ان تعتد المراة فيريد الزوج ان يراجعها
فتقول اني قد حضت الثالثة والثاني انه الحمل فمعنى الاية لا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والحمل ليبطل
حق الزوج في الرجعة فان المراة امينة على فرجها قاله بن عباس
وهو قول بن عمر وقد اغلظ الله القول عليهن حيث قال ان كن
يؤمن بالله واليوم الاخر وفي سبب الوعيد قولان احدهما لما
يستحقه الزوج من الرجعة قاله بن عباس والثاني لاجل الحاق
الولد بغير ابيه كفعل اهل الجاهلية وهذا قول قتادة فلما دار
امر العدة على الحيض والاطهار ولا اطلاع عليها الا من جهة
النسا جعل القول قول المراة اذا ادعت انقضا العدة في زمان
يمكن انقضا العدة فيه واكد الامر عليها حتى لا تخبر الا بالصدق
قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن يعني ازواجهن
وهو جمع بعل يقال بعول وبعولة كما يقال في جمع الذكر ذكور

وذكوره

وذكورة وفي جمع الفحل فحول وفحولة وهذه الهاء زايدة موكدة
لتانيث الجماعة ويعتبر فيها السماع فلا يقال في كعب كعوبة
والبعولة ايضا مصدرا لبعل يقول بعل الرجل يبعل مثل منع
يمنع بعولة اي صار بعلا ويقال تبعلت المراة اذا تزوجت ومنه
قيل للجماع بعال ومنه حديث النبي عليه السلام ايام اكل
وشرب وبعال وقال الحطيئة

وكم من حصان ذات بعل تركتها اذا الليل ادجى لم تجد من تباعله

اي قتلت زوجها او اسرته وانما سمي الزوج بعلا لقيامه بامور
الزوجة واصل البعل السيد والمالك قال تعالى اتدعون بعلا
اي ربا والبعل من النخل مثل العذي وهو الذي يشرب ما السما
ولا يسقى وقرا مسلمة بن محارب وبعولتهن باسكان التا لكثرة
الحركات والاشباع افصح واحسن قوله تعالى احق اي
اولى بردهن اي برجعتهن الى انفسهم وفي حرف ابي بردتهن
وهذا خاص في الرجعيات ۵ قوله تعالى في ذلك اي في
حال العدة ولفظ احق يطلق عند تعارض حقين ويترجح
احدهما فالمعنى حق الزوج في مدة التربص احق من حقها في
نفسها فانها انما ملكت نفسها بعد انقضا العدة قال الفرا وانما
قال ذلك وهو يريد العدة لان العرب تقول ذلك في كل مذكور
من مذكر ومونث لانها تريد الشي وهو يكون للمذكر والمونث
قوله تعالى ان ارادوا اصلاحا يعني في المراجعة لا اضرارا
وذلك ان الرجل في الجاهلية كان اذا اراد الاضرار بامراته طلقها واحدة
وتركها حتى اذا قرب انقضا العدة راجعها ثم طلقها ثم راجعها يضارها
بذلك فنهوا عن ذلك وظاهر الاية يقتضي ملك الرجعة على غير
وجه المضارة بتطويل العدة عليها غير انه قد دل قوله تعالى ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا على صحة الرجعة وان قصد الضرار

لان الرجعة لو لم تكن صحيحة اذا وقعت على وجه الضرار لما كان ظالما
بفعلها قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
فيه ثلثة اقوال احدها ولهن من حسن الصحبة والعشرة الجميلة بالمعروف
على ازواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما اوجب الله عليهن
لازواجهن وهو قول الضحاك والثاني ولهن على ازواجهن من
التصنع والتزين مثل ما لازواجهن عليهن قال ابن عباس اني
لاحب ان اتزين للمراة كما احب ان تتزين لي لهذه الاية والثالث
ان الذي لهن على ازواجهن ترك مضارتهن كما كان ذلك عليهن لازواجهن
وهو قول ابي جعفر الطبري يروى ان امراة معاذ قالت يا رسول الله
ما حق المراة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان
يطعمها مما ياكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وعن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عندكن
عوان لا يملكن لانفسهن شيا وانما اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الرجال من امتي
خيرهم لنسايهم وخير النسا من امتي خيرهن لازواجهن يرفع لكل
امراة منهن كل يوم وليلة اجر الف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين
محتسبين ولفضل احداهن على الحور العين كفضل محمد على
ادنى رجل منكم وخير النسا من امتي من تاتي مسرة زوجها في كل شي
يهواه ما خلا معصية الله تعالى وخير الرجال من امتي من تلطف
باهله لطف الوالدة بولدها يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة
اجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كيف يكون للمراة اجر الف شهيد وللرجل
اجر مائة شهيد قال اوما علمت ان المراة اعظم اجرا من الرجل وافضل
ثوابا وان الله ليرفع للرجل في الجنة درجات فوق درجاته برضا زوجته

عنه

عنه في الدنيا ودعايها له اوما علمت ان اعظم وزر بعد الشرك بالله المراة
اذا عصت زوجها الا فاتقوا الله في الضعيفين فان الله سايلكم
عنهما اليتيم والمراة فمن احسن اليهما فقد ابلغ الى الله رضوانه ومن
اسا اليهما فقد استوجب من الله سخطه حق الزوج على المراة كحقي
عليكم فمن ضيع حقي فقد ضيع حق الله ومن ضيع حق الله فقد با
بسخط من الله وماواه جهنم وبيس المصير قوله تعالى
وللرجال عليهن درجة يقال رجل بين الرجولة والرجولية اي القوة
وهو ارجل الرجلين اي اقواهما وفرس رجيل اي قوي ومنه
الرجل لقوتها على المشي وارتجل الكلام اي قوي عليه وترجل
النهار اي قوي ضياوه ودرجة مبتدا وللرجال الخبر عليهن يجوز
ان يكون في موضع نصب حالا من الدرجة والتقدير درجة كاينة
عليهن فلما قدم وصف النكرة عليها صار حالا ويضعف ان
يكون عليهن الخبر ولهن حال من درجة لان العامل حينيذ
معنوي والحال لا يتقدم عليه والدرجة المنزلة ومدرجة الطريق
قارعته والاصل فيه الطي يقال درجوا اي طووا عمرهم ودرجت
الشي ادرجه من باب نصر ينصر وادرجته اي طويته ومنه
الدرجة التي يرتقى عليها وفي معنى قوله درجة تسعة اقوال
احدها فضل الميراث والجهاد وهو قول مجاهد والثاني الامرة
والطاعة وهو قول زيد بن اسلم والثالث انه اعطا الصداق
والنفقة عليها وانه اذا قذفها لاعنها واذا قذفته حدت قاله ابن عباس
والشعبي والرابع انه العقل والديانة والخامس انه الدية والسادس
بالطلاق والرجعة والسابع بالشهادة والثامن بالامارة قاله
سفين والتاسع ان جعل له لحية حكاه الماوردي عن حميد
وهذا يشعر بان قضا حق الزوج عليها اوجب ولهذا روى ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو امرت احدا ان يسجد

لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وقالت ابنة سعيد بن المسيب
ما كنا نكلم ازواجنا الا كما تكلمون امراءكم ٥ قوله تعالى
والله عزيز حكيم اى انه بامركما اراد وليمتحن كما احب لا يكون ذلك
الا عن حكمة بالغة قوله تعالى الطلاق مرتان وصل
بذكر الطلاق وقت الارتجاع وسبب النزول ما روى هشام بن
عروة عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها ان امراة اتتها فشكت
اليها ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وان طلقها
الف طلقة فذكرت عايشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فنزل قوله تعالى الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلثا فذكر في
هذه الاية طلقتين وذكر الثالثة في قوله فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والاية مختصرة لان المعنى الطلاق
الذي يملك فيه الرجعة مرتان ولهذا قال وبعولتهن احق بردهن
وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم الطلاق مرتان فاين الثالثة
قال امساك بمعروف او تسريح باحسان والمرة والمرتين المرور
يقال المرة الاولى والمرة الاول وقال ابن مسعود وعكرمة
هذا تعليم لسنة الطلاق اى يطلق في كل قرو مرة من غير
جمع تطليقتين في قرو وعند الشافعي الجمع بين التطليقات
لا يحرم في قرو ولا يكون ذلك بدعة وقد قال تعالى اولئك
يوتون اجرهم مرتين اى يعطون اجرين وليس من ضرورة المرتين
ان يجرى ذلك في مجلس وقد يقول القايل يا فلان يا فلان
اقبل فيقال قد دعاه مرتين قوله فامساك بمعروف
الامساك خلاف الاطلاق وهو مرتفع لانه خبر ابتدا محذوف
على تقدير فالواجب اذا راجعها بعد الطلقتين امساك بمعروف
وعلى هذا الامساك غير الارتجاع والارتجاع مضمر فيدل عليه
قرينة الحال والتسريح على هذا هو الطلقة الثالثة اى اذا طلق

مرتين

٢١١

مرتين فان راجع فعليه امساك بالجميل وان سرحها فليسرحها
باحسان واختار عطا ومجاهد ومقاتل ان التسريح هو الطلقة
الثالثة ويدل عليه الخبر الذي روينا وقيل هذا الامساك
هو الارتجاع اى الطلاق الذى يستعقب الرجعة مرتان ثم بعد
اما ان يمسكها فيرجعها من غير مضارة واما ان يدعها ويمسك عن هما
رجعتها والتسريح على هذا تركها حتى تنقضى عدتها وهذا قول
الضحاك والسدي قال القاضي ابو يعلى وهذا هو الصحيح لانه
قال عقيب الاية فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره والمراد بهذه الطلقة الثالثة بلا شك فيجب ان تحمل قوله
او تسريح باحسان على تركها حتى تنقضى عدتها لانه ان حمل على
الثالثة وجب ان تحمل قوله فان طلقها على رابعة وهذا لا يجوز
والمعروف ما عرف من الحق في امساك المراة والتسريح في اللغة
ارسال الشى ومنه تسريح الشعر لتخليص البعض من البعض وسرح
الماشية اى ارسلها وناقة سرح سهلة السير ٥ فصل
الطلاق على اربعة اضرب واجب ومندوب اليه
ومحظور ومكروه فالواجب طلاق المولى اذا لم يف وطلاق
الحكمين في شقاق الزوجين اذا رايا الفرقة والمندوب ان يخاف
تقصيرا في حقها في العشرة او غيرها وان تكون غير عفيفة
والمحرم الطلاق في الحيض في حق المدخول بها او في طهر جامعها
فيه قبل ان يظهر الحمل فان يطلق من لا تحبل في الطهر الذى
جامعها فيه وهي الصغيرة والايسة فليس بمحرم وكذا طلاقها بعد
استبانة حملها والمكروه هو الطلاق في غير سنة ولا بدعة
قال عليه السلام ابغض الحلال الى الله الطلاق ٥ قوله
تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا اى اعطيتموهن
من المهر يقول لا يحل لكم اذا اردتم طلاقهن ان تضاروهن حتى

يفتدين انفسهن بان يدفعن اليكم المهر الذي اخذت منكم او بعضه
حتى تطلقوهن ثم استثنى فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نزلت
الاية في جميلة اتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها ثابت بن قيس
وكانت تبغضه بغضا شديدا ويحبها حبا شديدا وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال
لها ارجعي الى زوجك فوالله اني لاكره للمراة لا تزال رافعة يديها تشكوا
زوجها قال فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب فقال ارجعي
الى زوجك فلما رات اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشكت اليه زوجها وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل
رسول الله الى ثابت بن قيس فقال ما لك يا ثابت ولاهلك قال
والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك
قال لها ما تقولين فقالت صدق يا رسول الله ولكني قد خشيت
ان يهلكني فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي فقل لها فلتردها
علي وانا اخلي سبيلها فقال لها ما تقولين تردين عليه حديقته
وتملكين امرك وانا اريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام
فانزل الله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا الاية والخوف
يكون بمعنى العلم وذلك ان في الخوف طرفا من العلم لانك تخاف
ما تعلم وما لا تعلم لا تخافه كما ان الظن لما كان فيه طرفا من العلم
جاز ان يكون علما وقرا ابي الا ان يظنا وقرا ابو جعفر وحمزة ويعقوب
تخافا بضم الياء اي يعلم ذلك منهما اعتبارا بقراة بن مسعود الا ان
تخافوا واختاره ابو عبيدة لقوله تعالى فان خفتم فجعل الخوف
لغيرهما ولم يقل فان خافا والمعنى فان خفتم ايها الولاة والحكام
اي علمتم وغلب على ظنكم ان الزوجين لا يقيمان حدود الله في حسن
العشرة وغيرها فلا جناح عليهما فيما افتدت به المراة نفسها منه

اي

اي لا جناح على الرجل فيما ياخذه من المراة لانه لمن حقه ولا عليها
فيما افتدت به للخلع وقال الفرا يجوز ان يراد به الزوج وحده وان
كان قد ذكرهما جميعا كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان
وانما يخرج من الملح دون العذب وكقوله نسيا حوتهما وانما الناسي
موسى عليه السلام ثم قيل الا ان يخافا استثنا منقطع اي لكن

فصل وهل يجوز ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها فيه
قولان احدهما يجوز وبه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمن
وعلي وابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والضحاك ومالك
والشافعي والثاني لا يجوز وبه قال سعيد بن المسيب وعطا والشعبي
وطاوس والزهري واحمد وقد نقل عن علي والحسن ايضا
وهل يجوز الخلع دون السلطان قال جمهور العلما انه يجوز وقال الحسن
وابن سيرين وقتادة لا يجوز الا عند السلطان وهل الخلع فسخ او طلاق ق
فيه قولان احدهما انه فسخ وهو قول بن عباس والشافعي في القديم
بالعراق ثم رجع عنه بمصر والثاني انه طلاق باين وهو قول عثمن
وعمر وعلي ومذهب ابي حنيفة والمزني والجديد من مذهب الشافعي
وانما ربط الخلع بحالة الخوف لان الغالب جريانه عند النزاع وهو
كقوله تعالى فلا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد
بينا سبب نزولها واختلفوا في نسخها فحكي عن بكر بن عبد الله ان
الخلع منسوخ بقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا وذهب الجمهور الى انها
محكمة وان حكمها ثابت في جواز الخلع قوله تعالى تلك
حدود الله مبتدا وخبر اي هذه اوامر الله ونواهيه فلا تعتدوها
اي فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون اي
لانفسهم باهلاكها وتفالهم في وضعهم ما امروا به ونهوا عنه غير موضعه
قوله تعالى فان طلقها فيه قولان احدهما انها الطلقة

الثالثة وهو قول السدي والثاني ان ذلك تفسير لقوله او تسريح
باحسان وهو قول مجاهد قوله تعالى فلا تحل له من بعد
اي من بعد التطليقة الثالثة وبعد رفع على الغاية قوله تعالى
حتى تنكح زوجا غيره اي لا تحل للزوج الاول المطلق ثلثا حتى تنكح
زوجا آخر وفيه قولان احدهما ان نكاح الثاني اذا طلقها منه احلها
للاول سوا دخل بها او لم يدخل وهو قول سعيد بن المسيب والثاني
انها لا تحل للاول الا بوطي الثاني وقد ثبت السنة بهذا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم روى عروة عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
جات امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن
ابن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك
وتذوقي عسيلته وابو بكر جالس عند رسول الله وخالد جالس بباب
الحجرة فطفق خالد ينادي يا ابا بكر الا تزجر هذه عما تجهر به عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعسيلة اسم للجماع واصلها من
العسل شبه اللذة التي ينالها الانسان في تلك الحال بالعسل يقال
منه عسلها يعسلها عسلا اذا جامعها فلبثت ما شا الله ان تلبث
ثم رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال
لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت في قولك الاول فلن نصدقك
في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت
ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي
الآخر مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله حين
اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه
اتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالت له مثل ذلك فقال لها عمر
لين رجعت اليه لارجمنك فان الله قد انزل فان طلقها فلا تحل له من

بعد حتى تنكح زوجا غيره قوله تعالى فان طلقها يعني الزوج الثاني
او مات عنها بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المراة المطلقة
وعلى الزوج الاول ان يتراجعا بنكاح جديد وسماه تراجعا لما كان
بينهما من قبل من الزوجية فهو تراجع لغوي وقيل اراد ان طلقها
الزوج فلا باس لو راجعها في وقت تتصور الرجعة فهذا تراجع شرعي
ذكره القشيري قوله تعالى ان ظنا قيل علما وقيل
رجيا وقالوا لا يجوز ان يكون بمعنى العلم لان احدا لا يعلم ما هو
كاين الا الله تعالى قوله تعالى ان يقيما حدود الله يعني
ما بين الله من حق احدهما على الآخر فصل ذهب سفين
والاوزاعي ومالك وابو عبيد واحمد واسحق الى ان الزوج الثاني
لو تزوجها ليحلها للزوج الاول ان النكاح فاسد وكان الشافعي
يقول اذا تزوجها ليحلها فالنكاح ثابت اذا لم يشرط ذلك في
عقد النكاح مثل ان يقول انكحك حتى اصيبك فتحلين للزوج
الاول فاذا شرط هذا فالنكاح باطل وما كان من شرط قبل
عقد النكاح لا يفسد النكاح قال نافع اتى رجل ابن عمر رضي الله
عنه فقال له ان رجلا طلق امراته ثلثا فانطلق اخ له من غير
مواطاة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا
نعد هذا على عهد رسول الله التيس المستعار وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن الله المحل والمحلل له وقال عليه السلام
الا ادلكم على التيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل
والمحلل له قوله تعالى وتلك حدود الله يبينها وروى
المفضل وابان عن عاصم بالنون لقوم يعلمون خصهم بالذكر
وان كان البيان لهم ولغيرهم لانهم هم الذين ينتفعون بالآيات
وقيل هو تشريف لهم وتخصيص بالذكر قوله تعالى
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن الآية قال ابن عباس كان الرجل

يطلق امراته ثم يراجعها قبل انقضا عدتها ثم يطلقها يفعل بها ذلك
حتى مضت تسعة اشهر يضارها بذلك فانزل الله هذه الاية واذا
طلقتم النسا فبلغن اجلهن اى اشرفن على ان تبين بانقضا العدة
ولم يرد اذا انقضت عدتهن لانها اذا انقضت عدتها لم يكن للزوج
امساكها فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة وقوله بعدها فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن بلوغ انقضا وانتها والبلوغ يتناول
المعنيين جميعا يقال بلغت المدينة اذا صرت الى حدها واذا
دخلتها قوله فامسكوهن بمعروف اى راجعوهن بمعروف
وقال محمد بن جرير بمعروف اي اشهاد على الرجعة وعقد لها
دون الرجعة بالوطي وقال ابو حنيفة يجوز الرجعة بالوطي ه
قوله تعالى او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى
تنقضي عدتهن قوله ولا تمسكوهن ضرارا اى مضارة
وانتم لا حاجة بكم اليهن قوله تعالى لتعتدوا اى لتظلموهن
بتطويل العدة والاعتدا الظلم وقيل اللام للعاقبة اي ان
تعلموا ذلك كنتم معتدين كقوله تعالى ليكون لهم عدوا اي كانت
العاقبة انه عدو لهم قوله تعالى ومن يفعل ذلك
اي ذلك الاعتدا فقد ظلم نفسه يعني في قصد الاضرار وان
صحت الرجعة والطلاق اذ من حقه ان يشغل نفسه بالطاعة
لا بالمعصية روى ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من ضار مسلما او مكر به ه
قوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا قال ابو الدردا
كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول انما طلقت وانا لاعب
فيرجع فيها ويعتق فيقول مثل ذلك ويرجع فيه وينكح ويقول
مثل ذلك فانزل الله هذه الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا
يقول حدود الله فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه

الاية

٣٦

الاية وقال من طلق او حرر او نكح فزعم انه لاعب فهو جد وفي الخبر
خمس جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق
والنكاح والرجعة والنذر وقيل هو الاضرار بزوجته
في تطويل العدة بالمراجعة والطلاق قاله مسروق ومقاتل
قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اى الايات وما انزل عليكم
من الكتاب يعني القران والحكمة يعني مواعظ القران والحدود
والاحكام يعظكم به اى يدعوكم به الى دينه واتقوا الله في الضرار
وغيره واعلموا ان الله بكل شي عليم اى انه يجازي المحسن باحسانه
والمسي باساته ه قوله تعالى واذا طلقتم النسا فبلغن
اجلهن قال الحسن حدثني معقل بن يسار انها نزلت فيه قال كنت
زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جا يخطبها
فقلت له زوجتك واكرمتك وافرشتك فطلقتها ثم جيت تخطبها
لا والله لا تعود اليها ابدا وكان رجلا لا باس به وكانت المراه تريد
ان ترجع اليه فانزل الله هذه الاية فقلت الان نفعل يا رسول الله
فزوجتها اياه رواه البخاري وقال السدي نزلت في جابر بن عبد الله
زوج بنت عم له فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها فرجع يريدها
فابى جابر فنزلت هذه الاية فاما بلوغ الاجل في هذه الاية فهو
انقضا العدة بخلاف التي قبلها كما سبق قال الشافعي دل
اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين قوله تعالى
فلا تعضلوهن العضل هو المنع من التزوج واصل العضل
الضيق والشدة يقال عضلت المراة والشاة اذا انشب الولد
في بطنها فضاق عليه الخروج وعضل الفضا بالجيش اذا ضاق
عنهم لكثرتهم ويقال دا عضال اذا ضاق علاجه فلا يطاق
ويقال اعضل الامر اذا اشتد وضاق وعند مشكل عند
العرب معضل ه قوله تعالى ان ينكحن ازواجهن يريد

الذين كانوا ازواجا لهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني بعقد حلال
ومهر جايز ونظم الاية ان ينكحن ازواجهن بالمعروف اذا تراضوا بينهم
قال الشافعي وهذه الاية ابين اية في كتاب الله تعالى تدل على
انه ليس للمراة ان تزوج نفسها بغير ولي لاجماع المفسرين ان هذا
الخطاب للاوليا ولو صح دون ولي لم يتصور عضل ولم يكن لنهي
الله تعالى عن العضل معنى وقال صلى الله عليه وسلم لا نكاح
الا بولي وقيل معنى الاية ايها الازواج اذا طلقتم النسا وانقضت
عدتهن فلا تمنعوهن من التزوج بالازواج الذين يرضون فان المطلق
قد يحمله الغيرة وطلب المضارة على تنفير الازواج عنها فيقول ما
طلقتها او يقول قد راجعتها او يتهدد من يريد التزوج بها ودليل
هذا القول ان اول الاية ايضا خطاب للازواج والقايل الاول لا
يقال للزوج لا تعضلها عن الازواج ومن جملتهم انت ايها الزوج
المطلق وسمي من طلق زوجا استصحابا للحال اي كان زوجا
والاية عامة اي لا تمنعوهن ايها الاوليا من التزوج بازواجهن
القدما او غيرهم ٥ وقوله اذا تراضوا بينهم يعني الرجال والنسا
فذكر بلفظ التذكير تغليبا للمذكر ٥ قوله تعالى ذلك يوعظ به
ذلك اشارة الى ما سبق اي امر الله الذي يتلى عليكم من امر العضل
يوعظ به من كان يومن بالله واليوم الاخر خص المومنين لانهم اهل
الانتفاع به وانما قال ذلك موحدا والخطاب للاوليا لان الاصل في
مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر ذلك حتى توهموا ان الكاف من نفس الحروف
وليست كاف خطاب فقالوا ذلك واذا قالوا هذا كانت الكاف
موحدة منصوبة في الاثنين والجمع والمونث وقد قال تعالى ذلكما
مما علمني ربي فثنى وقال فذلكن الذي لمتنني فيه وقال هاهنا
ذلك يوعظ به وان خاطب جمعا هذا كلام الفرا وانكر الزجاج
هذا وقال لا يجوز على الله التوهم حتى تختلط هذه الكاف بالكاف

التي

التي تكون من الحروف وهذا فيه نظر لان هذا التوهم يعود الى اهل
العرف لخاطبهم الله بلغتهم وقيل هو هاهنا خطاب للنبي عليه
السلام فلذلك وحد وحكي عن الزجاج انه قال لفظ الجماعة لفظ
الواحد فالمعنى ذلك ايها القبيل ثم رجع الى خطاب المومنين
فقال تعالى ذلكم ازكى لكم اي خير لكم وافضل قوله تعالى
واطهر اي لقلوبكم من الريبة وذلك انهما اذا كان في نفس كل واحد
منهما نوع محبة لم يومن ان يتجاوز ذلك الى غير ما احل الله لهما
والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح في العاجل والاجل وانتم غير
عالمين الا بما اعلمكم وقيل يعلم ود كل واحد لصاحبه قوله
تعالى والوالدات الوالدة والوالد صفتان غالبتان فلذلك لا يذكر
الموصوف معهما اجريهما مجرى الاسما قوله تعالى يرضعن
اولادهن لما ذكر النكاح والطلاق ذكر الولد فان الزوجين قد
يفترقان وثم ولد فالاية اذا في المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن
ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر وهو امر استحباب لا امر ايجاب يريد
انهن احق بالرضاع من غيرهن اذا اردن ذلك ولو وجب عليهن الارضاع ع
ما وجب لهن الاجرة وقد اوجب الله لهن الاجرة في سورة الطلاق
في قوله فاتوهن اجورهن وفي قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن
ينصرف الى الايامى ثم بين سبحانه حد الرضاع فقال حولين اي سنتين
واصله من قولهم حال الشي اذا انتقل وتغير فالحول منقلب من
الوقت الاول الثاني ٥ قوله كاملين على التاكيد كقوله الى صح
تعالى تلك عشرة كاملة وقال اهل المعاني لما قال كاملين
لان العرب تقول اقام فلان بمكان كذا حولين وانما اقام حولا
وبعض اخر ومنه قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومعلوم انه يتعجل في يوم وبعض اخر فقال تعالى كاملين ليتبين
انه لا يجوز ان ينقص منهما **فصل** اختلف العلما في الحد

هل هو حد لكل مولود وهو حد لبعض دون بعض فقال عكرمه
عن ابن عباس اذا وضعت لستة اشهر فانها ترضعه حولين كاملين
واذا وضعته لسبعة اشهر ارضعت ثلثة وعشرين شهرا واذا وضعته
لتسعة اشهر ارضعته احد وعشرين شهرا كل ذلك تمام ثلثين شهرا
قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال قوم هو حد
لكل مولود باي وقت ولد لا ينقص من حولين ولا يزيد الا ان
يشا الزيادة فاذا اراد الاب ان يفطمه قبل الحولين ولم ترض الام
فليس له ذلك واذا قالت الام انا افطمه قبل الحولين ولم يرض الاب
فليس لها ان تفطمه حتى يتفقا جميعا على الرضاع فان اجتمعا
قبل الحولين فطماه وان اختلفا لم يفطماه قبل الحولين وذلك
قوله تعالى عن تراض منهما وتشاور وهذا قول ابن جريج
والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس وقال اخرون المراد
بهذه الاية الدلالة على ان الرضاع ما كان في الحولين وان ما
بعد الحولين من الرضاع لا يحرم وهو قول علي وعبد الله وابن عباس
وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وفي الحديث لا رضاع بعد
الحولين وقال قتادة والربيع فرض الله تعالى على الوالدات
ان يرضعن اولادهن حولين ثم انزل الرخصة والتخفيف بعد
ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة وليس فيما دون ذلك وقت يحدود
وانما هو على مقدار اصلاح الصبي وما يعيش به وقرا ابو رجا
الرضاعة بكسر الراء قال الخليل والفرا هما لغتان مثل
الوكالة والوكالة والدلالة والدلالة وقرا ابن محيصن لمن اراد
ان يتم الرضعة بتا مفتوحة وهي فعلة كالمرة الواحدة وقرا
مجاهد وحميد وعون العقيلي لمن اراد ان يتم الرضاعة بتا مفتوحة
ورفع الرضاعة على ان الفعل لها وقرا ابن عباس يكمل الرضاعة
وانما كانت الامهات احق بالرضاع من الاجنبيات لانهن احنى

وارق وارق وانتزاع الولد الصغير من الام اضرار به وبها وهذا
يدل على ان الولد وان فطم فالام احق بحضانته لفضل شفقتها
وانما تكون احق بالحضانة اذا لم تتزوج فان تزوجت فذلك يقطعها
عن الحضانة فغيرها من نسا قراباته احق بحضانته واذا بلغ الولد
سبع سنين وهو مميز خير بين ابويه كما ورد به الخبر وعلى هذا
يشكل قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن لان المطلقة
لا تستحق الكسوة اذا لم تكن رجعية بل تستحق الاجرة الا ان يحمل
على مكارم الاخلاق فيقال الاولى ان لا تنقص الاجرة مما يكفيها
لقوتها وكسوتها حتى اذا علم الوالدان هذه الاجرة لا يكفيها وليس
لها متمسك اخر فلا بد ان يوصل اليها ما يقيم الولد والذي يقيم
الولد هو الذي يقيمها من النفقة والكسوة وقيل لا يتناقضه
في المطلقات اللواتي لهن اولاد وفي الزوجات والاظهر انها
في الزوجات في حال بقا النكاح لانهن المستحقات للنفقة
والكسوة والزوجة تستحق النفقة والكسوة ارضعت اولم ترضع
والنفقة والكسوة في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع
لم يكمل التمكين فقد يتوهم ان النفقة تسقط فازال هذا الوهم
بقوله تعالى وعلى المولود له اي على الزوج رزقهن وكسوتهن في
حال الحضانة لان اشتغالها من مصالح الزوج فصار كما لو سافرت
لحاجة الزوج باذنه فان النفقة لا تسقط وقرا طلحة بن مصرف
وكسوتهن بضم الكاف وهما لغتان مثل اسوة واسوة ورشوة ورشوة
وقوله بالمعروف علم الله تفاوت احوال خلقه في الغنا والفقر
فقال بالمعروف اي على قدر الميسور قال القشيري هذه الاية
عندنا نزلت في تعظيم قدر الوالدة لمقاساتها احوال الولد طول
هذه المدة فلا تعلق له بامر الارضاع واما قوله تعالى
لا تكلف قرى بالنون نفس الا وسعها التكلف الالزام من

الكلف وهو الاثر على الوجه من السواد والوسع ما يسع الانسان فيطيقه
ولا يضيق عليه وهو اسم كالجهد وارتفع النفس باسم الفعل المجهول
لانه وضع موضع الفاعل وانتصب الوسع بخبر الفعل المجهول
لانه اقيم مقام المفعول وفي المراد بالنفس هاهنا ثلثة اقوال
احدها الزوج والثاني المراة والثالث هما اى لا تكلف المراة الصبر
على المقتر في الاجرة ولا يكلف الزوج ما هو اسراف بل يراعي القصد
قوله تعالى لا تضار والدة بولدها قرا ابن محيصن وابن كثير
وشبل وابو عمرو ويعقوب وقتيبة برفع الرا مشددة واختاره
ابو حاتم منسوقا على قوله لا تكلف وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي وخلف تضار مشددة منصوبة الرا واختاره ابو عبيد
على النهي واصله لا تضارر فادغمت وحركت الى اخف الحركات
وهو النصب ويدل عليه قراة لا تضارر على اظهار التضعيف وقرا — عرصح
لا تضارر آمد غمه مكسورة لانها لما ادغمت سكنت والجزم تحرك الى
الكسر وروى ابان عن عاصم لا تضارر مكسورة على ان الفعل لها
وقرا ابو جعفر لا تضار بجزم الرا الخفيفة على الحذف طلبا للخفة ومعنى
الاية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت
بارضاعه والفها الصبي ولا مولود له بولده ولا يلقى الى ابيه بعد ما عرفها
يضار بذلك وقيل معناه لا تضار والدة بولدها فتكره على ارضاعه
اذا قبل من غيرها وكرهت هي ارضاعه لان ذلك ليس بواجب عليها
ولا مولود له بولده فيحمل على ان يعطي الام اذا لم يرضع الولد الا منها
اكثر مما يجب لها عليه فهذان القولان على مذهب الفعل المجهول على
معنى انه يفعل ذلك بهما والوالدة والمولود له مفعولان واصل
الكلمة تضارر بفتح الرا الاولى ويحتمل ان يكون الفعل لهما
ويكون تضار على مذهب ما قد سمي فاعله والمعنى لا تضار والدة فتابى
ان ترضع ولدها لتشق على ابيه ولا مولود له ولا يضار الاب الام فيمنعها

من

من رضاعه وينزعه منها وعلى هذا المذهب اصله لا يضارر بكسر
الرا الاولى وعلى هذه الاقوال يرجع الضرار الى الوالدين يضار
كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز ان يكون الضرار راجعا
الى الصبي اى لا يضار كل واحد منهما الصبي فلا ترضعه الام حتى
يموت او لا ينفق الاب او ينتزعه من امه حتى يضر بالصبي وتكون
البا زايدة معناها لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده وكل هذه
مروية عن المفسرين قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك
اختلف اهل التاويل اي وارث هو ووارث من هو على ثلثة اقوال
احدها انه وارث الصبي المعنى وعلى وارث الصبي الذي لو مات
الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على ابيه في حال حياته
ثم اختلفوا اي وارث هو من ورثته فقال قوم هو عصبته كاينا
من كان من الرجال دون النسا مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم
وابن العم ونحوهم وهو قول عمر بن الخطاب والزهري والحسن
ومجاهد وعطا ومذهب سفين قال اذا لم يبلغ نصيب الصبي
ما ينفق عليه اجبرت العصبة الذين يرثونه على ان يسترضعوه
وقال ابن سيرين اتى عبد الله بن عتبة في ارضاع صبي يتيم ومعه
وليه فجعل رضاعه في ماله وقال لوارثه لو لم يكن له مال جعلنا
رضاعه في مالك الا ترى الله يقول وعلى الوارث مثل ذلك
وقال الضحاك ان مات ابو الصبي وللصبي مال اخذ رضاعه
من ماله وان لم يكن له مال اخذ من الرجال العصبة فان لم يكن
للعصبة مال اجبرت امه عليه وقال بعضهم هو وارث الصبي
كاينا من كان من الرجال والنسا وهو قول الحسن بن صالح
وقتادة وابن ابي ليلى ومذهب احمد واسحق وابي ثور قالوا يجبر
على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا او غيرهم وقال
بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن لم يكن بمحرم

مثل ابن العم والمولى وما اشبههما فليسوا من عناهم الله تعالى
بقوله وعلى الوارث مثل ذلك وان كانوا من جملة العصبة
فلا يجبرون على النفقة وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد
والقول الثاني وعلى الوارث مثل ذلك يعني الصبي نفسه الذي هو
الوارث لابيه المتوفى ان عليه اجر رضاعه في ماله وان كان له مال
فان لم يكن له مال اجبرنا امه على ارضاعه ولا يجبر على نفقة الصبي
الا الوالدين وهو قول مالك والشافعي والثالث مؤنة الام والاب
من مال الصبي اذا كان له مال فالمعنى اذا مات الاب فعلى الصبي
نفقة امه ذكره ابن جرير وفي قوله مثل ذلك ثلثة اقوال احدها
ان الاشارة الى اجرة الرضاع والنفقة قاله اكثر العلماء والثاني
ان الاشارة بذلك الى النهي عن الضرر روي عن ابن عباس والشعبي
والزهري واختاره الزجاج والثالث انه اشارة الى جميع ذلك
روي عن سعيد بن جبير ومجاهد ومقاتل ويشهد له انه معطوف
على ما قبله وقد ثبت ان على المولود له النفقة والكسوة وان لا يضار
فوجب ان يكون قوله مثل ذلك مشيرا الى جميع ما على المولود له
قوله تعالى فان ارادا فصالا اي ان اراد الوالدان فطاما
لانه ينفصل المولود من الاغتذاء بلبن امه الى غيره من الاقوات
ومنه سمي الفصيل لانه مفصول عن امه قوله تعالى عن
تراض منهما يعني قبل الحولين لان بعد الحولين لا يجب على واحد
منهما اتباع الاخر قوله تعالى وتشاور والتشاور استخراج
الراي وكذلك المشورة ومنه يقال شرت العسل اذا استخرجته
والمعنى انهما اذا تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا
باس اذا كان الولد قويا قوله تعالى فلا جناح عليهما
اي لا حرج قوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اي لاولادكم وحذفت اللام اكتفاء بدلالة الاسترضاع لانه لا يكون

الا

الا للاولاد قال مقاتل اذا لم ترض الام ما رضي به غيرها فلا حرج
على الاب ان يسترضع لولده قوله تعالى اذا سلمتم ما اتيتم
بالمعروف فيه قولان احدهما اذا سلمتم ايها الاباء الى الامهات
اجور ما ارضعن قبل امتناعهن قاله مجاهد والسدي والثاني
اذا سلمتم الى الظئر اجرها بالمعروف قاله سعيد بن جبير ومقاتل
وقرا ابن كثير ما اتيتم بقصر الالف ومعناه ما فعلتم ويكون
التسليم على هذه القراءة بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم
الاجرة والمعنى اذا سلمتم للاسترضاع عن مشورة واتفاق
قوله تعالى بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا
عند تسليم الاجرة مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل
حفظا للصبي ومراعاة له قوله تعالى واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير اي لا يترك جزاء شيء من اعمالكم لانه
بصير بها قوله تعالى والذين يتوفون منكم لما ذكر
عدة المطلقات واتصل بذكرها ذكر الارضاع ذكر عدة
الوفاة ايضا لئلا يتوهم ان عدة الوفاة مثل عدة الطلاق والمعنى
والرجال الذين يتوفون منكم والتوفي اخذ الشيء وافيا وقرا
علي كرم الله وجهه يتوفون بفتح الياء على ان الفعل لهم اي
يتوفون اجالهم وارزاقهم وتوفي واستوفى بمعنى واحد وقوله
منكم الخطاب للمسلمين وقيل للمكلفين فان الكافر
مخاطب بالتفاصيل بشرط تقدم الايمان قوله تعالى
ويذرون ازواجا اي يتركون نساء وفي هذه الاية خمسة اقوال
احدها ان الذين مبتدا والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى
عليكم حكم الذين يتوفون منكم ومثله والسارق والسارقة
وقوله يتربصن بيان الحكم المتلو وهذا قول سيبويه
والثاني ان المبتدا محذوف والذين قام مقامه تقديره وازواج

ودل على المحذوف قوله ويذرون ازواجا والثالث الذين مبتدا ويتربصن خ

الذين يتوفون منكم الخبر يتربصن الخبر والعائد محذوف تقديره يتربصن
بعدهم او بعد موتهم والرابع ان الذين مبتدا وتقديره الخبر ازواجهم يتربصن
والخامس انه ترك الاخبار عن الذين واخبر عن الزوجات المتصل
ذكرهن بالذين لان الحديث معهن في الاعتداد بالاشهر فجا الاخبار
عما هو المقصود وهذا قول الفرا ومعنى يتربصن اي ينتظرن ويحبسن
انفسهن عن التزويج اربعة اشهر وعشرا الا ان يكن حوامل فيتربصن
الى ان يضعن الحمل وانما قال وعشرا بلفظ المونث والمراد بها الايام
لان العرب اذا ابهمت العدد من الليالي والايام غلبت عليه الليالي حتى
انهم ليقولون صمنا عشرا من الشهر فيغلبون الليالي لان ليلة كل يوم قبله
فاذا اظهروا مع العدد تفسيره كانت الاناث بغير ها والذكور بالها كقوله
تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما يدل عليه قراة ابن عباس
اربعة اشهر وعشر ليال وقال المبرد انما انث العشر لانه اراد به المدة
اي وعشر مدد كل مدة فيها يوم وليلة فالليلة مع يومها مدة
معلومة من الدهر وجرى الاوزاعي والاصم وجماعة على ظاهر
الاية فقالوا عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر ليال وان لم
تمض عشرة ايام بعد اربعة اشهر فان قيل الحكمة في زيادة هذا
العشر فالجواب انه يتبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه قاله سعيد بن
المسيب وابو العالية يشهد له الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ
فيه الروح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل
لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث الا على زوج
فانها تحد عليه اربعة اشهر وعشرا والاحداد هو ترك الزينة والتطيب
ولا تكتحل بالاثمد ولا بكحل فيه طيب ولا ترجل شعرها بالدهن وفي
الاحداد قولان احدهما انه واجب وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني

انه ليس بواجب وهو قول الحسن قوله تعالى فاذا بلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف فان قيل فما المعنى في رفع الجناح عن الرجال في بلوغ
النسا اجلهن فللعلما عنه جوابان احدهما ان الخطاب توجه الى
الرجال فيما يلزم النسا من احكام العدة فاذا بلغن اجلهن ارتفع
الجناح عن الرجال في الانكار عليهن والثاني لا جناح على الرجال
في نكاحهن بعد انقضا عدتهن ثم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
قولان احدهما من طيب وتزين ونقلة من مسكن وهو قول ابي جعفر
الطبري والثاني النكاح الحلال وهو قول مجاهد وهذه الاية
ناسخة قوله متاعا الى الحول وان كانت مكتوبة في المصحف قبل تلك
الاية اذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب النزول بل هذا الترتيب
الان هو الذي امر به جبريل في الكتابة والتلاوة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عند نزول كل اية ضعوا هذه الاية
في سورة كذا في موضع كذا كما كان يامره به جبريل قوله تعالى
والله بما تعملون خبير ظاهر قوله تعالى ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء اي لا وزر عليكم بالتعريض بالخطبة
في العدة والتعريض ضد التصريح واصل التعريض التلويح بالشي
والفرق بينه وبين الكناية ان الكناية ان يذكر الشي بغير
لفظه الموضوع له والتعريض ان يذكر شيئا تدل به على شي لم تذكره
وهو من عرض الشي وهو جانبه كانه تحوم به على الشي ولا تظهره
وقيل هو من قولك عرضت الشي الرجل اي اهديت اليه تحفة
وفي الخبر ان النبي عليه السلام وابا بكر لقيا الزبير في ركب اقبلوا من
الشام يريدون مكة فعرضوا رسول الله وابا بكر ثيابا بيضا اي
اهدوا اليهما فالمعرض بالكلام يوصل الى صاحبه كلاما يفهم
معناه والخطبة بكسر الخا طلب النكاح وهو مصدر مضاف

الى المفعول والمقدر من خطبتكم النسآ والخطبة بضم الخآ تاليف
كلام يتضمن وعظا وابلاغا والخطب الامر العظيم لانه يحتاج فيه
الى خطاب كثير والتعريض بالخطبة مثل ان يقول انك لجميلة
وصالحة وانك لنافقة واني فيك لراغب وان عزمي ان اتزوج وما
اشبه ذلك قال ابراهيم لا باس ان يهدي لها وان يقوم بشغلها في
العدة اذا كانت من شانه وقال مجاهد قال رجل لامراة في جنازة
زوجها لا تسبقيني بنفسك فقالت قد سبقت ولا يجوز التعريض
بخطبة الرجعية لانها كالزوجة ويجوز في عدة الوفاة واما عدة
البائنة فالصحيح جواز التعريض واما التصريح بالخطبة فحرام
في العدة قوله تعالى او اكننتم في انفسكم اي اسررتم واضمرتم
من خطبتهن ونكاحهن يقال كننت الشي واكننته لغتان قال
ثعلب اكننت الشي اخفيته في نفسي وكننته سترته قوله تعالى
علم الله انكم ستذكرونهن اي اما سرا واما اعلانا فرخص في التعريض
دون التصريح قوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا فيه
اربعة اقوال احدها انه النكاح قاله ابن عباس وانشد بيت امرئ القيس
الا زعمت بسباسة الحي انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي
قال ابن قتيبة استعير للنكاح لان النكاح يكون سرا والمعنى لا
يقول الرجل للمعتدة تزوجيني اذا حللت والثاني ان المواعدة سرا
ان يقول لها اني لك محب وعاهديني ان لا تتزوجي غيري روي
عن ابن عباس ايضا والثالث ان المراد بالسر الزنا قاله الحسن وقتادة
والضحاك وكان الرجل يدخل على المراة من اجل الريبة وهو يعرض
بالنكاح فيقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك
فنهى الله عن ذلك والرابع لا تواعدوهن سرا اي لا تصفوا انفسكم
لهن بكثرة الجماع قاله الكلبي قوله الا ان تقولوا قولا معروفا
قيل عدة جميلة وقال مجاهد التعريض من غير ان تصرح قوله تعالى

قال

قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح قال الزجاج
معناه على عقدة النكاح وحذفت على استخفافا يقال عزم الشي
وعزم عليه ومن الامر البين ان القران افصح كلام فيما ورد فيه فلا
يعترض عليه ولا يشك في صحته وفصاحته وقد قال تعالى وان عزموا
الطلاق وقال هاهنا ولا تعزموا عقدة النكاح في زمان العدة
فاما اضمار ايراد العقد عليها اذا انقضت عدتها فجائز والعقد الشد
والتوثيق قوله تعالى حتى يبلغ الكتاب اجله اي حتى
تنقضي العدة وانما سماه كتابا لانه فرض من الله تعالى كقوله كتب
عليكم الصيام اي فرض وهذا لان ما كتب كان القلب به اوثق وكان
في النفس اثبت وقيل حتى يبلغ فرض الكتاب اجله قوله تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم هذا نهاية التحذير فاحذروه اي
احذروا الله وقيل احذروا هذا النهي الذي سبق قوله تعالى
واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى
لا جناح عليكم ان طلقتم النسا هذا ايضا من احكام المطلقات اي لا
حرج واصله الثقل والاثم يقال جنحت السفينة اي مالت لثقلها
قوله تعالى ما لم تمسوهن قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تمسوهن
بغير الف حيث كان وبفتح التاء لان الغشيان هو من فعل الرجال
دليله قوله تعالى ولم يمسسني بشر وقرا حمزة والكسائي وخلف
تماسوهن بالف وضم التاء هاهنا وفي الاحزاب على المفاعلة
لان كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه فيتماسا جميعا دليله
قوله تعالى من قبل ان يتماسا نزلت هذه الاية في رجل من الانصار
تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها من قبل ان يمسها
فانزل الله هذه الاية فقال عليه السلام متعها ولو بقلنسوة
قوله تعالى او تفرضوا لهن فريضة يجوز ان يكون مصدرا
وان يكون مفعولا به وهو الجيد وفعيلة هاهنا بمعنى مفعولة

والموصوف محذوف تقديره متعة مفروضة ومعنى الاية ما لم تمسوهن
ولم تفرضوا لهن فريضة والفريضة الصداق وسمي فريضة لانه
قد اوجبه لها فان قيل ما الوجه في نفي الجناح على المطلق وهل
على الرجل جناح لو طلق بعد المسيس فيوضع عنه قبل المسيس
قلنا روي عنه عليه السلام انه قال ما بال اقوام يلعبون بحدود
الله يقولون طلقتك راجعتك وقال عليه السلام لا تطلقوا
نساكم الا عن ريبة وقال ابغض الحلال الى الله الطلاق فلما
قال عليه السلام هذا ظنوا انهم يأثمون في ذلك فاخبر الله انه لا جناح
في تطليق النسا على هذا الوجه المندوب وربما كان الطلاق اروح
من الامساك وقيل معنى قوله لا جناح عليكم اي لا سبيل للنسا
عليكم ان طلقتموهن قبل المسيس وقيل الفرض في ابتاعكم بصداق
ولا نفقة وقيل اراد اباحة الطلاق في اي وقت شا بخلاف ما لو
اراد الطلاق بعد الدخول بها وكانت من ذوات الاقرا فانه يطلق
للعدة في طهر لم يجامع فيه كما سبق ذكره وقيل رفع الحرج
في الطلاق على غير مهر لان امر المهر في الشرع مؤكد فقد يتوهم
انه لا بد من مهر اما مسمى واما مهر المثل فرفع الحرج في التطليق
وان لم يكن في النكاح مهر وفي الاية بيان ان التزويج بغير مهر
جائز وهذا اذا صرحت بنفي المهر وهي المفوضة وبيان انه لا اثم على
من طلق هذه المفوضة كما انه لا اثم على من طلق من زوج بها بمهر
وما في قوله ما لم تمسوهن مصدرية والزمان معها محذوف تقديره
في زمن ترك مسهن وقيل ما شرطية اي ان لم تمسوهن وفي الاية
ايضا دليل على ان المفوضة اذا وطيت تستحق المهر لانه قال ما لم
تمسوهن وايضا هذه الموطوة لا تنحط عن الموطوة بالشبهة ثم انها
تستحق المهر فما الظن بالموطوة في نكاح صحيح ولا غبرة بما يذكر
في الخلاف من انها لا تستحق المهر اذا وطيت وقد اجمعت الائمة

على

على ان لها المطالبة بالفرض ولو مات الزوج قبل الدخول ففي قول لا
تستحق المهر كما لو طلقت قبل الدخول بلى عليها عدة الوفاة ولها الميراث
والمتعة وفي القول الثاني تستحق المهر لحديث بروع بنت واشق وعليها
العدة ولها الميراث ثم قيل او تفرضوا معطوف على محذوف تقديره اي
ما لم تمسوهن ممن فرضتم لهن او لم تفرضوا لهن قوله ومتعوهن
اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعون به على قدر احوالكم في الغنى والفقر
والمتاع اسم لما يتمتع به فذلك معنى قوله على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اي امكانه وطاقته قرا ابو جعفر وحمزة وحفص والكسائي
وخلف وابن ذكوان بفتح الدال فيهما واختاره ابو عبيد قال لما
فيهما من المخامة وقرا الاخرون بجزم الدال فيهما واختاره ابو حاتم
وهما لغتان وقد نطق بهما القران فتصديق الفتح قوله فسالت
اودية بقدرها وتصديق الجزم قوله وما قدروا الله حق قدره وتقول
العرب القضا والقدر قال ابو زيد الانصاري ومنهم من يقول
القضا والقدر بتسكين الدال وقال بعضهم القدرة المصدر
والقدر الاسم قوله تعالى متاعا اسم المصدر والمصدر
التمتيع واسم المصدر يجري مجراه قوله تعالى بالمعروف
اي بما عرف في الشرع من غير ظلم ولا مطل قوله تعالى حقا
نصب على المصدر اي حق ذلك حقا على المحسنين على متعلقه
بالناصب للمصدر **فصل** اختلفوا في وجوب المتعة على
قولين احدهما انها واجبة واختلفوا على هذا القول في اي المطلقات
تجب على قولين احدهما انها واجبة لكل مطلقة سوا دخل بها او لم
يدخل فرض لها او لم يفرض اذا كان الطلاق من قبله فان كان
الفراق من قبلها فلا متعة وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وابي
العالية واختيار محمد بن جرير الطبري لقوله تعالى وللمطلقات
متاع بالمعروف والقول الثاني انها تجب للمطلقة قبل الدخول

اذا لم يسم لها مهرا وهو قول عبد الله بن عمر ونافع وعطا ومجاهد
ومذهب الشافعي ويكون وجه الاية على هذا القول لا جناح عليكم
ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الالف زايدة
والقول الثاني ان المتعة مستحبة ولا تجب على احد سوى سمى للمراة
او لم يسم دخل بها او لم يدخل والامر بها امر ندب واستحباب ولانها لو
كانت واجبة لم تخص المتقين والمحسنين وهو قول مالك والليث
وابي حنيفة واختلفوا في قدر المتعة ومبلغها فنقل عن ابن عباس
والشعبي والزهري والربيع بن انس اعلاها خادم واوسطها
ثلاثة اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية او شي من
الورق وهذا مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم
واوسطها ثوب واقلها اقل ما له ثمن وقال الحسن ثلثون
درهما وكان شريح متع بخمس ماية درهم ومتع الحسن بن علي عليهما
السلام بعشرة الاف درهم فقال متاع قليل من حبيب مفارق وقال
ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوج والمراة فيها قدر نصف
مهر مثلها ولا يجاوز ذلك والصحيح ان الواجب من ذلك بقدر يسر الرجل
وعسره كما قال تعالى ولو كان المعتبر فيه المهر لقال متعوهن على قدرهن
وقدر نصف صداق مثلهن فلما قال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
دل على ان المعتبر فيه حال الرجل لا حال المراة وذكر المحسنين
والمتقين ضرب من الزيادة وقيل على المحسنين اي المومنين
وقيل المحسنين الى انفسهم بامتثال امر الله تعالى وكذلك
حقا على المتقين اي للاثم في ترك ما يجب عليهم قوله تعالى
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية هذا في الرجل يتزوج
المراة وقد سمى لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فلها نصف المهر
وليس لها اكثر من ذلك ولا عدة عليها وان لم يدخل حتى مات فلا خلاف
ان لها مهرا كاملا والميراث وعليها العدة والمس هاهنا الجماع ه

وقال ابو حنيفة واصحابه اذا دخل بامراة ولم يجامعها حتى فارقها
فعليه المهر وعليها العدة لخبر ابن مسعود قضى الخلفا الراشدون
فيمن اغلق بابا وارخى سترا ان لها المهر وعليها العدة وقال الشافعي
لا مهر لها ولا عدة عليها لظاهر النص قوله تعالى فنصف
ما فرضتم اي فالواجب النصف من المهر والنصف الجزو من اثنين
وقرا السلمي فنصف بضم النون حيث وقع وهما لغتان قوله
تعالى الا ان يعفون يعني النسا يتركن ذلك النصف الواجب لهن
ومحل يعفون النصب بان الا ان جميع المونث في الفعل المضارع
يستوي في الرفع والنصب والجزم تقول هن يضربن ولم يضربن
ولن يضربن فلو سقطت للنصب او الجزم لاشبه ذلك فعل الواحد
الذكر فاما قولك الرجال يعفون فهو مثل النسا يعفون في اللفظ
وهو مخالف له في التقدير فالرجال يعفون اصله يعفوون مثل
يخرجون فحذفت الواو التي هي لام وبقيت واو الضمير والنون علامة
الرفع وفي قولك النسا يعفون لم يحذف منه شي فانما يصح هذا
العفو من البالغة العاقلة الرشيدة قوله او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح وقرا الحسن او يعفو ساكنة الواو كانه
استثقل الفتحة في الواو كما استثقلت الضمة فيها اه

فصل

اختلف العلما في الذي بيده عقدة النكاح فقال بعضهم هو
الولي وذلك اذا كانت بكرا او غير جايزة التصرف فيجوز عفوه عليها
وان كرهت فان عفت المراة وابا الولي فالعفو جايز وهذا قول
علقمة واصحاب عبد الله وابراهيم وعطا والحسن والزهري والسدي
وابي صالح وربيعة ورواية العوفي عن ابن عباس وقول الشافعي
في القديم لان الله تعالى خاطب الازواج فقال وقد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون ولو كان هو الزوج
لقال الا ان يعفون او تعفون لانه تقدم ذكر الازواج وخاطبهم

و فصل

بخطاب الحاضر فلما عدل عن خطابهم دل على ان الذي بيده
عقدة النكاح غير الزوج فوجب ان يكون الولي وقال اخرون
الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ومعنى الاية الا ان يعفون
النسا فلا ياخذن شيا من المهر او يعفو الزوج فيعطيها الصداق
كاملا وهذا قول سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ومحمد بن كعب
القرظي ونافع والربيع وقتادة وابن حيان والضحاك وابن سيرين
ورواية عمار بن ابي عمار عن ابن عباس وهو مذهب اهل العراق
لا يرون للولي سبيلا على شي من صداقها الا باذنها ثيبا كانت
او بكرا لو الاجماع الجميع على ان الولي لو ابرا زوجها من مهرها
قبل الطلاق انه لا يجوز فلذلك ابراوه وعفوه بعد الطلاق لا يجوز
ولاجماعهم ايضا على ان الولي لو وهب شيا من مالها لزوجها بعد
البينونة بغير اذنها لم يكن له ذلك فالمهر مال من اموالها فوجب
ان يكون حكمه حكم ساير اموالها ولاجماعهم على ان من الاولياء
من لا يجوز عفوه كبني العم وغيرهم ولم يفرق الله في هذه الاية ولانه
قال ولا تنسوا الفضل بينكم والفضل في هبة الانسان مال
نفسه لا مال غيره فيكون وجه الاية على هذا التاويل الذي بيده
عقدة النكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده
فلما ادخل الالف واللام حذف الها كقوله فان الجنة هي الماوى
يعني ماواه فقوله عقدة النكاح يعني عقدة نكاحه
وهذا قول الشافعي في الجديد واما الاية فيحتمل ان يكون
المراد به الازواج يخاطبهم بخطاب الحاضر ثم خاطبهم بخطاب
الغايب كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح
طيبة فان قلنا هو الولي لم يجز عفوه الا بخمسة شروط احدها
ان يكون ابا او جدا لانهما لا يتهمان فيما يريان من حظ الولد
والثاني ان تكون المراة بكرا والثالث ان يكون العفو بعد

الطلاق

الطلاق لا قبله اذ لا حظ لهما في العفو قبل الطلاق لان البضع
معرض للتلف فاذا عفا ربما دخل بها فتتلف منفعتها بغير بدل
والرابع ان يكون قبل الدخول فاما بعد الدخول فقد اتلف بضعها
فلم يجز اسقاط بدله والخامس ان يكون صغيرة او مجنونة فاما
البالغة الرشيدة فلا لانه لا ولاية له على مالها ولا يهب الولي العين
الا في وجه بعيد لان لفظ العفو لا يستعمل في الاعيان قوله
تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تعفوا مبتدا واقرب خبره
وللتقوى متعلق باقرب ويجوز في غير القران اقرب من التقوى
واقرب الى التقوى الا ان اللام هاهنا تدل على معنى غير معنى الى
وغير معنى من فمعنى اللام العفو اقرب من اجل التقوى فاللام
تدل على علة قرب العفو واذا قلت اقرب الى التقوى كان المعنى
يقارب التقوى كما تقول انت اقرب الي واقرب من التقوى
يقتضي ان يكون العفو والتقوى قريبين ولكن العفو اشد
قربا من التقوى وليس معنى الاية على هذا بل على معنى اللام
وعفوها الابرا وعفوه ان لا يطالبها بالنصف العايد اليه اذا كان
الصداق في يدها واذا كان الصداق باقيا في يدها فليقل وهبت
منك النصف الذي عاد الي ولفظ العفو لا يكفي في ظاهر
المذهب وفي المقصود بهذا الخطاب قولان احدهما انه خطاب
للرجال والنسا لان المذكر والمونث اذا اجتمعا غلب المذكر وهو
قول ابن عباس والجمهور والثاني انه خطاب للزوج وحده حكاه
الماوردي عن الشعبي وقد قرا وان يعفوا بالياء خبرا عن الزوج
وفي قوله اقرب للتقوى قولان احدهما اقرب لاتقا كل واحد
منهما ظلم صاحبه والثاني اقرب الى اتقا معاصي الله تعالى ه
قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قرا علي وابو داود
والنخعي ولا تناسوا الفضل من المفاعلة بين اثنين كقوله

الى صح

ولا تنابزوا بالالقاب وقرا يحيى بن يعمر ولا تنسوا بكسر الواو وقرا الباقون
تنسوا بضم الواو ومعنى الفضل اتمام الرجل الصداق او ترك
المراة النصف وهذا يدل على ان الله تعالى اراد الزوج والزوجة
لحثهما على الفضل والاحسان وامرهما جميعا ان يستبقا الى
العفو وقيل هذا عام في جميع المعاملات قوله تعالى
ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه عفوكم واستقصاؤكم
قوله تعالى حافظوا على الصلوات الاية لما ذكر جملا
من الاحكام امر بالمحافظة على الصلوات فانها تذكر الوعد
والوعيد وتذكرهما يجوز تحمل التكاليف والمعنى واظبوا على
الصلوات المكتوبة بمواقيتها وركوعها وسجودها وقيامها
وقعودها وجميع ما يجب من حقوقها وكل صلاة مفروضة
بالمحافظة فالمراد بها الصلوات الخمس وحافظوا يجوز ان
يكون من المفاعلة الواقعة من واحد كعاقبت اللص وعافاه
الله وان يكون من المفاعلة الواقعة من اثنين ويكون وجوب
تكرير اللفظ جاريا مجرى الفاعلين اذ كان الوجوب حاثا على الفعل
فكانه شريك الفاعل على المحافظة كما قالوا في قوله تعالى واذ واعدنا
موسى فالوعد كان من الله تعالى والقبول من موسى وجعل القبول
كالوعد وفي حافظوا معنى لا يوجد في احفظوا وهو تكرير الحفظ
ثم خص الصلوة الوسطى من بينها بالذكر دلالة على فضلها كقوله
تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
فهما من جملة الملائكة وقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان اخرجهما
بالذكر من الجملة بالواو الدالة على التخصيص والتفضيل
فكذلك قوله والصلوة الوسطى وقرات عائشة رضي الله عنها
والصلوة الوسطى بالنصب على الاغراء وقرئ الوصطى بالصاد
لمجاورة الطا وهما لغتان كالصراط والسراط والوسطى تانيث

الاوسط

الاوسط ووسط الشيء خيره واعدله لان خير الامور اوساطها قال
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي خيارا عدلا وقال تعالى
قال اوسطهم اي خيرهم وافضلهم وقال اعرابي يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم

يا اوسط الناس طرا في مفاخرهم واكرم الناس اما برة وابا

فصل اختلف العلماء في الصلوة الوسطى ما هي فقال
سعيد بن المسيب كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
هكذا في الاختلاف وشبك بين اصابعه وقال قوم هي صلاة الفجر
وهو قول معاذ وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وعطا
وعكرمة والربيع ومجاهد وعبد الله بن شداد بن الهاد وهو اختيار
الشافعي يدل عليه ما روى الربيع عن ابي العالية انه صلى مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة فلما فرغوا قلت لهم
ايتهن الصلوة الوسطى قالوا التي صليتها قبل ولانها بين صلاتي
ليل ونهار تصلى في سواد الليل وبياض من النهار وهي اكثر صلاة
تفوت الناس ولانها لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها بين صلاتين تبين
تجمعان وتقصران هذا التاويل قوله تعالى وقران الفجر ان قران
الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
ولانه عقبها بالقنوت يعني قوله وقوموا لله قانتين قالوا ولا صلوة
مكتوبة فيها قنوت سوى الصبح وفيه دليل على ثبوت القنوت
وقال ابو رجا العطاردي صلى بنا ابن عباس صلاة الغداة
في مسجد البصرة فقنت بنا قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه
الصلوة الوسطى التي امرنا ان نقوم فيها قانتين وعن انس قال
قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوة الصبح بعد الركوع
وعن الربيع بن انس قال كنت جالسا عند انس فقيل له انما قنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فقال ما زال رسول الله يقنت

في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا وعن ابن عباس قال قنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات وابو بكر حتى مات وعمر
حتى مات وعثمان حتى مات وعلي حتى مات رضي الله عنهم اجمعين
وقال اخرون هي صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وابي سعيد
الخدري واسامة بن زيد وعايشة دليلهم ما روى عن زيد بن ثابت
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوة
على اصحابه فلا يكون وراه الا الصف والصفان الناس يكونون في
قايلتهم وتجارتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان
احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى ولانها وسط النهار وروى عن علي
كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله في
سما الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل شي
لربنا فامر الله بالصلوة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها
ابواب السما ولا تغلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيها الدعا
ولانها اول صلاة فرضت واول صلاة توجه فيها رسول الله واصحابه
الى الكعبة وهي التي ترفع جميع الصلوات والجماعات لاجلها يوم
الجمعة وقال اخرون هي صلاة العصر وهو قول علي وعبد الله
وابي هريرة والنخعي وزر بن حبيش وقتادة والحسن وابي ايوب
والضحاك والكلبي ومقاتل واختيار ابي حنيفة يدل عليه ما روى
سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
صلاة الوسطى العصر وفي بعض الاخبار وهي التي فرط فيها سليمان
عليه السلام وعن البرا ابن عازب قال نزل حافظوا على الصلوات
وصلاة العصر فقراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
شا الله ثم نسختها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وفي
مصحف عايشة رضي الله عنها حافظوا على الصلوات والصلاة

الوسطى

الوسطى صلاة العصر وهكذا كان يقراها ابي بن كعب وعبيد بن عمير
وقال عليه السلام شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا ثم صلاها بين العشايين ولانها صلوة
بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي يفوته العصر فكانما وتر اهله وماله وقال
قبيصة بن ذويب هي صلاة المغرب الا ترى انها وسط ليست باقلها
ولا اكثرها ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار وعن عايشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوات
عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة
الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها
ركعتين بنا الله له قصرا في الجنة ومن صلى بعدها اربع ركعات
غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة وقيل انها صلاة
العشا الاخرة لانها بين صلاتين لا يقصران ذكره علي بن احمد
النيسابوري في تفسيره وغيره وعن عثمان بن عفان رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا
في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان
كقيام ليلة وقيل هي احدى الصلوات الخمس ولا نعرفها بعينها
ليكون ابعث لهم على المحافظة على جميعها وهو قول الربيع بن خثيم
ونافع وبه يقول ابو بكر الوراق لو شا الله لعينها ولكنه
سبحانه اراد تنبيه الخلق على ادا الصلوات قال الشعبي ولقد
احسنوا في قولهم لان الله تعالى اخفى الصلوة الوسطى في جملة
الصلوات المكتوبة ليحافظ على جميعها رجا الوسطى كما اخفى ليلة
القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الاعظم في جميع الاسما وساعة
الاجابة في ساعات الجمعة حكمة منه في فعله ورحمة على خلقه
قوله تعالى وقوموا لله قانتين المراد بالقيام هاهنا القيام

القيام في الصلاة وفي المراد بالقنوت هاهنا خمسة اقوال احدها
الطاعة قاله بن زيد والشعبي وعطا وجابر وسعيد بن جبير والحسن
وقتادة وطاوس وابن عباس في رواية عكرمة وعطيه وابن ابي طلحة
والضحاك ومقاتل والكلبي لكل اهل دين صلاة يقومون فيها
عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم مطيعين ودليل هذا التاويل
ما روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال كل قنوت في القران فهو الطاعة الثاني انه طول القيام
في الصلاة وهو قول بن عمر يدل عليه حديث جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم سيل اي الصلاة افضل قال طول القنوت الثالث انه السكوت
كما لا يجوز التكلم به في الصلوة قال زيد بن ارقم كنا نتكلم على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة ويكلم احدنا من الى جانبه
ويدخل الرجل عليهم فيسلم فيردون ويسلهم كم صليتم فيردون عليه
ويجي خادم الرجل وهو في الصلاة فيكلمه لحاجته كفعل اهل
الكتاب فكنا كذلك الى ان انزل الله تعالى وقوموا لله قانتين ه
فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام الرابع انه الخشوع قاله مجاهد
وكان العلما اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب
الحصا او يعبث بشي او يحدث نفسه بشي من امر الدنيا الا ناسيا
الخامس انه الدعا قاله بن عباس في رواية رجاء قوله
فان خفتم الاية لما امر بالقنوت والاتيان باركان الصلوة بين ان في
حال شدة الخوف تصح الصلوة وكيف ما امكنت فان هذه العبادة
لا تسقط عن العبد في حال وان كانت الحالة حالة قتال
والمعنى فان خفتم عدوا او سبعا وما الاغلب من شانه الهلاك
فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه ه قوله تعالى فرجالا
جمع راجل مثل تاجر وتجار والراجل الكاين على رجله اما ماشيا
او واقفا والمعنى فصلوا رجالا وقرا بعضهم فرجالا مشدده وقري

فرجل

فرجلا قوله تعالى او ركبانا جمع راكب مثل فارس وفرسان
قال المفضل لا يقال راكب الا لصاحب الجمل فاما صاحب
الفرس فيقال له فارس ويقال لراكب الحمار حمار ولراكب البغل
بغال وهما نصب على الحال اي فصلوا رجالا او ركبانا الى قبله
وغير قبله مومنا او غير مومي على حسب قدرته وهذه صلاة
شدة الخوف واما صلاة الخوف فسنذكرها في سورة النسا
ان شا الله تعالى واختلفوا في قدر صلاته فذهب الجمهور الى انها
على عددها ركعتين وقال الحسن يصلي ركعة واحدة لما روى
مجاهد عن بن عباس قال فرض الله تعالى الصلاة على لسان نبيكم
في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وقال
سعيد بن جبير اذا كنت في القتال والتقا الزحفان وضرب
الناس بعضهم بعضا فقلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وذكرت الله فتلك صلاتك قال الزهري فان لم
تستطع فلا تدع ذكرها في نفسك واختلفوا في وجوب
الاعادة عليه اذا امن فذهب اهل الحجاز الى سقوط الاعادة
لعذره وذهب اهل العراق الى وجوب الاعادة لان مشيه
فيها عمل ليس منها فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية وبين
ما روى بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى يوم الخندق
الظهر والعصر والمغرب والعشا بعد ما غاب الشفق قلنا ان
ابا سعيد روى ان ذلك كان قبل نزول هذه الاية فان خفتم
فرجالا او ركبانا فبان ان ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق
منسوخ قوله تعالى فاذا امنتم اي زال الخوف
فاذكروا الله اي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها
كما كنتم تصلون امنين وقيل فاذكروا الله بالحمد والثنا له
كما علمكم من امر دينكم ما لم تكونوا تعلمون والصلاة دعا

وحالة الخوف اولى الاحوال بالدعا فلهذا لم تسقط الصلوة بالخوف
قوله تعالى والذين يتوفون منكم اي يا معشر الرجال
ويذرون ازواجا اي ويتركون ازواجا اي زوجات قال
الكسائي اكثر ما تقول العرب للمراة زوجة ولكن في القران
زوج قوله تعالى وصية لازواجهم قرا الحسن وابو عمرو
وابن عامر والاعمش وحمزة وصية بالنصب على معنى فليوصوا
وصية وقرا الباقون بالرفع على معنى كتب عليكم الوصية وقيل
معناه لازواجهم وصية وقيل لكن وصية ودليل هذه القراة
قراة عبد الله كتبت عليهم وصية لازواجهم والمراد من قارب
الموت فليوص لان الميت لا يومر ولا ينهى قوله تعالى
متاعا الى الحول متاعا نصب على المصدر اي متعوهن متاعا
وقيل جعل الله لهن متاعا وقيل نصب على الحال وقيل
نصب بالوصية والمتاع نفقة سنة طعامها ولبوسها وسكناها
وما تحتاج اليه والى الحول متعلق بمتاع او صفة له قوله
تعالى غير اخراج غير هنا ينتصب انتصاب المصدر عند
الاخفش تقديره لا اخراجا وقال غيره هو حال وقيل هو صفة
متاع وقيل التقدير من غير اخراج والمعنى لا تخرج من بيت زوجها
فان خرجن من قبل انفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة
فلا جناح عليكم يعني يا اوليا الميت فيما فعلن في انفسهن من
معروف يعني التشوق للنكاح والتصنع للازواج وفي
معنى وضع الجناح عن الرجال بفعل النسا قولان احدهما لا
جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضا الحول
والثاني لا جناح في ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا
في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله في ذلك الى ان نسخه
باربعة اشهر لان ذلك لو كان واجبا عليها لكان على الاوليا

منعها

منعها من ذلك فرفع الله الجناح عنهم وعنها واباح لها الخروج ان
شات فصل قال ابن عباس وسائر المفسرين نزلت
هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحرث
هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه ابوه وامراته فمات فرفع ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فاعطى
رسول الله والديه واولاده من ميراثه ولم يعط المراة شيا غير انه
امرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وذلك ان الرجل كان
اذا مات وترك زوجة اعتدت سنة في بيت زوجها لا تخرج ينفق
عليها من ميراثه فاذا تم الحول خرجت الى باب بيتها ومعها بعرة
ترمي بها كلبا ومعنى رميها بالبعرة تقول بعد وفاة زوجي اهون
عندي من هذه البعرة ثم جا الاسلام فاقرهم على ملك الحول
بهذه الاية ثم نسخ ذلك باربعة اشهر وعشرا ونسخ الامر بالوصية
بما فرض لها من الربع او الثمن من ميراثه وفي استحقاقها السكنى
خلاف للعلما قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
الاية قد ذكرنا حكم المتعة وانما اعاد ذكرها هاهنا لما فيها من
زيادة المعنى على ما سواها وهي فيما سوى هذا بيان حكم الممسوسة
اذا طلقت وهاهنا بيان حكم جميع المطلقات في المتعة قاله
ابو العالية وقال ابن زيد لما نزل قوله حقا على المحسنين قال
رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل
فقال الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
يعني المتقين الشرك فبين ان لكل مطلقة متاع وقد ذكرنا
الخلاف فيها قوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته
اي مثل البيان الذي تقدم فيما ذكر من الاحكام يبين لكم اياته
فشبه البيان في المستقبل بالبيان في الماضي لعلكم تعقلون
اي يتبين لكم صفة العقلا باستعمال ما بينا لكم قال الزجاج

العاقل من يعمل بما وجب عليه فمن لم يفعل فهو جاهل له
قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الاية قال
اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط
وقع بها الطاعون فخرجت طايفة هاربين من الطاعون وبقيت
طايفة فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع
الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم
منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولين وقع الطاعون ثانية لنخرجن
الى الارض التي لا وبا بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة
اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فناداهم مناد من اسفل الوادي
واخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا وقال الضحاك ومقاتل
والكلبي انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرايل
امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا ثم جبنوا فكرهوا الموت واعتزلوا
وقالوا للملك ان الارض التي ناتيها بها الوبا فلا ناتيها حتى ينقطع منها
الوبا فارسل الله عليهم الموت فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من
ديارهم فرارا من الموت فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب
يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم
حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله
موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد
واتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم
فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في عددهم
فقال عطا الخراساني كانوا ثلثة الاف وقال ابن عباس ووهب
اربعة الف وقال مقاتل والكلبي ثمانية الاف وقال ابو روق
عشرة الاف وقال ابو مالك ثلثون الفا وقال عطا بن ابي رباح
سبعين الفا وقال السدي بضع وثلثين الفا وقال ابن جريج
اربعين الفا وقال الضحاك كانوا عددا كثيرا والصواب

بلغ صح

قول

قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف وذلك ان الله تعالى قال
وهم الوف وما دون عشرة الاف لا يقال لهم الوف وانما يقال ثلثة
الاف فصاعدا الى عشرة الاف لان الالوف جمع الكثير وجمعه القليل
الاف مثل يوم وايام ووقت واوقات قالوا فاتى على ذلك مدة وبليت
اجسادهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل ثالث خلفا بني اسرايل بعد
موسى عليه السلام وذلك ان القيم بامر بني اسرايل بعد موسى عليه
السلام يوشع بن نون ثم كالب ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز
وذلك ان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد وقد كبرت وعقمت
فوهب الله لها فلذلك قيل ابن العجوز وقال الحسن ومقاتل هو
ذو الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما راى
حزقيل الموتى قال يا رب اهلكت قومي وتركتني وحيدا فريدا ليس
معي من يدعوك ويسبحك ويقدسك فاحياهم الله تعالى بدعايه وقيل
الذي دعى شمعون ومعنى قوله الم تر الم تعلم باعلامي اياك ومعنى الروية
هاهنا القلب فصار بصدق اخبار الله تعالى كالنظر اليه عيانا وقال
اهل المعاني هو تعجب وتعظيم يقول هل رايت مثلهم كما يقول الم تر الى
ما يصنع فلان وقرى الم تر بسكون الرا قوله وهم الوف فيه
قولان احدهما ان معناه وهم مؤتلفي القلوب قاله ابن زيد والثاني يعني
الوف في العدد وعليه العلما قوله تعالى حذر الموت اي لحذر
الموت فهو نصب لانه مفعول له او نصب على المصدر اي حذروا
الحذر الا اتقا قوله تعالى فقال لهم الله موتوا اي اماتهم فهو امر
تكوين ولا يبعد ان يقال نودوا وقيل لهم موتوا فاماتهم الله ثم احيا هم
وقد حكينا انه ناداهم مناد ان موتوا فماتوا فان قيل كيف
اميتت هولا مرتين في الدنيا وقد قال تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى قلنا اماتهم الله عقوبة لانه نقمهم على فرارهم من
الموت ثم بعثهم الى بقية اجالهم فكان كقوله تعالى والتي لم تمت

في منامها وقيل كان احياهم اية من ايات نبيهم وايات الانبيا نوادر
لا يقاس عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى التي ليست من
ايات الانبيا وفي هذه القصة احتجاج على اليهود اذ اخبرهم النبي عليه
السلام بامر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحته واحتجاج على منكري البعث
ذكره ابن الانباري قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس
نبه تعالى بذكر فضله على هولا وعلى فضله على ساير خلقه مع قلة
شكرهم فقال ولكن اكثر الناس لا يشكرون قوله تعالى
وقاتلوا في سبيل الله في المخاطبين بهذا قولان احدهما انهم الذين
اماتهم الله ثم احياهم قاله الضحاك والثاني انه خطاب لامة محمد عليه
السلام فمعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هولا فما ينفعكم الهرب
قوله تعالى واعلموا ان الله سميع لاقوالكم عليم بما تنطوي عليه
ضمايركم قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
الاية قال سفين لما نزل من جا بالحسنة فله عشر امثالها
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزل من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب من استفهام في موضع رفع بالابتدا وذا خبره
والذي نعت لذا او بدل منه ويقرض صلة الذي ولا يجوز ان يكون
من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من
اذ كانت من لمن يعقل ومثله من ذا الذي يشفع عنده ولما
امر الله تعالى بالجهاد حرض على الانفاق في سبيله وحث على المقر ص
رد القرض فبين ان من انفق في سبيل الله لا يضيع عند الله بل يرد
الثواب قطعا ثم قرض الادمي للواحد واحد وهذا يضاعف وابهم
قدر الجزا فكانه يقول ثواب الله فوق ما تحدون والقرض اسم
لكل ما يلتمس عليه الجزا واقرض فلان فلانا اي اعطاه ما
يجازاه منه واصله في اللغة القطع ومنه المقراض ومنه قرض

الفار الثوب وسمي الشعر قريضا لانه يقطعه من كلامه واقرضته
اي قطعت له قطعة يجازي عليها وانقرض القوم اي انقطع اثرهم
وهلكوا والقرض اسم المصدر والمصدر على الحقيقة الاقراض ويجوز
ان يكون القرض هنا بمعنى المقروض كالخلق بمعنى المخلوق فيكون
مفعولا به وحسنا على هذا يجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف
تقديره من ذا الذي يقرض الله مالا اقراضا حسنا ويجوز ان يكون
صفة للمال ويكون بمعنى الطيب والكثير فان قيل ما وجه
تسمية الصدقة قرضا قلنا عنه ثلثة اجوبة احدها ان الله تعالى من ثوابه صح
شبه عمل المومن على ما يرجوه بالقرض لانهم انما يعطون طمعا
فيما وعدهم الله من جزيل الثواب كما ان المقرض يعطي ليرجع لمثله
او شبهه قاله ابن كيسان والثاني لتاخير القضا الى يوم القيمة ذ
والثالث لتاكيد استحقاق الثواب به اذ لا يكون قرض الا والعوض
مستحق به وقال بعض اهل المعاني في الاية اختصار واضمار
تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله كقوله تعالى ان الذين
يوذون الله وسل القرية وانما اضافه لنفسه للتفضيل والاستعطا ف
كما جا في الحديث ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة استطعمتك
فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني واستكسيتك فلم
تكسني فيقول العبد وكيف ذلك يا سيدي فيقول مر بك فلان
الجايع وفلان العاري وفلان الظامي فلم تعد عليهم من فضلك
فلامنعك اليوم من فضلي كما منعتهم وقال بعض اهل
الاشارة امر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض اظهارا لمحبة
عباده المومنين وذلك انما يستقرض من الاحبة لذلك قال
يحيى بن معاذ عجبت ممن يبقى له مال ورب العرش يستقرضه
روى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
رايت على باب الجنة مكتوبا القرض بثمنية عشر والصدقة بعشر

فقلت يا جبريل ما بال القرض اعظم اجرا قال لان صاحب القرض لا
ياتيك الا محتاجا وربما وقعت الصدقة في غير اهلها وعن ابي هريرة
وابن عباس قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقرض اخاه
المسلم فله بكل درهم وزن احد وثبير وطور سينا حسنات ولما نزلت
هذه الاية قال ابو الدحداح فداك ابي وامي يا رسول الله الله يستقرضنا
وهو غني عن القرض قال نعم يريد ان يدخلك الجنة قال وزوجتي
ام الدحداح معي قال نعم قال وصبيتي الدحداحة معي قال نعم قال
ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ان لي
حديقتين والله لا املك غيرهما وقد جعلتهما قرضا لله تعالى فقال
عليه السلام اجعل احداهما لله والاخرى معيشة لك ولعيالك
قال فاشهدك يا رسول الله اني قد جعلت الاجود منهما لله تعالى قال
اذا يجزيك الله بالجنة فانطلق ابو الدحداح حتى اتى ام الدحداح وهي
مع صبيتها في الحديقة تدور تحت النخل فانشا يقول

هداك ربي سبل الرشاد … الى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط لي بالوادي … فقد مضى قرضا الى التناد
اقرضه الله على اعتمادي … بالطوع لا من ولا ارتداد
الا رجا الصعف في المعادي … فارتحلي بالنفس والاولاد
والبر لا شك لخير زاد … قدمه المرء الى المعاد
قالت ام الدحداح ربح البيع … واجابته
بشرك الله بخير وفرح … مثلك ادى ما لديه ونصح
ان لك الحظ اذا الحظ وضح … قد متع الله عيالي ومنح
بالعجوة السودا والزهو البلح … والعبد يسعى وله ما قد كدح
طول الليالي … وعليه ما اجترح

ثم اقبلت ام الدحداح على صبيانها تخرج ما في افواههم وتنفض ما في
اكمامهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح ودار فياح

في الجنة

في الجنة لابي الدحداح وفي معنى القرض الحسن خمسة اقوال احدها
انه الخالص لله تعالى قاله الضحاك والثاني ان تخرج عن طيب
نفس قاله مقاتل والثالث ان يكون حلالا قاله ابن المبارك والرابع
ان لا يتبعه منا ولا اذى والخامس ان يكون من خيار المال قال
اهل العلم القرض الحسن ان تجمع عشرة اوصاف ان يكون من الحلال لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال
عليه السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وان
يكون من اكرم ما يملكه دون ان يقصد الردي لقوله تعالى ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون وان تتصدق وهو يحب المال ويرجو الحيوة
سيل عليه السلام عن افضل الصدقة فقال ان تعطيه وانت
صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا والفلان يكفا به عن
احد الادميين يقال للذي كرمته والانثى فلانه فاذا اردت به
غير الاناس ادخلت الالف واللام تقول ركبت الفلان يعني بعيرا
او فرسا وحلبت الفلانه يعني ناقة او شاة وان تضعه في الاحوج
ولذلك خص اقواما باخذ الصدقات وان تكتمه ما امكن لقوله تعالى
وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وان لا يتبعه المن والاذى
لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وان تقصد به وجه الله
ولا يرائي بذلك لان المرائي مذموم على لسان الشرع وان يستحقر ما
يعطي وان كثر لان الدنيا كلها قليلة لقوله تعالى قل متاع الدنيا
قليل وان يكون من احب ما له اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون قوله تعالى فيضاعفه له قرا عاصم
وابن ابي اسحق وابو حاتم فيضاعفه نصبا بالالف وقرا ابن عامر
ويعقوب بالتشديد والنصب وقرا ابن كثير وابو جعفر وشيبه
بالتشديد والرفع وقرا الباقون بالالف والتخفيف ورفع الفا فمن

نسقا على قوله يقرض وقيل فهو يضاعفه ومن نصب جعله جوابا
للاستفهام بالفا وقيل باضمار ان والتشديد والتخفيف لغتان ودليل
التشديد قوله تعالى اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير ومعنى
التضعيف والاضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على اصل الشي
حتى تصير مثلين او اكثر قال الحسن والسدي هذا التضعيف
لا يعلمه الا الله وهو مثل قوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال
ابن زيد الواحد بسبع مائة وقال ابو هريرة هذا في نفقة الجهاد
وهو قول ابن زيد والله يقبض ويبسط فيه اربعة اقوال احدها
يقبض الرزق عمن يشا ويوسع على من يشا كقوله تعالى ويقبضون
ايديهم وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده والاصل في هذا قبض اليد
عند البخل وبسطها عند البذل والثاني انه الاحيا والاماتة فمن
اماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له والثالث والله
يقبض ويبسط الخلف والرابع يقبض قلوبكم عن الصدقة ويبسطها الصدقة صح
في الصدقة قوله تعالى واليه ترجعون يعني والى الله تعودون ون
فيجزيكم باعمالكم قال قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية عن
غير مذكور اي من التراب خلقكم واليه تعودون قوله تعالى
الم تر الى الملا من بني اسرايل الاية قال الفرا الرجال في كل
القران لا يكون فيهم امراة وكذلك القوم والنفر والرهط وقال
الزجاج الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجمع ومنه
قوله تعالى وانطلق الملا منهم ومنه وقال الملا حوله وهم الذين
يملاون العيون هيبة ويملاون المكان اذا حضروا قوله تعالى
من بعد موسى اي من بعد موت موسى قوله تعالى اذ قالوا
لنبي لهم اختلفوا فيه على ثلثة اقوال احدها انه يوشع بن نون قاله
قتادة والثاني شمعون بالسين المهملة سمته امه بذلك لانها
دعت الله ان يرزقها غلاما فسمع دعاها فيه تقول سمع الله دعاي

والسين

والسين تصير شينا بلغة العبرانية والثالث اسمه اشمويل وهو
بالعبرانية اسمعيل قاله الجمهور وقال وهب وابو اسحق والسدي
والكلبي وغيرهم كان سبب مسالتهم اياه ذلك انه لما مات موسى
عليه السلام خلف بعده في بني اسرايل يوشع يقيم فيهم التورية وامر
الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب يقيم التورية وامر الله حتى
قبضه الله ثم خلف فيهم حزقيل كذلك ثم ان الله تعالى قبضه
ن وعظمت في بني اسرايل الاحداث ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم الياس نبيا فجعل يدعوهم الى الله تعالى وانما
كانت الانبيا من بني اسرايل بعد موسى عليه السلام يبعثون اليهم
بتجديد ما نسوا من التورية ثم خلف بعد الياس اليسع فكان فيهم ما
شا الله ان يكون ثم قبضه الله اليه ووقع الخلف فيهم وعظمت
فيهم الاحداث وظهر فيهم عدوهم وغلب عليهم وكانوا يسالون الله
ان يبعث فيهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة قد هلكوا ولم
يبق منهم الا امراة حامل فولدت غلاما سمته اشمويل اي اسمعيل
فلما كبر تعلم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمايهم
ورباه فلما بلغ الغلام ان يبعثه الله نبيا اتاه جبريل والغلام
نايم الى جنب الشيخ وكان لا يامن عليه احدا فدعاه بلحن الشيخ
يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتني
فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم
ثم دعاه الثانية فاتاه الغلام ايضا فقال دعوتني فقال ارجع
فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له
جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد
بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة
ولم يان لك فقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اية من نبوتك فلما كان قوام بني اسرايل بالاجتماع

على الملوك وطاعة الملوك انبيايهم وكان الملك هو الذى يسير بالجموع
والنبي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه
قوله تعالى نقاتل في سبيل الله قرا السلمي يقاتل في سبيل الله
باليا والرفع جعل الفعل للملك وقرى باليا والجزم ايضا على الجواب
والجمهور على النون والجزم على جواب الامر وقد قرى بالرفع في الشاذ
على الاستيناف فلما قالوا ذلك قال لهم ذلك النبي هل عسيتم قرا
الجمهور بفتح السين وقرا نافع والحسن وطلحة بكسرها في كل القران
وهي لغة والفتح اللغة الفصيحة عسى للطمع والمقاربة واسمه يكون مضمرا
كما في الاية ويقع عاريا عنه الاسم نحو عسى ان يبعثك ربك ويكون اسما
غير مصدر ويقترن خبره بان نحو عسى الله ان ياتي بالفتح وخبر عسيتم
ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما قوله ان كتب عليكم القتال
استفهام شك يقول لعلكم تجبنون فقال الملا لذلك النبي وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله فان قيل فما وجه دخول ان في هذا الموضع
والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل وانما يقال ما لك لا تفعل قلنا
دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فصيحتان فاما اثبات ان فقوله
تعالى يقوله تعالى ما لك ان لا تكون مع الساجدين واما حذفها فقوله
وما لكم لا تومنون بالله قال الكسائي معناه وما لنا في الا نقاتل
فحذف في وقال الفرا هو محمول على المعنى اى ما منعنا عن ذلك
كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقال الاخفش ان هاهنا
زايدة معناه وما لنا لا نقاتل وقال بعضهم ما لنا وان لا نقاتل
فحذف الواو وحكاه محمد بن جرير قوله وقد اخرجنا من
ديارنا وابنايبنا يعنون اخرج بعضنا وهم الذين سبوا ونهبوا
فظاهره العموم ومعناه الخصوص وقرا عبيد بن عمير اخرجنا
بفتح الهمزة والجيم يعني العدو قوله تعالى فلما كتب
عليهم القتال اي فرض تولوا اى اعرضوا عن الجهاد الا قليلا منهم

وهم الذين عبروا النهر وسياتي ذكرهم والله عليم بالظالمين وعدلهم على
ظلمهم في التعود عن القتال قوله تعالى وقال لهم نبيهم
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال المفسرون ان اشمويل عليه
السلام سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه
دهن وقيل ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله طول هذه
العصا ومتى دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو
ملك بني اسرايل فادهن به راسه وملكه عليهم فقاسوا انفسهم
بالعصا فلم يكونوا على طولها ولا نش له الدهن فاجتاز طالوت بباب
النبي عليه السلام قال الزجاج طالوت وجالوت وداود لا ينصرف
لانها اسما اعجمية وهي معارف فاجتمع فيها التعريف والعجمة
وسمي طالوت لطوله فكان يحاذي روس الناس بمنكبه قال
وهب كان دباغا يعمل الادم فضلت حمر لابيه فارسله مع غلام
له في طلبها فمرا ببيت النبي عليه السلام فدخلا ليسالاه عن الضالة
فنش الدهن في القرن فقدرت عليه العصا فكانت في طوله فدهن
راسه بالدهن وقال انت ملك بني اسرايل فقال طالوت اما علمت
ان سبطي ادنى اسباط بني اسرايل وبيتي ادنى بيوتهم قال بلى قال
فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كما قال
وقال عكرمة والسدي كان سقا يستقي على حمار له من النيل
فضل فخرج في طلبه وقيل كان مكاريا ومعنى قوله انى يكون
له الملك علينا اي من اي جهة يكون له الملك علينا ونحن احق
بالملك منه قال ابن عباس انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرايل
سبطان في احدهما النبوة وفي الاخر الملك وكان سبط النبوة سبط
لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى عليه السلام وهرون وسبط
الملك سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما
السلام ولم يكن طالوت من احدهما ومع ذلك هو فقير ولم يوت

سعة من المال اي ليس بذي مال كثير فيتملك به قال ذلك النبي
ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره وزاده بسطة اي فضيلة وسعة
في العلم والجسم وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في وقته وكان يفوق
الناس بمنكبه وعنقه وراسه وجماله وهل كانت هذه الزيادة
قبل الملك ام حدثت له بعد الملك فيه قولان احدهما قبل الملك
قاله وهب والسدي والثاني بعد الملك قاله ابن زيد وقيل زيادة
الجسم كانت بكثرة الخير والشجاعة اذ العادة ان من كان اعظم جسما
كان اكثر قوة وقيل زيادة العلم بان اوحي اليه وذكر انه اتاه الوحي
حين اتاه الملك وعلى هذا القول كان طالوت نبيا ملكا وقال الكلبي
وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم بالطول واصل البسط من مد
اليد فاذا قام الانسان تناول شي هو فوق قامته مد يده اليه قوله
تعالى والله يؤتي ملكه من يشا يريد ان الملك ليس بالوراثة انما هو
بيد الله تعالى يؤتيه من يشا والله واسع الرزق والفضل والرحمة
وقيل واسع بمعنى يوسع النعمة على من يشا وقيل واسع اي ذو سعة
كقوله تعالى عيشة راضية اي ذات رضا وقوله عليم اي بكل شي
قالوا فما اية ذلك فقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
ويحتمل انه اتاهم الاية من غير سوال لتسكن قلوبهم والاية العلامة
وهذا ضرب من المجاز لان التابوت يؤتى به ولا ياتي ومثله فاذا
عزم الامر قال وهب خيرهم اي اية تريدون فقالوا ان يرد علينا
التابوت وكانت العمالقة قد غلبتهم عليه فرد الله ذلك التابوت
على طالوت قال ابن عباس هو صندوق من خشب الشمشار
عليه صفائح الذهب وكان مع الانبيا اذا حضروا قتالا قدموه بين
ايديهم يستنصرون به وكان طوله نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
قاله ابن منبه وكان فيه صور الانبيا فتوارثه اولاد ادم وكان قد انزله
الله على ادم عليه السلام وكان عنده الى ان مات وفي السكينة سبعة

اقوال

اقوال احدها انها ريح هفافة لها راس ووجه كوجه الانسان قاله
علي كرم الله وجهه والثاني انها دابة بمقدار الهرة ولها عينان
لهما شعاع وكانوا اذا التقى الصفان اخرجت يدها ونظرت اليهم
فينهزم الجيش من الرعب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد
لها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان والثالث انها
طست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبيا روي عن ابن عباس
والرابع انها روح من الله تعالى تتكلم كانوا اذا اختلفوا في شي
كلمتهم واخبرتهم ببيان ما يريدون روي عن وهب بن منبه والخامس
ان السكينة ما يعرفون من الايات فيسكنون اليها روي عن
عطا بن ابي رباح وذهب الى نحوه الزجاج فقال السكينة من السكون
فمعناه فيه ما تسكنون اليه اذا اتاكم والسادس ان السكينة
هاهنا الوقار روي عن قتادة والسابع ان السكينة الرحمة
قاله الربيع بن انس قوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى
وال هرون في البقية ثمنية اقوال احدها انها رضاض الالواح التي
تكسرت حين القاها موسى وعصاه قاله ابن عباس وقتادة والسدي
والثاني رضاض الالواح قاله عكرمة ولم يذكر العصا والثالث انها
عصى موسى والسكينة قاله وهب والرابع عصى موسى وعصى
هرون وثيابهما ولوحان من التورية والمن قاله ابو صالح والخامس
ان البقية العلم والتورية قاله مجاهد وعطا والسادس انها رضاض
الالواح وقفيز من من في طست من ذهب وعصى موسى وعمامته
قاله مقاتل والسابع انها العصا والنعلان ذكره الثوري عن بعض
اهل العلم والثامن ان المراد بالبقية الجهاد في سبيل الله تعالى
وبذلك امروا قاله الضحاك والمراد بال موسى وهرون موسى وهرون
والعرب تقول ال فلان تريد نفسه وفي الخبر لقد اوتي هذا من مزامير
ال داود يعني داود نفسه قوله تعالى تحمله الملائكة

بالتا وقرا الحسن ومجاهد بالياء وفي المكان الذي حملته منه الملائكة
اليهم قولان احدهما انه كان مرفوعا مع الملائكة بين السما والارض
منذ خرج عن بني اسرايل قاله الحسن والثاني كان في الارض وفي اي
مكان كان فيه قولان احدهما انه كان في ايدي العمالقة قد دفنوه
قال ابن عباس اخذ التابوت قوم جالوت فدفنوه في متبرز لهم فاخذهم
الباسور فهلكوا ثم اخذه اهل مدينة اخرى فاخذهم بلاء فهلكوا ثم اخذ
غيرهم كذلك حتى هلكت خمس مداين فقالت لهم امراة كانت عندهم
من سبي بني اسرايل من اولاد الانبيا اخرجوا هذا التابوت عنكم
فاتوا بعجله وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين ثم ضربوا
جنوبهما ووكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما
حتى وقفا على ارض بني اسرايل ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد
لبني اسرايل فلم يرع بني اسرايل الا وهم بالتابوت فكبروا وحمدوا الله تعالى
واتبعوا امره وملكوا طالوت فذلك معنى قوله تعالى تحمله الملائكة
اي تحفظه وتسوقه فلما كانت سببا في حمله نسب الحمل اليها
والثاني ان التابوت كان في التيه خلفه موسى عليه السلام عند
يوشع بن نون فبقي هناك فوضعته الملائكة حتى وضعته في دار
طالوت فاقروا بملكه قوله تعالى ان في ذلك لآية لكم
اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم
ان كنتم مومنين مصدقين بتمليكه عليكم قال ابن عباس ان التابوت
وعصا موسى عليه السلام في بحيرة طبرية وانهما يخرجان يوم القيمة
وحكاه ابو جعفر الطبري قوله تعالى فلما فصل طالوت
بالجنود اي خرج وشخص بهم وقطعهم عن موضعهم واصل الفصل
القطع وقول فصل اي يقطع بين الحق والباطل وفصل عن المكان
اي قطعه وتجاوزه يفصل فصولا ومنه ولما فصلت العير
وفاصل الرجل شريكه فصالا ويقال للفطام فصال فخرج طالوت

من

من بيت المقدس بالجنود جمع جند وكل صنف من الخلق جند وهم يومئذ
سبعون الف مقاتل قاله ابن عباس وقيل ثمانون الفا قاله عكرمة
والسدي وقيل مائة الف قاله مقاتل وساروا في حر شديد فشكوا
قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ادع الله ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت
ان الله مبتليكم اي مختبركم ليرى طاعتكم وهو اعلم والحكمة في ابتلائهم
ان يعلم طالوت من له نية في القتال منهم ومن ليست له نية قوله
تعالى بنهر قراءة العامة بفتح الهاء وقرا حميد والحسن ساكنة الها وهما
لغتان مثل شعر وشعر قال ابن عباس والسدي هو نهر فلسطين
وقال قتادة والربيع هو نهر من الاردن وفلسطين عذب قوله
تعالى فمن شرب منه فليس مني اي من اهل ديني وطاعتي فمن قال
كان نبيا قال اوحى الله اليه بذلك ومن قال لم يكن نبيا قال اخبرهم نبيهم
بهذا قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني يقال طعمت الشي
اذا ذقته واطعمته الما اي اذقته ولم يقل ومن لم يشربه فان من عادة
العرب اذا كررت شيا ان تكرره بلفظ اخر ولغة القران افصح اللغات
فلا عبرة بقول من قال لا يقال طعمت الما واصل النهر والنهار
الاتساع ومنه انهر الدم ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده
قرا ابن عباس وابن ابي اسحق وسليمان وابو الجوزا ونافع وابو عمرو
وايوب غرفة بفتح الغين وقرا الباقون بضمه وهي قراة عثمن
وهما لغتان وقال الكسائي وابو عبيدة الغرفة بالضم الذي يحصل
في الكف من الما اذا غرف وبالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح
مصدر وقال ابو حاتم الغرفة بالضم مثل الكف وبالفتح المرة الواحدة
من القليل والكثير وزعم مقاتل ان الغرفة كان يشرب منها الرجل
ودابته وخدمه ويملا قربته وقيل لم يرد به غرفة الكف وانما
اراد المرة الواحدة بقربة او جرة او ما اشبه ذلك قوله تعالى
فشربوا منه الا قليلا منهم منصوب بالاستثنا من الموجب

وقرأ ابن مسعود قليل بالرفع حملا على المعنى اي لم يطيعوه الا قليل
منهم واختلفوا في القليل الذي لم يشربوا فقال السدي كانوا اربعة
الف وقال غيره ثلثمائة وثلثة عشر وهو الصحيح يدل عليه قول البراء بن
عازب قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم على عدة اصحاب
طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مومن قال وكنا يومئذ
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فالذي اغترف كما امر الله قوي قلبه وصح ايمانه
وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة والذين لم يغترفوا واو نحوا
انفسهم وشربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش
وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح وعلى
هذا فقوله فليس مني فليس مصاحبي في سفري ثم يحتمل ان يقال
كفروا بالمخالفة ويحتمل ان يقال ما كفروا ولكنهم عصوا هذا كلام
القشيري قوله تعالى فلما جاوزه يعني النهر هو يعني
طالوت والذين امنوا معه اختلفوا هل جاوزه معه كافر ام لا فحكي
عن البراء والحسن وقتادة انه ما جاوزه الا مومن كما سبق وقال ابن عباس
والسدي جاوزه الكافرون الا انه كان يعول على من اطاعه
حكاه الماوردي وقال القشيري يحتمل ان الجميع عبروا
قوله تعالى قالوا لا طاقة الطاقة مصدر بمنزلة الاطاقة
قوله لنا اليوم بجالوت وجنوده اختلفوا في القائلين لهذا
على ثلثة اقوال احدها انهم الذين شربوا اكثر من غرفة وكا ا
اهل شك ونفاق انصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت
قاله ابن عباس والسدي والثاني انهم الذين قلت بصائرهم من المومنين
قاله الحسن وقتادة وابن زيد والثالث انه قول الذين جاوزوا معه
وانما قال ذلك بعضهم لبعض لما راوا من قلوبهم وهذا اختيار
الزجاج وجالوت ملك من ولد عمليق بن عاد قيل كانت
بيضته ثلثمائة رطل من الحديد قوله تعالى قال الذين

يظنون

يظنون انهم ملاقوا الله في هذا الظن قولان احدهما انه بمعنى اليقين
قاله السدي والثاني انه الظن الذي هو التردد فان القوم توهموا
لقلة عددهم انهم سيقتلون فيلقون الله قاله الزجاج فوقع الشك
في القتل او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله اذ ليس يقطع المرء بوفاته
على الايمان وقد يجوز ان يكون الظن بمعنى الرجا ذكره القشيري
وفي الظانين هذا الظن قولان احدهما انهم الثلثمائة وبضعة عشر
قالوا للراجعين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قاله السدي والثاني
انهم اولوا العزم والفضل من الثلثمائة وبضعة عشر وقوله
انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثوابه وقيل هو محمول على حقيقة
اللقا والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا فئة ولا
واحد له من لفظه وجمعها فئات وفئون في الرفع وفئين في النصب
والخفض وقال الزجاج انما قيل للفرقة فئة من فأوت رأسه
بالعصا وفأيته اذا كسرته كانها قطعة قوله تعالى باذن الله
قال الحسن بنصر الله وذلك انه اذا اذن في القتال نصر فيه على الوجه
الذي وقع الاذن فيه قوله تعالى والله مع الصابرين اي
بالنصر والاعانة قوله تعالى ولما برزوا يعني طالوت
وجنود المومنين لجالوت وجنوده المشركين ومعنى برزوا اي
ظهروا لهم متجردين للقتال ومنه المبارزة ومنه البراز للارض الفضا
فالبروز المصير الى البراز قوله تعالى قالوا ربنا افرغ علينا
صبرا اي يا ربنا انزل واصبب علينا صبرا يقال افرغت الاناء اي
صببت ما فيه فالافراغ الاخلاء اي ثبت الصبر في قلوبنا وفرغها
من غيره قوله تعالى وثبت اقدامنا اي بتقوية قلوبنا
وباختلاف كلمة الاعداء وانما تثبت الاقدام عند قوة القلوب
قوله تعالى وانصرنا اي واحسن معونتنا على القوم
الكافرين يريد جالوت وجنوده وكان صلى الله عليه وسلم

يقول في القتال اللهم بك اصول وبك احول وبك اقاتل قال
الازهري بك اصول اي بك احمل على العدو وبك احول اي بك
اتحرك وقال ابو الهيثم في لا حول ولا قوة الا بالله ان الحول الحركة
يقال حال الشخص اذا تحرك والذي عليه جماعة اهل السنة انه لا يتحرك
متحرك ولا يسكن ساكن ولا يتصرف متصرف الا بقدرته تعالى
ومشيئته وكان يصلي في غزوة بدر ويلح في الدعا ويستنجز الله وعده
حتى قال له الصديق رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه منجز لك
ما وعد وكان عليه السلام يقول اذا لقي العدو اللهم اني اعوذ
بك من شرورهم واجعلك في نحورهم قوله تعالى فهزموهم
باذن الله فانزل الله عليهم النصر فهزموهم فلا بد من هذا الاضمار
ومعنى الهزم في اللغة يقال هزمت العظم هزمًا اذا كسرته والهزم
ما تكسر من يابس الحطب قوله تعالى وقتل داود جالوت
داود هو نبي الله ابو سليمان وكان داود ممن عبر النهر مع طالوت
فرمى جالوت بحجر من مقلاعه فوقع بين عينيه فخرج من قفاه
فقتله واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم
وقيل اصاب الحجر راسه وسقط من اسفله واختلفوا هل كان
داود نبيًا قبل قتل جالوت فذهب بعضهم الى انه كان نبيا لان هذا
الفعل الذي يخرج عن العادة لا يكون الا من نبي وقال الحسن لم يكن
نبيًا لانه لا يجوز ان يولى من ليس بنبي على نبي قوله تعالى
واتاه الله الملك وقال المفسرون كان طالوت قد شرط لداود ان قتل
جالوت ان يشاطره ملكه ويزوجه ابنته ففعل ثم ان داود صار محبوبا
الى الناس كبيرًا عندهم فخاف طالوت وخشي ان يقتله فاستوحش منه
فاحس داود بذلك فهرب من طالوت ثم ان طالوت بعد ان هرب
داود افسد وقتل العلماء ثم ندم بعد ذلك وبكا ولم يجد له توبة الا ما
افتاه اشمويل وهو ان يقاتل هو واولاده وكانوا غزاة في سبيل الله

الى

يعني في الطريق بلغنا احجار يقلن يا طالوت
فحملها في مخلاته فلما قصد الاحجار فارادتي الحجر واحدا

الى ان يقتلوا جميعًا وهو معهم فقاتلوا وقتلوا وملك بعده داود
فذلك قوله واتاه الله الملك وكان ملك طالوت من اوله الى ان قتل
في الغزاة مع ولده اربعين سنة قال الضحاك والكلبي ملك داود بعد
قتل جالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على
داود قوله تعالى والحكمة قيل هي النبوة قاله ابن عباس
وقيل هي الزبور قاله مقاتل وكان لا يجتمع الملك والنبوة لواحد في
ذلك الوقت قوله تعالى وعلمه مما يشا فيه خمسة اقوال
احدها صنعة الدروع والتقدير في السرد فكان يصنعها ويبيعها
وكان لا ياكل الا من عمل يده دليل هذا القول قوله تعالى وعلمناه
صنعة لبوس لكم قاله الكلبي وغيره والثاني منطق الطير وكلام النمل
والثالث الزبور والرابع هو الصوت الطيب في الالحان ولم يعط
كان صح احد مثل حسن صوته حتى اذا قرا الزبور تدنوا الوحش منه حتى يوخذ
باعناقها وتظله الطير وتسكن الريح ويركد الما الجاري وما صنعت
المزامير والبرابط الا على صوته والخامس ما حكاه الضحاك عن ابن عباس
قال هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة والفلك وراسها
عند صومعة داود وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها
مستديرة لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلة السلسلة فعلم
داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برى وكان علامة دخول
قومه في الدين ان يمسوها بايديهم حتى يمسحوا اكفهم على صدورهم وكانوا
يتحاكمون اليها بعد داود عليه السلام الى ان رفعت وكانوا ياتونها
فمن تعدى على صاحبه فانكر حقه اتى السلسلة فمن كان صادقا
مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان ظالما لم ينلها فكانت كذلك
الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا ان بعض ملوكها اودع رجلا
جوهرة ثمينة فلما استردها منه انكر فتحاكما الى السلسلة فعلم
ان الذي كانت الجوهرة عنده ان يده لا تنال فعمد الى عكازه

فقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب
الجوهرة رد علي الجوهرة فقال صاحبه ما اعرف عندي وديعة فان
كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر قم انت
ايضا وتناولها فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازي هذه فاحفظها
حتى اتناول السلسلة فاخذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان هذه
الوديعة التي يدعيها علي قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده
فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة ه
قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قرا ابو جعفر
وشيبه ونافع ويعقوب دفاع بكسر الدال وبالالف ها هنا وفي الحج واختاره
ابو حاتم وقرا الاخرون بغير الف فيهما واختاره ابو عبيد وقال لان الله لا
يغالبه احد وهو الدافع وحده قال ابو حاتم وقد يكون الفعال من
واحد مثل قول العرب عافاك الله قال ابن عباس ومجاهد
لولا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون
على الارض فقتلوا المسلمين وخربوا البلاد والمساجد وقال سائر
المسلمين لولا دفع الله المومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت
الارض اي لهلكت لمن فيها يدل علي صحة هذا التفسير ما روى ابن عمر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليدفع بالمسلم
الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ابن عمر ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو
فضل علي العالمين حيث لم يهلكهم بكفرهم ويأخذهم عاجلا
بعقوبة جناياتهم وقال صلى الله عليه وسلم يدفع الله لمن
يصلي من امتي عمن لا يصلي ولمن يزكي عمن لا يزكي ولمن يصوم
عمن لا يصوم ولمن يحج عمن لا يحج ولمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو
اجتمعوا علي ترك هذه الاشيا ما ناظرهم الله طرفة ثم تلا صلى الله
عليه وسلم هذه الاية وقال صلى الله عليه وسلم لولا عباد الله ركع لا صح

وصبية

وصبية رضع وبهايم رتع لصب عليكم البلاء صبا فنظمه بارع لنفسه شعرا
لولا عباد للاله ركع وصبية من اليتامى رضع
ومهملات في الفلاة رتع صب عليكم العذاب الموجع
وقيل هذا الدفاع بما شرع على السنة الشرايع فلولا ذلك لتسالب الرسل صح
الناس وتناهبوا وهلكوا وقيل هذا الدفاع هو قتل بعض الكفار
بعضا وفيه اندفاع شرهم عن المسلمين والناس عام اريد به البعض
كقوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله تعالى
تلك ايات الله تلك مبتدا وايات الله الخبر والمعنى هذه الاخبار
ايات الله وعلامته التي تدل على توحيده وصدق رسله ويجوز ان تجري
على الظاهر فيكون اشارة الى ما مضى من الايات وما مضى في حكم البعيد
قوله تعالى نتلوها يجوز ان يكون حالا من الايات والعامل
فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مستانفا والمعنى نتلوها عليك
جبريل بامرنا قوله بالحق يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون
حالا من ضمير الايات ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اي ومعنا الحق
ومعنى بالحق اي بالصدق الذي لا شك فيه اهل الكتاب
لانه في كتبهم كذلك قوله تعالى وانك لمن المرسلين حيث
تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتب ولا تعليم ولا يمكن ذلك الا
بتاييد الهي قوله تعالى تلك الرسل مبتدا وخبر ولم يقل
اولئك لانه اراد الجماعة قوله تعالى فضلنا بعضهم على
بعض اي انهم لا يستوي بينهم في الفضيلة وان استووا في القيام
بالرسالة روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تخيروا بين الانبيا وفي هذا نهي عن الخوض في تفضيل
بعض الانبيا ويستفيد من الاية معرفة انهم متفاوتون في الفضيلة
وينتهي عن الكلام في ذلك لنهيه عليه السلام وقيل عني بالفضل
تخصيص كل واحد بمعجزة تليق بوقته فمعجزة موسى قلب العصاة

وفلق البحر اذ كان الغالب على اهل عصره السحر ومعجزة عيسى عليه
السلام احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص لغلبة الطب في زمانه
ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة لغلبة الفصاحة في وقته
قوله منهم من كلم الله يجوز ان يكون مستانفا لا موضع له ويجوز
ان يكون بدلا من موضع فضلنا قال الاخفش اي كلمه الله كقوله
فيها ما تشتهي الانفس اي تشتهيه فحذف الها يعني موسى عليه
السلام وقرى من كلم الله بالنصب وقرى كالم الله بالالف ونصب الله
من المكالمة قوله تعالى ورفع بعضهم درجات
قيل هو محمد عليه السلام قال مجاهد ارسل الى كافة الناس وقال
الزجاج ليس شي من الايات التي اعطيها الانبيا الا والذي اعطي محمد
عليه السلام اكبر وقال مقاتل عنى بتفضيل بعضهم على بعض
فيما اتاه وقيل هو ابراهيم عليه السلام اتخذه الله خليلا وداود جمع
له بين الملك والنبوة وسليمن سخر له الريح والطير والجن والدرجات
جمع درجة وهي المرتبة قوله تعالى واتينا عيسى بن مريم
البينات وايدناه بروح القدس سبق تفسيره قوله تعالى ولو
شا الله ما اقتتل الذين من بعدهم يعني من بعد الانبيا وقال قتادة
من بعد موسى وعيسى قال مقاتل كان بينهم الف بني قوله تعالى
ولكن اختلفوا يعني الامم فمنهم من امن ثبت على ايمانه ومنهم من كفر
كالنصارى بعد المسيح اختلفوا فصاروا فرقا قوله ولو شا الله
ما اقتتلوا كرر المشية تاكيدا للامر وتكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك
من عند انفسهم لم تجر به قضا من الله ولا قدر ثم قال ولكن الله يفعل
ما يريد فيوفق من يشا فضلا ويخذل من يشا عدلا انشدني الشيخ
المقرى ابو الكرم قال انشدني شيخ عيسى الليالي لنفسه رحمه الله

وسايل ضاق بما في نفسه ذرعا واعيته الهموم والفكر
جا على غرة يسائلني عن كشف اسرار القضا والقدر

فقلت دع هذا السوال انه تحدث في قلب الفتى منه اثر
وسلم الامر الى خالقه فانه اولى به من البشر

وعن الحرث الاعور قال قام رجل الى علي كرم الله وجهه فقال يا امير
المومنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه قال يا امير
المومنين اخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال يا امير المومنين
اخبرني عن القدر قال سر قد خفي عليك فلا تفتشه فقال يا امير
المومنين اخبرني عن القدر فقال ايها السايل ان الله خلقك كما شا
او كما شيت قال كما شا قال فيبعثك يوم القيمة كما شا او كما شيت
قال كما شا فقال ايها السايل الك مع الله مشية او فوق الله مشية
او دون الله مشية فان زعمت ان لك دون الله مشية فقد اكتفيت
بها عن مشية الله وان زعمت ان لك فوق الله مشية فقد زعمت ان
مشيتك عالية على مشية الله وان زعمت ان لك مع الله مشية
فقد ادعيت الشركة الست تسل ربك العافية قال بلى قال فمن
اي شي تسله امن البلا الذي ابتلاك به ام من البلا الذي ابتلا
غيرك به قال من البلا الذي ابتلاني الله به قال الست تقول
لا حول ولا قوة الا بالله قال بلى قال تعلم تفسيرها قال لا علمني
يا امير المومنين مما علمك الله قال تفسيرها ان العبد لا يقدر على
طاعة الله ولا يكون له قوة على معصية الله في الامرين جميعا الا
بمشية الله ايها السايل ان الله يصح ويمرض ويداوي منه الدا
ومنه الدوا ايها السايل عقلت عن الله قال نعم قال علي كرم الله
وجهه الان اسلم اخوكم قوموا فصافحوه ثم قال لو وجدت رجلا من
اهل القدر لاخذت برقبته فلا ازال اطاعنه حتى اكسرها فانهم
يهود هذه الامة ونصاراها ومجوسها قال المزني سمعت الشافعي
رحمه الله يقول

ما شيت كان وان لم اشا وما شيت ان لم تشا لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يمضي الفتى والمسن
فهذا مننت وهذا خذلت ... وهذا اعنت وذا لم تعن
وهذا شقي وهذا سعيد ... وهذا قبيح وهذا حسن

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم اعاد ذكر الانفاق حثا على الصدقة والانفاق في وجوه الطاعات وقال الحسن اراد الزكوة المفروضة قوله تعالى من قبل ان ياتي يوم يعني يوم القيمة وقيل يوم الموت نظيره قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فان حمل على يوم القيمة فالاية خاصة في الكفار لا شفاعة لهم ولا خلة تنفعهم فان حمل على يوم الموت فالاية عامة في الكل لانه محيص عن الموت ولا شفاعة فيه قوله تعالى لا بيع فيه قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب كلها بالنصب من غير تنوين وقرا الباقون بالرفع والتنوين وكلا الوجهين سايغ في العربية وقد مضى في قوله فلا رفث والمعنى لا يوخذ في ذلك اليوم بدل وذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة واخذ البدل قوله تعالى ولا خلة الخلة مصدر الخليل ويجوز ان يكون اسما اي ليس في ذلك اليوم خلة تنفع الا في حق المتقين قوله تعالى ولا شفاعة يعني للكافرين الا ترى انه قال والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها وعولوا على شفاعة الاصنام لهم قوله تعالى الله لا اله الا هو الاية روى مسلم في صحيحه عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله اعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر وقال عليه السلام اعظم اية في القران الله لا اله الا هو الحي القيوم الى اخرها وقال عليه السلام من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة خرقت سبع سموات فلم تلتئم حتى ينظر الله الى قايلها فيغفر له ثم يبعث الله

ملكا فيكتب حسناته ويمحو سياته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قريت هذه الاية في دار الا اهتجرها الشيطان ثلثة ايام او قال ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك وجيرانك واهلك فما نزل اعظم منها روى ابو هريرة قال قال عليه السلام من خرج من منزله فقرا اية الكرسي بعث الله اليه سبعين الفا من الملايكة يستغفرون له ويدعون له فاذا رجع الى منزله فقرا اية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه قوله تعالى الله رفع بالابتدا وما بعده خبره ونفي اله سواه توكيد وتحقيق للالهية لان قولك لا كريم الا زيد ابلغ من قولك زيد كريم قوله تعالى الحي القيوم يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو وان يكون مبتدا والخبر لا تاخذه وان يكون بدلا من هو وان يكون بدلا من لا اله والحي من له الحياة بين ان المعبود يجب ان يكون حيا فاما الاصنام فجمادات قوله تعالى القيوم مبالغة من القايم قال مجاهد القيوم القايم على كل شي وتاويله انه قايم بتدبير امر العباد في انشايهم وارزاقهم واختاره الزجاج وقال ابو روق الذي لا يبلى ولا يتغير وقال الكلبي القايم على كل نفس بما كسبت وقيل معناه العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اي هو عالم به وقيل هو اسم من اسما الله ماخوذ من الاستقامة وفي القيوم ثلاث لغات القيوم وهي قراة الجمهور والقيام وهي قراة عمر بن الخطاب وابن مسعود والاعمش والقيم وهي قراة ابي رزين وعلقمة وقري القايم وقري الحي القيوم بالنصب على اضمار اعني وكان ابن عباس يقول اعظم اسما الله الحي القيوم وروى انس انه عليه السلام كان يدعو يا حي يا قيوم وعن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الاسم الاعظم لفي سور من القران ثلثة البقرة وال عمران

وطه قال عمرو بن ابي سلمة فنظرت في هذه السور الثلثة فرايت فيها
اسما ليس في شي من القران في اية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه
للحي القيوم قوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم قال
المفسرون السنة النعاس وهو النوم الخفيف وهو ريح تجي من قبل
الراس لينة تغشي العين وهو وسنان بين النايم واليقظان
والنوم الغشية الثقيلة التي تهجم على القلب فتقطعه عن معرفة
الامور فنفى الله عن نفسه النوم لانه افة ولا تجوز عليه الافات
ولانه تغير ولا تجوز عليه التغير ولانه قهر والله قاهر غير مقهور ولانه
للاستراحة ولا اينا له تعب فيستريح ولانه اخو الموت عن جابر
انه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة
قال لا النوم اخو الموت ولا موت اهل الجنة ولانه لو نام لغفل
ولو غفل لاختل ملكه وتدبيره قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض ملكا وخلقا قال بعض العلما انما لم يقل والارضين
لانه قد سبق ذكر الجمع في السموات فاستغنى بذلك عن اعادته
ومثله وجعل الظلمات والنور ولم يقل الانوار قوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه استفهام معناه الانكار والنفي
اي لا احد يشفع عنده الا باذنه وامره وذلك ان المشركين كانوا
يعبدون الاصنام ويزعمون انها تشفع لهم فاخبر الله تعالى انه لا
شفاعة عنده الا باذنه يعني شفاعة النبي وشفاعة بعض
المومنين لبعض قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ظاهر الكلام يقتضي الاشارة الى الخلق وقال مقاتل
المراد بهم الملايكة والمراد بما بين ايديهم وما خلفهم خمسة اقوال
احدها ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم من الاخرة قاله مجاهد
وعطا والسدي والثاني ما بين ايديهم يعني الاخرة لانهم يقدمون

عليها

عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم قاله الضحاك
والكلبي والثالث ما بين ايديهم ما قبل خلقهم وما خلفهم ما بعد
خلقهم قاله مقاتل والواقدي والرابع يعلم ما بين ايديهم يعني ما
تعلموه من خير وشر وما خلفهم وما هم فاعلوه والخامس ما بين ايديهم
من السما الى الارض وما خلفهم اي في السموات قاله ابن عباس
قوله ولا يحيطون بشي من علمه قال الليث يقال لكل
من احرز شيا او بلغ علمه اقصاه قد احاط به والمراد بالعلم هاهنا
المعلوم والمفعول يسمى بالمصدر كثيرا قوله تعالى الا بما
شا اي الا بما علم الانبيا ليكون دليلا على نبوتهم قوله تعالى
وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشي يسعه سعة
اذا احتمله واطاقه واختلفوا في الكرسي على سبعة اقوال
احدها انه علمه ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب
كراسة ويقال للعلما كراسي كما يقال لهم اوتاد الارض هذا قول
ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والثاني انه ملكه وسلطانه
والعرب تسمي الملك القديم كرسيا وتسمي اصل كل شي الكرس
يقال فلان كريم الكرس اي الاصل قال العجاج

قد علم القدوس مولى القدس … ان ابا العباس اولى نفس
في معدن الملك الكريم الكرس

والثالث انه الكرسي بعينه وهو لولو وما السموات السبع
في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس قال عليه السلام
ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة وهذا قول
ابي موسى الاشعري والسدي وغيرهما قال الزجاج وهذا
القول بين لان الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشي الذي
يعتمد عليه وهو في اللغة من تركيب الشي بعضه على بعض

والكرسي ابوال الدواب وابعارها متلبد بعضها فوق بعض والرابع
ان الكرسي هو العرش بعينه قاله الحسن البصري والخامس هو اسم
ملك من الملائكة نبه عباده على عظمته وقدرته فقال ان خلقا
من خلقي ملأ السموات فكيف تقدر قدرتي وتعرف عظمتي
حكاه ابو عثمان الزاهد عن بعض المتقدمين والسادس ان كرسيه
سره وانشدوا فيه

ما لي بامرك كرسي اكاتمه ولا بكرسي علم الله مخلوق

حكاه الثعلبي عن بعض التفاسير والسابع ان الكرسي الاهل
اي وسع عباده السموات والارض قاله محمد بن جرير الطبري
وقد اخبر الله تعالى عن العرش فقال تعالى وكان عرشه
على الما فاذا جاز اضافة العرش اليه جاز اضافة الكرسي اليه
ايضا تعظيما له وهو كاضافة الكعبة اليه ثم معنى هذه الاية ما
يليق بجلال الرب سبحانه وتعالى وارباب الالحاد يحملون هذه
الاشيا على عظم الملك وجلاله السلطان وينكرون وجود العرش
والكرسي واهل الحق يجرونها على الظواهر اذ في قدرة الله تعالى
متسع فاما ما يستحيل في العقل اتصاف الباري به فيجب فيه
التاويل ووجوب التاويل في موضع يستحيل اجرا اللفظ على ظاهره
لا يلزم التاويل فيما يجوز في العقل تقديره قوله تعالى ولا يؤده
الجمهور على تحقيق الهمزة على الاصل ويقرا بحذف الهمزة ويقرا
بواو مضمومة فكان الهمزة على الابدال اي لا يثقله حفظهما والجهد
ولا يشق عليه وفي الكناية قولان احدهما انها ترجع الى الله تعالى
اي لا يعجز عن حفظ السموات والارض وهو القيوم الذي لا تاخذه
سنة ولا نوم هذا قول الجمهور والثاني انها ترجع الى الكرسي بتقديره
ولا يثقل الكرسي حفظهما كان السموات والارض على هذا التاويل
على الكرسي او متعلقه من الكرسي قوله تعالى وهو العلي

العلي العظيم العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان وعلي عن الاشباه
والامثال العظيم فلا شي اعظم منه قوله تعالى لا اكراه في
الدين الاية قال مجاهد نزلت في رجل من الانصار كان له غلام اسود
يقال له صبيح وكان يكرهه على الاسلام واختلفوا في هذا القدر
من الاية فذهب قوم الى انها محكمة تختص باهل الكتاب
فانهم لا يكرهون على الاسلام بل يخيرون بينه وبين بذل الجزية
وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة فالحربي اذا اكره
على الاسلام صح اسلامه لانه اكراه بحق والذمي اذا اكره فظاهر
المذهب انه لا يحكم باسلامه فعلى هذا القول الاية فيمن سوى
العرب وقيل لما بين الله تعالى ان الكفار لا ينفعهم الشفاعة غدا
ولا الخلة والفدية بين انه اوضح الاحكام وكمل بالمعجزات
على صدق الرسل ولم يجبر احدا على الاسلام من غير معجزة
بل تبين الرشد من الغي فلا اكراه في الدين لوضوح الحجج وزوال العلل
فهي محكمة لانه لم يكلف العبد ما لا يطيق وقيل الاكراه هاهنا
النسبة الى الكره اي لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الاسلام انه دخل
مكرها ولا تنسبوا من دخل في الاسلام الى الكره يدل عليه قوله تعالى
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا قاله الزجاج وغيره هو
من قول العرب اكرهت الرجل اذا نسبته الى الكره كما يقال اكفرته
واسفقته واظلمته اذا نسبته اليها قال الكميت

وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسي ومذنب

وذهب قوم الى انها منسوخة وقالوا هذه الاية نزلت قبل الامر
بالقتال وهو قول السدي والضحاك وابن زيد وهو مذهب ابن مسعود
والدين هاهنا اريد به الاسلام والرشد الحق والغي الباطل وقرئ
الرشد بفتح الرا والشين وهي قراءة الحسن ومجاهد والاعرج وهما
لغتان كالحزن والحزن وقرا عيسى الرشد بضمتين وقرا الباقون

بضم الراء وجزم الشين والغي نقيض الرشد يقال غوى الرجل يغوي
والمعنى قد ظهر الايمان من الكفر بالحجج قوله تعالى فمن يكفر
بالطاغوت الطاغوت ماخوذ من الطغيان وهو يجاوز الحد
يكون واحدا وجمعا ومونثا ومذكرا قال جميع اهل اللغة
الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى وهو في الاصل مصدر
نحو الرهبوت قال ابن عباس والمفسرون هو الشيطان وقال سعيد
ابن جبير وابو العالية هو الكاهن وقال ابن سيرين هو الساحر
وقال ابن زيد والزجاج هو الاصنام وقال اهل المعاني هو كل ما
يطغي الانسان وقال اهل الاشارة طاغوت كل انسان نفسه
بيانه قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء قوله تعالى ويومن
بالله فقد استمسك اي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى وهو ما
يتعلق به والجمع عرى من قولك عروت الرجل عروة اي الممت
به وفلان ينقض الاسلام عروة عروة اي يهدم اركانه والتمسك
بالايمان امر معقول شبه بالتمسك بالحبل وهو محسوس وقيل
العروة شجرة تبقى على البرد والجدب وتعلق بها الابل الى وقت
الخصب والوثقى تانيث الاوثق كالكبرى والصغرى في تانيث
الاكبر والاصغر وفي التفسير العروة الوثقى شهادة ان لا اله الا الله
وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق قوله تعالى
لا انفصام لها الفصم كسر الشي من غير ابانة والفصم والانفصام
في كل ما كان صلبا كالذهب والفضة وما اشبه ذلك والانقطاع
فيما كان لينا والمعنى لا انقطاع لها دون رضى الله ودخول الجنة ٥
قوله تعالى والله سميع اي لدعائك يا محمد باسلام اهل
الكتاب عليم بحرصك واجتهادك قوله تعالى الله ولي
الذين امنوا هم الذين تمسكوا بالعروة الوثقى اي يتولاهم بنصره
فالولي فعيل بمعنى فاعل وولي فلان كذا يليه ولاية فهو والي

والمعنى

والمعنى انه يتولى امورهم ولا يكلهم الى غيره وينصرهم ويعينهم وهذه
الاية تخصيص للمومنين بالذكر تشريفا والا فهو ولي كل شي
ونظير ذلك قوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى
لهم قوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والضلالة له
الى الايمان والهداية وكذلك كانوا في علم الله تعالى قبل ان خلقهم فلما
خلقهم مضى فيهم علمه وامنوا قال الواقدي كل شي في القران
من الظلمات والنور فانه اراد به الكفر والايمان غير التي في الانعام
وجعل الظلمات والنور فانه يعني به الليل والنهار قال ابن عباس
هو لا قوم كفروا بعيسى عليه السلام ثم امنوا بمحمد عليه السلام فاخرجهم
من كفرهم بعيسى عليه السلام الى ايمانهم بمحمد وسائر الانبياء وقال جهم
غيره هو عام لجميع المومنين قال الواسطي يخرجهم من ظلمات
نفوسهم الى ادابها كالرضا والصدق والتوكل والمعرفة
والمحبة ٥ قوله تعالى والذين كفروا اولياوهم الطاغوت
هكذا قراءة العامة وقرا الحسن الطواغيت على الجمع قال ابو حاتم
العرب تجعل الطاغوت واحدا وجمعا ومذكرا ومونثا
قال تعالى في الواحد والمذكر يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقد امروا ان يكفروا به وقال في المونث والذين اجتنبوا الطاغوت
ان يعبدوها وقال في الجمع يخرجونهم قال ابن عباس يعني بالطاغوت
الشيطان وقال مقاتل يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب
وسائر رؤسا الضلالة يخرجونهم يدعونهم من النور الى الظلمات
دليله قوله تعالى ان اخرج قومك من الظلمات الى النور يعني
ادعهم فان قيل فما وجه قوله يخرجهم من النور الى الظلمات
وهم كفار لم يكونوا في نور قط فكيف يخرجونهم مما لم يكونوا فيه
فالجواب ما قاله قتادة والمقاتلان انهم اليهود كانوا
مومنين بمحمد عليه السلام قبل ان يبعث لما يجدونه عندهم

في كتبهم من نعته وصفته ونبوته فلما بعثه الله جحدوه وكفروا به بيانه
قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به واجراها اهل المعاني على
العموم في جميع الكفار وقالوا منعه اياهم عن الدخول فيه اخراج وهذا
كما يقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك ولم يكن له فيه قال تعالى
اخبارا عن يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن ابدا على
دينهم حتى تركه وقال تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ولم يكن فيه
قط وقال مجاهد نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام فكانهم خرجوا
من نور الاسلام بعد ما دخلوا فيه وقيل نزلت في المنافقين كانهم
كانوا في نور بما اظهروه من الاسلام وخرجوا منه بما ابطنوه من الكفر
وقيل انهم كانوا في نور ولدوا به فلما كبروا اخرجوا منه ويدل
على صحة هذا القول قوله عليه السلام كل مولود يولد على فطرة
الاسلام حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
وقيل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الشبهة في الدين متى وقعت
لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين
والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البيان
الذي يظهر لهم الى ظلمات الشبه والشك اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون • قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه اي الم ينته علمك الى هذا حاج اي جادل وخاصم واصلها
من الحجة وهو نمرود بن كنعان كان اول من وضع التاج على راسه
وتجبر في الارض وادعى الربوبية قوله تعالى ان اتاه الله الملك
وقيل ان الايتاء يعود الى ابراهيم لان الملك ما فيه الامر والنهي
وكان ذلك لابراهيم حكاه القشيري قال مجاهد ملك
الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن
داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا
في وقت المحاجة فقال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود

ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعوا اليه قال ربي
الذي يحيي ويميت وقال اخرون كان هذا بعد القائه في النار
وقال زيد بن اسلم اول جبار كان في الارض نمرود وكان الناس
يمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم عليه السلام يمتار مع الناس
فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا انت حتى مر به ابراهيم عليه السلام
فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت كما ذكر الله فرده النمرود
بغير طعام فرجع ابراهيم عليه السلام الى اهله فمر على كثيب من رمل
اعفر فقال الا اخذ من هذا فاتي به اهلي فتطيب نفوسهم حين ادخل
عليهم فاخذ منه فاتى اهله فوضع طعامه ثم نام فقامت امراته الى
متاعه ففتحته فاذا هو اجود طعام راه احد فصنعت له فقربته
اليه وكان عهده باهله ليس عندهم طعام فقال من اين هذا فقالت
من الطعام الذي جئت به فعرف ان الله رزقه فحمد الله ثم بعث الله
ملكا الى الجبار ان امن بي واتركك على ملكك فقال نمرود
هل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك فابى عليه ثم
اتاه الثالثة فابى عليه وقال لا اعرف الذي يقول الربك جنود
قال نعم قال فيقاتلني ان كان ملكا فان الملوك يقاتل بعضها
بعضا قال له الملك نعم ان شئت قال فاجمع جموعك الى ثلثة
ايام حتى ياتيك جنود ربي قال فجمع الجبار جموعه فاوحى الله الى
خزنة البعوض ان افتحوا منها بابا ففتحوا بابا من البعوض فلما
اصبح في اليوم الثالث نظر نمرود الى الشمس فقال ما بالها لا تطلع
فظن انها ابطات فقال الملك حال دونها جنود ربي قال
فاحاطت بهم البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق من
الناس والدواب الا العظام ونمرود كما هو لم يصبه شي له
فقال له الملك اتؤمن قال لا فامر الله بعوضة فقرصت شفته
السفلى فحكها فترهلت وعظمت ثم قرصت شفته العليا فترهلت

وعظمت ثم دخلت منخره وصارت في دماغه واكلت من دماغه حتى
صارت مثل الفارة فمكث اربع مائة سنة يضرب راسه بالمطارق
فارحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما راسه فعذبه الله اربعمائة
كما ملك اربع مائة سنة وقيل عذب بذلك اربعين سنة وقيل
اربعين يوما حكاه القشيري قوله تعالى اذ قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت هو جواب سؤال سابق غير مذكور تقديره
قال له من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قرا الاعمش وعيسى
وحمزة ربي باسكان اليا وقرا الباقون بفتحه لمكان الالف
واللام فقال نمرود انا احيي واميت قرا اهل الحجاز انا احيي
بالمد في جميع القران وهي لغة قوم يجعلون الوصل فيه كالاصل
والاصل في انا ان تفتح النون فاتبع بها الوقف وكتبت الفا على نية
الوقف فصار انا قال المفسرون دعا نمرود برجلين فقتل
احدهما واستحيا الاخر فموه بذلك على العوام ولم يفهم ان مقصود
ابراهيم عليه السلام اختراع الموت والحياة فسمى ترك القتل
احيا وعارضه في الحجة بالعبارة دون فعل الحياة والممات وقال
السدي في قوله انا احيي واميت انا اخذ اربعة نفر فادخلهم بيتا لا
يطعمون ولا يسقون حتى اشرفوا على الهلاك فاطعم اثنين وسقاهما
فعاشا وترك اثنين فماتا فقال ابراهيم فاحيي الذي قتلته فتحير
فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى فقال فان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فان قيل فلم عدل ابراهيم عليه السلام
عن نصرة حجته الاولى الى غيرها وهذا يضعف الحجة ولا يليق
بالانبياء فالجواب من وجهين احدهما انه قد ظهر من فساد
معارضته ما لم يحتج معه الى نصرة حجته ثم اتبع ذلك بحجة اخرى
تاكيدا وايضاحا لا عجزا لان له ان يقول فاحي من امته ان كنت
صادقا والثاني انه لما كان في تلك الحجة اشتغاب منه بما عارضها

به من الشبهة احب ابراهيم عليه السلام ان يحتج عليه بما لا اشتغاب
فيه قطعا له واستظهارا عليه فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فان قيل فهلا عارضه النمرود بان قال
فليات بها ربك من المغرب قلنا عنه جوابان احدهما ان الله خذله
بالصرف عن هذه الشبهة والثاني انه علم بما راى معه من الايات
انه يفعل فخاف ان يزداد فضيحة وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى
يطلع الشمس من مغربها قوله تعالى فبهت الذي كفر اي تحير
وانقطعت حجته على ما لم يسم فاعله ويقرا بفتح البا وضم الها وبفتح
البا وكسر الها وهما لغتان والفعل فيهما لازم وقرى بفتحهما فيجوز ان
يكون الفاعل ضمير ابراهيم والذي مفعول اي بهته وتصديقه
قوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم اي تدهشهم ويجوز ان يكون
الذي فاعلا ويكون الفعل لازما قوله والله لا يهدي القوم
الظالمين اي الى الحجة قوله تعالى او كالذي مر على قرية
قال الزجاج هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله
معناه هل رايت كالذي حاج ابراهيم في ربه او كالذي مر
على قرية وقال بعض نحاة البصرة الكاف زايدة تقديره
الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الذي مر على قرية وهي مثل قوله
ليس كمثله شي فصار للتخيير كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين
واختلفوا في هذا المار من هو على اربعة اقوال احدها انه عزير
وهو قول قتادة والربيع وعكرمة والضحاك والسدي والثاني
انه ارميا وهو من سبط هرون بن عمران وهو قول وهب بن منبه
ومجاهد بن عبد الله بن عبيد بن عمير والثالث انه الخضر قاله ابن اسحق
والرابع انه رجل كافر شك في البعث نقل عن مجاهد ايضا وذكر
الثعلبي والقشيري ان ارميا هو الخضر واختلفوا في القرية التي مر
عليها على سبعة اقوال احدها انها بيت المقدس لما خربها بختنصر

وهو قول وهب بن منبه وعكرمة والربيع والثاني انها الارض المقدسة
قاله الضحاك والثالث انها الارض التي اهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت قاله بن زيد والرابع انها دير هرقل والخامس انها
قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس والسادس انها
دير ساير اباد قاله الكلبي والسابع انها سلما باذ قوله
تعالى وهي خاوية على عروشها اي ساقطة قال تعالى اعجاز نخل
خاوية اي منقطعة وقال الزجاج الخاوية الخالية واصل الخوا
الخلو يقال خوت الدار اذا خلت من اهلها والخوا الجوع لخلو البطن
من الغذا وقوله على عروشها اي سقوفها وابنيتها وذلك ان الحيطان
كانت قايمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقلعت الحيطان فتساقطت
على السقوف وقيل على بمعنى مع اي خاوية مع عروشها وقيل على
عروشها اي خالية عن عروشها لتهدمها كقوله تعالى الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون اي عن الناس والعرش كلما علا
ومنه قيل لسقف البيت عرش قوله تعالى انى يحيي
هذه الله بعد موتها انى في موضع نصب بيحيي وهي بمعنى متى فعلى
هذا يكون ظرفا ويجوز ان يكون بمعنى كيف فيكون موضعها حالا
من هذه ويقدم لما فيه من الاستفهام والمعنى كيف يعمرها بعد
خرابها وكيف يحيي اهلها بعد موتهم فان قيل ان الرجل نبي
فلم يشك في جواز البعث والما قال ذلك تعجبا واستبعادا من
حيث العادة او اراد ان يزداد يقينا ويشاهد بالعين ما اعتقده
القلب او كان قبل النبوة وان قلنا انه كان رجلا كافرا فهو انكار
منه للبعث قوله تعالى فاماته الله مائة وذلك انه نام فنزع
الله منه الروح مائة عام وكان معه حمار وتين وعصير فامات الله
حماره ايضا واعمى عنه العيون ولم يره احد ومنع الله منه
السباع والطير فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله

ملكا

ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم فقال ان الله يامرك ان تنفر
بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا وارضها حتى يكون اعمر ما كان
ففعل الملك ذلك واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت
في دماغه ونجا الله من بقي من بني اسرايل وردهم الى بيت المقدس
ونواحيه فعمروها ثلثين سنة وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا
عليه فلما مضت المائة سنة احيى الله منه عينيه واحيى جسده
فجعل ينظر الى عظامه ينضم بعضها الى بعض ثم كسيت لحما ونفخ
فيها الروح ثم نظر الى حماره فاذا عظامه بيض تلوح فسمع صوتا
من السما ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي وان يكسى
لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيا فقام باذن
الله تعالى ونهق وقيل ما مات الحمار بل كان قايما عند راسه
طول هذه المدة لم يطعم ولم يشرب مربوطا كما ربطه صاحبه
فقوله الى العظام اي الى عظام هذا الميت ذكره القشيري ه
قوله ثم بعثه اي احياه من موته قال كم لبثت استفهام
عن عدد المبلغ قرا الاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي لبث
ولبثتم بالادغام في جميع القران وقرا الباقون بالاظهار فمن
ادغم فللمجاورة في المخرج لانهما من طرف اللسان والمشاكلة
في الهمسين ومن اظهر فلزيادة التا وتباين المخرجين وفي القايل
له اربعة اقوال احدها قال الله تعالى له كم لبثت والثاني قال له
جبريل والثالث هتف به هاتف من السما والرابع بعض المومنين
والمعنى كم اقمت ومكثت هاهنا ومائة عام ظرف لانه على المعنى
لان المعنى لبثه هنا مائة عام ولا يجوز ان يكون ظرفا على الظاهر
لان الاماتة تقع في ادنى زمان قوله قال لبثت يوما او
بعض يوم وذلك ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه
بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت

يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال
او بعض يوم بمعنى بل بعض يوم وقيل وقع له انه مات امس ثم
جوز ان يكون مات في ذلك اليوم حكاه القشيري قوله تعالى
قال بل لبثت مائة عام العام حول ياتي على شتا وصيف قيل قال
قال له جبريل من لم يفرق بين ساعة وبين مائة عام فما له وللقدري
قوله تعالى فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني
العصير وقيل كان لبنا حكاه القشيري قوله تعالى
لم يتسنه قرا حمزة والكسائي بحذف الها وصلا وكذلك قوله تعالى
فبهداهم اقتده وقرا الباقون بالها وصلا ووقفا وذكر ابو حاتم عن طلحة
لم يسنه بادغام التا في السين وزعم انه في حرف ابي كذلك
ومعناه لم تغيره السنون فمن اسقط الها في الوصل جعل الها
صلة زائدة قال واصله لم يتسنى فحذف اليا للجزم وابدل منه
ها في الوقف وهذا على قول من جعل الها في السنة زائدة وقال
اصلها سنوة وجمعها سنوات والفعل منه سانيت مساناة وتسنيت
تسنيا وتصغيرها سنية الا ان الواو ترد الى اليا في التفعل والتفاعل
كقولهم التداعي والتداني لان اليا اخف من الواو وقال ابو عمرو هو
من التسنن بتنوينين وهو التغير كقوله تعالى من حما مسنون اي
متغير ثم عوضت احدى النونين يا وقيل المسنون المصبوب
على سنة الطريق فلم يتسنن اي لم يتصبب فان اتى عليه مائة عام
والسنين الصب ومن اثبت الها في الحالين جعل الها اصلية لام
الفعل ويقول اصل سنة سنهة وتصغيرها سنيهة والربت
الدار مسانهة فان قيل اخبر عن شيئين الطعام والشراب
ثم قال لم يتسن ولم يتسنه قلنا لان التغير راجع الى اقرب اللفظين
به وهو الشراب وان كان الطعام ايضا لم يتغير فاكتفى باحد المذكورين
عن الاخر يدل عليه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا

شرابك

شرابك لم يتسن وقيل جعل الطعام والشراب لاحتياج كل احد
منهما الى الاخر بمنزلة شي واحد ولذلك افرد الضمير في الفعل
وقيل فيه اضمار وان لم يتبين وذلك يكنى به عن الواحد والاثنين
والجميع بلفظ واحد وقيل نبه بعدم التغير في الشراب على عدمه
في الطعام لانه اذا لم يتغير الشراب مع سرعة التغير اليه فلان لا يتغير
الطعام اولى وقيل يجوز الافراد في موضع التثنية فان قيل فكيف
علم انه مات مائة عام لم يتغير فيها طعامه وشرابه قلنا لانه رجع الى
حاله نعلم بالاثار والاخبار وانه شاهد اولادا واولادا شيوخا وكان
قد خلف اباهم مردا انه مات مائة عام قوله تعالى وانظر
الى حمارك قرا خارجة والاعرج وعيسى وابو عمرو وابن عامر
وحمزة والكسائي حمارك بالامالة وقرا الباقون بالتفخيم اراه
علامة مكثه مائة سنة بلى عظام حماره ومن قال لم تمت حماره
قال بين له ذلك بلى عظام نفسه وقد شاهدها وهي تاتلف
قوله تعالى ولنجعلك اية للناس الواو زائدة اي لبثت
مائة عام لنجعلك اية للناس وقال الفرا انما ادخل الواو في
ولنجعل لنية فعل مضمر اي لنجعلك اية للناس فعلنا ذلك
ومثله قوله وحفظا من كل شيطان مارد اي حفظا فعلناه
ذلك وهو كثير تدخل الواو لتدل على فعل مضمر قال المفسرون
بعثه الله شابا اسود الراس واللحية وبنو بنيه شيب قال ابن
عباس مات وهو ابن اربعين سنة وبعثه وهو ابن اربعين سنة
فلما اتى قومه في بيت المقدس قال لهم انا عزير قالوا حدثنا اباونا
ان عزيرا مات بارض بابل فقال لهم انا هو ارسلني الله اليكم اجدد
لكم توراتكم وكانت قد ذهبت وليس منهم احد يقراها فاملاها
عليهم من ظهر قلبه وذلك ان ملكا اتاه باناء فيه ما فسقاه من
ذلك الما فمثلت التوراة في صدره وقال حدثني ابي عن جدي

انه دفن التورية يوم سبيتنا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي
اخرجتها لكم فاروه فاخرجها لهم فعارضها لما املى عزير فما اختلفا في
حرف فقالوا ما جعل الله التورية في قلب رجل بعد ما نسخت وذهبت
الا انه ابنه فعندها قالوا عزير ابن الله ومر عزير بامراة عجوز عميا قد
اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة لهم فخرج عزير عنهم وهي بنت
عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه اهذا
منزل عزير فبكت وقالت ما رايت احدا من كذا وكذا يذكر عزيرا
قال فاني عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة
وكان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله ان يرد بصري حتى اراك
فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا واخذ
بيدها فقامت فلما نظرت اليه قالت اشهد انك عزير فانطلقت به الى
محلة بني اسرائيل وهم في مجالسهم فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم دعا لي عزير ربه تعالى فرد علي بصري واطلق رجلي
وزعم ان الله اماته مائة عام ثم بعثه فانطلقوا الناس اليه فقال ابنه كانت
لابي شامة سودا مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير
قوله تعالى وانظر الى العظام قيل اراد عظام نفسه وقيل
اراد عظام حماره وقيل هما جميعا قوله تعالى كيف ننشرها
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالرا وضم النون وكسر الشين اي نحييها
من انشر الله الموتى قال تعالى ثم اذا شا انشره وقرا حمزة والكسائي
ننشزها بالزاي المعجمة من الانشاز وهو الرفع يقال نشزت الشي
فنشز اي رفعته فارتفع فالنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز
المراة على زوجها ونشوز الغلام على سيده والمعنى نرفعها من الارض
فنردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها في بعض وقرا الحسن
ننشرها بالرا وفتح النون وضم الشين والنشر ضد الطي اي نبسطها
بالاحيا وقال بعضهم هو من الاحيا ايضا يقال انشر الله الميت

ونشره

ونشره اذا احياه قال ابو حاتم وليس بالمعروف وقرا النخعي ننشزها
بالزاي وفتح النون وضم الشين قال ابو حاتم ذلك غلط لا
مذهب له وقال غيره هو بمعنى نشرها فعل وافعل بمعنى
واحد قوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نلبسها فنواريها
به كما يواري الجسد بالثوب قوله تعالى فلما تبين له
اي بان له احيا الموتى عيانا قال اعلم ان الله على كل شي قدير
قرا ابن عباس وابو رجا وحمزة والكسائي اعلم موصولا مجزوما
على الامر من الله تعالى يدل عليه قراة عبد الله والاعمش قيل اعلم
وقيل فاعله عزير وامر نفسه كما تقول لنفسك اعلم يا عبد الله
وقرا الباقون قال اعلم مقطوعا مرفوعا على الخبر عن عزير انه
قال لما راى القدرة علمت ما لم اكن عالما به من قبل ان قلت هذا
المار كافرا وشاهدت ما كنت معتقدا له لتحصيل اليقين
التام وقرا الجعفي اعلم بكسر اللام وقطع الهمزة وفتحها على
معنى الامر باعلام الغير قال وهب ليس في الجنة كلب ولا
حمار الا كلب اصحاب الكهف والحمار الذي اماته مائة عام
قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى فان قيل ما السبب في مسالة ابراهيم عليه السلام
ربه عز وجل ان يريه كيف يحيي الموتى وما وجه ذلك
وهل كان ابراهيم عليه السلام شاكا في احيائه حتى قال
ولكن ليطمئن قلبي فالجواب عنه من اوجه اربعة احدها
ان سبب السوال ان ابراهيم عليه السلام مر على دابة ميتة قال
ابن جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطا بحيرة
طبرية تتناولها السباع والطير ودواب البحر فلما راى ذلك
ابراهيم عليه تعجب وقال يا رب قد علمت انها من بطون هذه
السباع وحواصل الطير فارني كيف تحييها لاعاين ذلك

فازداد يقينا فعاينه الله تعالى فقال اولم تومن باحيا الموتى فقال
بلى ولكن ليطمين قلبي فليس الخبر كالمعاينه فعلى هذا القول
اراد ابراهيم ان يصير علم اليقين عين اليقين كما ان الانسان
يعلم الشي ويتيقنه ولكن يحب ان يراه من غير شك كما ان
المومنين يحبون رويه النبي عليه السلام ورويه الجنه ورويه
الله تعالى مع الايمان بذلك وزوال الشك فيه وهذا قول
الحسن وقتادة وعطا الخراساني والضحاك وابن جريج وقال
ابن زيد مر ابراهيم عليه السلام بحوت ميت نصفه في البر ونصفه
في البحر فما كان في البر فدواب البر تاكله وما كان في البحر
فدواب البحر تاكله فقال له ابليس يا ابراهيم متى يجمع الله هذا
من بطون هولا فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن
قال بلى ولكن ليطمين قلبي بذهاب وسوسة ابليس منه
ويصير خاسرا صاغرا الثاني ان ابراهيم عليه السلام لما احتج
على نمرود قال ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود انت رايت
بعينك هذا فلم يقدر ان يقول نعم رايته فانتقل الى حجة اخرى
فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
الاية فلما حاجه قال رب ارني حتى اذا حاججت احدا وقال
رايت فاقول نعم وهذا معنى قول محمد بن اسحق والثالث روي
في الخبر ان نمرود قال لابراهيم انت تزعم ان ربك يحيي الموتى
وتدعوني الى عبادته فقل لربك يحيي الموتى ان كان قادرا
والا قتلتك فقال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم
تومن باني احيي الموتى قال بلى ولكن ليطمين قلبي بقوة حجتي
ونجاتي من القتل فان عدو الله توعدني بالقتل ان لم تحيي
ميتا الرابع ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم خليلا سال ملك
الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى

فاتى ابراهيم عليه السلام ولم يكن في الدار فدخل الدار وكان ابراهيم
عليه السلام اغير الناس اذا خرج اغلق الباب فلما دخل وجد
في داره رجلا فثار عليه لياخذه وقال له من اذن لك ان تدخل
داري قال اذن لي رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف
انه ملك الموت فقال له جيت ابشرك ان الله اتخذك خليلا قال
ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاك ويحيي الموتى بسوالك
ثم انطلق ملك الموت فقال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي بعلمي
انك تجيب دعاي وتعطيني اذا سالتك قاله ابن عباس وسعيد
ابن جبير والسدي وقال قوم كان ذلك شكا من ابراهيم
عليه السلام ولكن كان قبل النبوة قال ابن عباس هذه الاية
ارجى اية للمومنين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرحم الله ابراهيم نحن احق بالشك منه قال رب ارني كيف
تحيي الموتى ثم قرا الاية حتى انجزها قال المزني رحمه الله
معنى قوله عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم انما شك
ابراهيم انه يجيبه الله ام لا قوله تعالى واذ قال العامل
في اذ محذوف تقديره واذكر فهو مفعول به لا ظرف وقيل
اي الم تر الى الذي حاج ام تر اذ قال ابراهيم رب ارني قري بكسر الراء
وسكونها قوله تعالى اولم تومن الالف الف ايجاب
وتقرير لا الف استفهام اي انت مومن به والله عالما بانه
مومن ومثله وما تلك بيمينك يا موسى وكان عالما بما في يمينه
وهذا كقول جرير
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
يعني انتم كذلك قوله تعالى بلى ولكن ليطمين قلبي
اللام متعلقه بمحذوف تقديره سالتك ليطمين قلبي فمن زعم

لحمد الله صح

الى ما سال صح

ان هذا شك قال ليطمئن قلبي بالعلم ومن قال اراد طلب العيان
قال ليطمئن قلبي بمعاينة ما عرفته بالنظر والاستدلال او ليطمئن
قلبي بالخلة يقال اطمأن الى كذا يطمئن اى سكن ه قوله تعالى
فخذ اربعة من الطير مختلفة اجناسها وطباعها ليكون ابلغ في القدرة
واصل الطير مصدر طار يطير طيرا مثل باع يبيع بيعا ثم سمي
الجنس بالمصدر ويجوز ان يكون اصله طيرا مثل سيد ثم خفف
كما خفف سيد والطير واقع على الجنس والواحد طاير واختلفوا
في ذلك الطير فقال بن عباس اخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا
وقال مجاهد وعطا بن يسار وابن جريج وابن زيد كانت غرابا
وديكا وطاوسا وحمامة وقيل انها الطاوس والديك
والدجاجة السندية والاوز رواه الضحاك عن بن عباس
وقال مقاتل انها الديك والحمامة والبط والغراب وانما
خص باربعة لان عند قوم ان الطبايع اربعة وان الموت بتعادي
هذه الطبايع فامر باخذ اربعة من الطيور الغالب على كل واحد
منها طبع اخر وانما خص الطيور دون غيرها من الحيوانات لما
فيها مما في الحيوانات واختصاصها من بينها بالطيران قوله
تعالى فصرهن اليك قرا علي كرم الله وجهه وابو الاسود الديلي
والعطاردي والسلمي والحسن البصري وعكرمة والاعرج وشيبة
ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكساي وابو عمرو ويعقوب
وايوب بضم الصاد واختار ابو عبيد وابو حاتم ومعناه املهن
من صار يصور اى اماله ويقال رجل اصور اذا كان مايل العنق
وقال اني اليكم لاصور اى مشتاق مايل والجمع صور قال الشاعر
الله يعلم انا في تلفتنا يوم الفراق الى جيراننا صور
وقال عطا وعطية وابن زيد المورج معناه اجمعهن واضممهن
اليك يقال صار يصور صورا اذا جمع ومنه قيل لجماعة النخل صور

وقال

وقال ابو عبيدة وابن الانباري معناه قطعهن والصور القطع
وقرا علقمة وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير وطلحة وقتادة وابو جعفر
ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة وخلف فصرهن بكسر الصاد ومعناه
فقطعهن ومزقهن وفرقهن يقال صار يصير صيرا اذا قطع وانصار
الشي ينصار انصيارا اذا انقطع وقرا الفرا انه مقلوب من صريت
اصري صريا اذا قطعت تقدمت ياوها وهذا مثل عثا يعثو
وعثي يعثى وعاث يعيث وقال بعضهم معناه املهن وهي لغة
هذيل وسليم وعن بن عباس فيه روايتان احدهما صرهن بفتح
الصاد مشدد الراء مكسورة من التصرية وهو الجمع ومنه المصراة
والاخرى فصرهن بضم الصاد وفتح الرا مشددة من الصر وهي في
معنى الجمع والشد ايضا فمن تاوله على التقطيع والتفريق ففي
الكلام تقديم وتاخير تقديره فخذ اربعة من الطير اليك
فصرهن ومن فسره على الضم والامالة ففيه اضمار معناه فصرهن
اليك ثم قطعهن فحذفه واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل
منهن جزا لانه يدل عليه وهذا كما تقول خذ هذا الثوب
واجعل على كل رمح عندك منه علما يريد قطعه واجعل على
كل رمح علما وانما امره ان يضمها اليه بعد ان ياخذها ليتاملها
ويعرفها ويحقق اشكالها كيلا يلتبس عليه بعد الاحيا ويتوهم
انها غيرها قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل لفظه
عام ومعناه خاص لان الاربعة من الطير لا يبلغ الجبال كلها
ولا كان ابرهيم عليه السلام يصل الى ذلك وهذا كقوله تعالى
واوتيت من كل شي وقوله تدمر كل شي ه قوله
جزوا قرا عاصم برواية ابي بكر والمفضل جزوا مثقلا مهموزا
حيث وقع وقرا ابو جعفر جزا مشدد الزاي وقرا الباقون
مهموزا مخففا وكلها لغات ومعناها النصيب والبعض ه قال

المفسرون امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يذبح تلك الطيور وينتف
ريشها ويفرق اجزاها ويخلط ريشها ودماها ولحومها بعضها ببعض
ففعل ابراهيم ذلك ثم امره ان يجعل اجزاها على الجبال واختلفوا
في عدد الاجزا والجبال على اربعة اقوال احدها انه امر ان يجعل
كل طاير اربعة اجزا ثم يجعل على اربعة اجبل ربعا من كل طاير
وهذا مثل ضربه الله لابراهيم واراه اياه يقول كما بعثت هذه الاطيار
من الاجبل الاربعة فكذلك ابعث الناس يوم القيمة من ارباع
الارض ونواحيها وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن اسحق
والثاني انه جزاها سبعة اجزا ووضعها على سبعة اجبل ففعل
ذلك وامسك رووسهن عنده ثم دعاهن تعالين باذن الله تعالى فجعل
كل قطرة من دم تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير
الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى الاخر وكل بضعة
تصير الى الاخرى وابراهيم ينظر ثم اتته سعيا على ارجلهن ويلقى
كل طاير راسه فذلك قوله ثم ادعهن ياتينك سعيا وهذا قول
ابن جريج والسدي والثالث هي جبال عينها الله له ذكره القشيري
والرابع كل جبل حكاه الماوردي عن مجاهد والضحاك
وزعم مقاتل ان هذه القصة جرت لابراهيم عليه السلام بالشام
قبل ان يكون له ولد وقبل نزول الصحف عليه وهو ابن خمس
وسبعين سنة وقوله ياتينك جواب الامر وسعيا مصدر في
موضع الحال اي ساعيات ويجوز ان يكون مصدرا موكدا
لان السعي والاتيان متقاربان فكانه قال ياتينك اتيانا واختلفوا
في معنى السعي فقال بعضهم هو الاسراع والعدو وقال بعضهم
مشيا على ارجلهن لقوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى وقال تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا والحكمة
في المشي دون الطيران كونه ابلغ في الحجة وابعد من الشبهة

لانها

لانها لو طارت لتوهم متوهم انها على غير تلك الطير وان ارجلها
غير سليمة وقال بعضهم هو بمعنى الطيران قال النضر بن شميل
سالت الخليل بن احمد عن قوله ياتينك سعيا هل يقال للطير
اذا طار سعى قال لا قلت فما معنى قوله ياتينك سعيا قال معناه
ياتينك وانت تسعى سعيا قال ابو القسم بن حبيب سمعت ابي
يقول سمعت ابا الحسن الاقطع وكان حكيما يقول صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لكل اية بطن وظهر ظهر وبطن
ولكل حرف حد ومطلع وظاهر الاية ما ذكره اهل التفسير
وظاهرها ان ابراهيم امر بذبح اربعة اشيا في نفسه بسكين
الاياس كما ذبح في الظاهر الاربعة اطيار بسكين الحديد
فالنسر مثل لطول العمر والامل والطاوس زينة الدنيا
وبهجتها والغراب الحرص والديك الشهوة قوله تعالى
واعلم ان الله عزيز لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريد ويفعل
فان قيل فكيف اجيب ابراهيم دون موسى في قوله رب ارني
انظر اليك قلنا عنه جوابان احدهما ان ما ساله موسى لا يصح
مع بقا التكليف وما ساله ابراهيم عليه السلام خاص يصح مع
بقا التكليف والثاني ان الاحوال تختلف فيكون الاصلح في
بعض الاوقات الاجابة وفي بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه
اذن قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله الاية في الكلام حذف مضاف تقديره مثل انفاق
الذين ينفقون او مثل نفقة الذين ينفقون ومثل مبتدا
وكمثل حبة خبره وانما قدر المحذوف لان الذين ينفقون لا يشبهو ن
بالحبة بل انفاقهم او نفقتهم وفي المراد بسبيل الله قولان احد هما
انه الجهاد والثاني انه جميع ابواب البر قيل نزلت هذه
قبل اية الزكوة ثم نسخت بالزكوة ولا حاجة الى دعوى النسخ

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ

لان الانفاق في سبيل الله مندوب اليه في كل وقت قوله
تعالى كمثل حبه انبتت اى اخرجت سبع سنابل جمع سنبلة
ادغمها ابو عمرو وحمزة والكساي واظهرها الباقون فمن ادغم فلان
التا والسين مهموستان الا ترا انهما يتعاقبان قال الشاعر
يا لعن الله بني السعلات عمرو بن يبموت لیام النات
اراد لیام الناس فحول السين تا ومن اظهرها فلانهما من كلمتين وهو
الاصل قوله تعالى في كل سنبله مايه حبه ابتدا وخبر
في موضع جر صفه لسنابل ويجوز ان يرتفع مائة حبه بالجار لانه
قد اعتمد لما وقع صفه ويجوز ان يكون الجملة صفه لسبع وبقرا
في الشاذ مايه بالنصب بدلا من سبع او بفعل محذوف تقديره
اخرجت وابو جعفر والاعمش يتركان همزة مائة وبابه حيث كانت
استخفافا والباقون بالهمز والاصل في مائة مئيه يقال اما ات
الدراهم اذا صارت مائة ثم حذفت اللام تخفيفا فان قيل وهل
رايت سنبله فيها مايه حبه او هل بلغك قلنا لا ينكر ذلك ولا
يستحيل فان يكن موجودا فهو ذاك والا فجايز ان يكون معناه
في كل سنبله مايه حبه جعل الله ذلك فيها ويحتمل ان يكون
معناه انها اذا بذرت انبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر
الذى كان منها من المائة حبه مضافا اليها لانه كان منها ولذلك
تاوله الضحاك ه قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء
فيه قولان احدهما يضاعف هذه المضاعفه لمن يشا والثاني
يضاعف الزيادة على ذلك لمن يشاء ه قوله تعالى والله واسع
عليم واسع للرحمة عليم بما كان من النفقه قوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم مبتدا والخبر لهم اجرهم قال الكلبي
نزلت هذه الاية في عثمن بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
فاما عبد الرحمن بن عوف فانه جا الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı . Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 45
Tasnif No.